الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصطفى اسطمبولي جامعة معسكر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، الطور الثالث (ل م د)

تخصص: لسانيات تطبيقية

الموسومة بـ

أثر الدرس الصوتي في الخطاب القرآني في ضوء النماذج القرآنية

إعداد الطالبة:

–مرنيز نورية

إشراف الأستاذ:

أ.د. قيداري قويدر

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الجامعة	الرتبة	الصفة
بوفادينة مصطفى	جامعة مصطفى اسطمبولي . معسكر.	. أ. التعليم العالي	رئيساً
قيداري قويدر	جامعة مصطفى اسطمبولي . معسكر.	. أ. التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً
سعيد عكاشة	جامعة الجيلالي اليابس . بلعباس .	أ . التعليم العالي	مناقشا
مغدير عبد القادر	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر.	. أ. محاضر. أ .	مناقشا
فريحي مليكة	جامعة عبد الحميدبن باديس مستغانم	. أ. التعليم العالي	مناقشا
إبري أمنة	جامعة مصطفى اسطمبولي . معسكر.	. أ. محاضرة . أ .	مناقشا
بن فطة عبد القادر	جامعة مصطفى اسطمبولي . معسكر.	. أ. التعليم العالي	عضوا مدعوا

السنة الجامعية: 2024-2025

شكـر وعـرفـان

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على مبعوثه الأمين سّيدنا محمد عليه أزكى الصّلاة وأزكى التّسليم

عملا بقوله تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ..﴾ [سورة إبراهيم: الآية 07]

أشكر الله عز وجل وأحمده على أن وفقني لأسلك طريق العلم والمعرفة، وأحمده حمدا كثيرا مباركا فيه على أن يسر لي السّبل وأعانني على إتمام دراستي والالتحاق بالدّراسات العليا، كما أشكره على أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع.

أتقدّم بجزيل الشّكر والامتنان وخالص العرفان والتّقدير إلى المشرف على عملي الأستاذ الدّكتور "قيداري قويدر" الذي شرّفنا بقبوله الإشراف على هذه الأطروحة ولم يبخل عليّ بشيء؛ فقد كان ولا يزال الداعم الرئيسي بعد الوالدين لإتمام هذا العمل فقد كانت توجيهات قيمة وإرشاداته واضحة وسديدة في صياغة هذا الأسطر، فجزيل الشكر لدعمه وتوجيهاته القيّمة.

الشكر موصول كذلك للأستاذ "بن فطة عبد القادر" وذلك تقديرا لدعمه ومساعدته، فقد أعانني على تخطي العقبات الأولى لوضع الصورة الأولية وتحديد الأسس المبدئية للخوض في غمار هذا العمل. وكذا على توجيهاته ونصائحه الدقيقة وتساؤلاته المستمرة عن مدى تقدمي إتمامي لهذا الموضوع.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على قبولهم مناقشة هذه الأطروحة.

كل الشكر والاحترام لهم جميعا، وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

الطالبة: مرنيز نورية

إهداء

إلى من كانت ترقبني خلف الباب وأنا أسير في شارع مظلم حتى أختفي عن نظرها...إلى التي رحلت قبل أن ترى ثمرة جهدها ومشقة تعبها طيلة سنين حياتي...إلى صاحبة الفضل عليّ؛ لو كتبت عنها الدواوين ما أوفتها الكلمات حقها..... **أمي الغالية** –رحمها الله وأسكنها فسيح جناته–

إلى الذي رافقني في ظلمات الإصباح الباكر فكان لي سراجا ينير دربي... إلى الذي عدّ الدّقائق والسّاعات ليطمئن لعودتي...إلى سندي ومأمني **أبي الغالي** – متعه الله بنعمة الصّحة والعافية –

إلى كل من ساعدني على إتمام هذه الأطروحة وأعانني على إقتناء الكتب وأفادني ولو بالقليل اليسير في ضبط معلومات هذا العمل المتواضع؛ أسأل الله لهم جميعا فتحا منيرا وفرجا عظيما ورزقا كريما؛ أدامكم الله دخرا للعلم.

إلى من شاركوني طعم الحياة وتقلبات الأيام فتصفحنا معا مرارة الأحداث وحلاوة الأوقات؛ إلى **إخوتي وأخواتي** جميعا؛ وأخص بالذكر: حفصة، فاطمة، عبد القادر.

إلى من تتلمذت على يدهم الأحرف الأبجدية وشدّوا على يدي لأنجح في اللّغة العربية...وإلى من جمعني بهم الحرم الجامعي فحذوت بحذوهم لأضبط اللّسان العربي...إلى جميع **معلمي وأساتذتي الكرام**. خاصة **أساتذة قسم اللّغة العربية وآدابها**، بالتّحديد **أساتذة الدكتوراه**.

إلى كلّ من علمني حرفا ولن أنسى له فضلا

إلى الذي أشعل شمعة بدل أن يلعن الظلام ..... إلى جميع طلاب العلم.

أهدي عملي هذا...

الطالبة: مرنيز نورة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه وعطائه، نحمده سبحانه وتعالى على منّه وفضله، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد النبي الأمين، ومن سار على نهجه واتبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

معلوم أنّ القرآن الكريم هو كلام الله الخالد المعجز بفصاحته وبيانه، فقد أذهلت كلماته الفصحاء، وانبهر لدّقة صياغتها وتركيبها الأدباء، فعجزوا عن الإتيان بمثله؛ كيف لا وقد حفظه الله تعالى في اللّوح المحفوظ وكتب له البقاء والخلود مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: الآية 09]؛ وكانت عناية المسلمين به أشد عناية؛ حيث جبلوا على تلاوته وتلقينه، فتداولوه بينهم واستخلصوا منه القواعد، واستنبطوا الأحكام، استنادا على المستويات اللّغوية التي ساهمت في وضع منهجية دقيقة لفهم وتحليل الكلمات المكتوبة والمنطوقة، داخل الخطاب القرآني، بغية فهم النص القرآني.

عكف العلماء على دراسة القرآن الكريم من كل جوانبه، وبحثوا في ألفاظه ومعانيه حرصا منهم على سلامة الأداء والتلاوة، آخذين بعين الاعتبار أنّ النّطق الصحيح للقرآن الكريم هو أساس التّقعيد، ووجهوا أنظارهم نحو قواعده جاعلين للصّوت الأولوية في البحث والتفصيل، فأصبح بذلك المستوى الصوتي أولى المستويات دراسة، فانطقوا من أصغر وحدة صوتية فيه ألا وهي الفونيم؛ وصولا إلى الجملة والآية بأكملها.

ولا غرابة في جعل علم الأصوات مُقَدما على جميع مستويات البحث اللساني، خاصة في مجال الدراسات القرآنية، كونه يدرس الصوت اللّغوي؛ ويبحث عن كيفية إنتاجه بدءا من مكان خروجه؛ مرورا بالقصبة الهوائية وصولا به إلى أذن السامع أو المتلقي؛ حتى يصدر لنا بطريقة صحيحة مضبوطة.

فالقرآن الكريم له الفضل الكبير في صقل القواعد الصّوتية وضبط مخارج الحروف؛ حيث اهتم علماء القراءات بمخارج الأصوات وصفاتها، فاستخلصوا بذلك أسس ومبادئ تنظم عملية الأداء والتّلاوة القرآنية؛ فكان علماء التجويد والقراءات من أهم من اعتنى بعلم الأصوات ودوّن فيه الكتب والمؤلفات.

لم تقتصر الأبحاث الصّوتية لدى علماء التّجويد والقراءات على معرفة أصل الصّوت وكيفية ارتباطه بالكلمة فحسب، بل تواصلت جهودهم وتضافرت أفكارهم للخوض في غمار القرآن والبحث عن أسرار كلماته وخباياها، فجاءت أبحاثهم في منتهى الدّقة والجودة، وقادتهم بذلك عزيمتهم العلمية إلى ملاحظة التّغيرات الصّوتية التي تطرأ على الكلمة إذ توصلوا إلى استخراج الظواهر الصّوتية التي تقع على الكلمة فتغير من دلالتها، كما أنّها تساعد في إبراز جمالية الآيات القرآنية وتقديم فهم عميق لمعاني المفردات.

إنّ الظّواهر الصّوتية أو كما تسمى التّلونات الصّوتية تحمل بعدا مغايرا يفهم من خلال تطبيقها على الخطاب القرآني، فتضفي على القارئ أو المستمع تأثيرا فعالا يتجسد من خلال امتزاج الصوت بالمعنى، فتعطي بذلك مفهوما جديدا ومعمقا للقرآن الكريم يظهر أثره على نفسية القارئ والمستمع.

شهدت الدّراسات الصّوتية برمتها قفزة نوعية خاصة في العصر الحديث؛ حيث أصبح التّعامل مع الصّوت بشكل جد دقيق عن طريق عرضه على المخابر العلمية والأجهزة التّكنولوجية الحديثة، برز ذلك من خلال إسهامات العلماء، ونظرا لكونه اللّبنة الأولى في فهم المعاني، وخاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم وفهم مقاصده وتفسير آياته، جاء موضوع أطروحتنا والموسومة: – أثر الدّرس الصوتي في الخطاب القرآني في ضوء نماذج قرآنية –. ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع للدّوافع والأسباب التالية:

- المساهمة في إثراء المكتبة اللّغوية بالدّراسة والأبحاث التي تعنى بهذا الجانب تحديدا الظواهر الصّوتية للقرآن الكريم.
- الإطلاع على الإنجازات التي توصل إليها القدامى ومحاولة ربطها بالجهود العلمية الحديثة للكشف عن مواطن التّطابق والاختلاف بينهما.
- التعرّف على أهم الأساسيات التي يمكن بواسطتها استخراج الظواهر الصّوتية لفهم معاني القرآن الكريم والتّدبر في سوره وآياته.

- كون هذا الموضوع –الظواهر الصوتية – لا يزال محط إهتمام الباحثين الأمر الذي قادنا إلى الاجتهاد فيه للوصول إلى نتيجة تفيد القارئ.

أمّا الأهداف المرجوة من هذه الدّراسة تتمثّل فيما يلي:

01/ الكشف عن العلاقة القائمة بين الأصوات ومدى أهميتها وفاعليتها على الأداء القرآني، واستخلاص أهم النّتائج المتوصل إليها في الدّراسات الصّوتية.

02/ تأشير بعض الظّواهر الصّوتية التي تطرق إليها العلماء في كتاباتهم، وكيفية ربطها بالجانب الأدائي للقرآن الكريم.

03/ دراسة دلالة الأصوات وفقا للنّظام الصّوتي ومحاولة الكشف عن معاني الصوت، ودلالته حسب وروده في الآيات الكريمات.

استنادا على هذه الأهداف المسطرة حاولنا معالجة موضوع بحثنا محاولين الإلمام بكل جوانبه؛ حيث تبادر إلى أذهاننا الكثير من التّساؤلات، منطلقين من الإشكالية الرّئيسية التّالية: إلى أي مدى ساهمت الظواهر الصوتية في فهم دلالة الخطاب القرآني؟

وقد ينبثق من هذه الإشكالية تساؤلات فرعية، أهمها:

- ما أبرز الاسهامات التي قدمها العلماء القدامى في هذا المجال، وكيف مهدت هذه الإسهامات الطريق أمام الدّراسات الحديثة؟
- إلى أي مدى ساهم علماء القراءات في توضيح معالم الدرس الصّوتي؟
- ما طبيعة الإضافات التي أدخلها الباحثون المعاصرون على الدراسة الصوتية للقدامى؟
- هل يمكن للظواهر الصّوتية أن تؤثر في الأداء القرآني، وتقود إلى فهم مختلف وتأويل مغاير لبعض الآيات والسور؟

ولتحقيق المبتغى والوصول إلى الغرض من هذا البحث، ارتأينا بعد تطرقنا للمقدمة، خطة الدراسة انطلاقا من مدخل وضعنا فيه شرحا مفصلا للمفاهيم الأساسية الخاصة بالموضوع، فكان بمثابة البوابة التّمهيدية التي توضح لنا ماهية الصّوت ودلالاته في القرآن الكريم، ومن ثم ولجنا للفصل الأول الذي تناولنا فيه جهود العلماء

القدامى والمحدثين في الدراسة الصّوتية، والذي قسم بدوره إلى مبحثين اثنين؛ حيث ناقشنا في المبحث الأول أهم الأعمال التي قدمها العلماء العرب القدامى والخاصة بالمجال الصوتي، فقد خصّصنا المطلب الأول لدراسة الصوت لدى العلماء اللغويين القدامى والذي كان بمثابة المنطلق الحقيقي لهذا العلم؛ انتقينا ثلاثة علماء لغويين كان لهم الفضل الكبير في تأسيس هذا النّوع من العلوم، إذ قعدوا له وجعلوا له أسس وضوابط أعانت من جاء من بعدهم، فأصبح بذلك أهم المستويات اللّغوية والانطلاقة الصحيحة لمن أراد إتقان اللّغة وأساليبها الفنية.

كما تطرقنا في المطلب الثاني لمناقشة الصوت لدى علماء التّجويد، وذلك لاعتبار أنّ موضوع الأطروحة مرتبط بالقرآن الكريم، فكان لا بد لنا من التّطرق لمعرفة مخارج الأصوات وصفاتها ومدى ارتباطها بالخطاب القرآني، فكان حديثنا مقتصرا على ذكر ثلاثة علماء من أبرز الذين اختاروا تخصص علم التّجويد والقراءات، فتبعهم بذلك العديد من الدّارسين والباحثين في هذا المجال.

تناولنا في المبحث الثاني الجهود الصوتية التي سعى العلماء المحدثون لعرضها وتقديمها في قالب جديد يواكب التّقدم الحاصل في العلوم، فجعلنا المطلب الأول مستشهدا بما قدمه علماء الغرب للحديث عن الصّوت، إلا أنّنا ارتأينا أن تكون بدايته حديثا عما جالت به أفكار الأمم السابقة من الذين تفننوا في هذا العلم، فدرسناه انطلاقا من حضارتهم وديانتهم، ثم ارتأينا إلى تقديم لمحة طفيفة ممهدين من خلالها للحديث عن علماء العصر الحديث، الذين استفادوا كثيرا من دراسات القدامى مستعينين بالتّقنيات الحديثة من مخابر علمية وآلات تكنولوجية متطورة أضفت على هذا العلم حلة عصرية جديدة.

بينما تناولنا في المطلب الثاني الحديث عن العلماء العرب المحدثين الذين ساقتهم رغبتهم العلمية إلى التّطلع على إنجازات العلماء الأوائل، خاصة العرب الذين يرجع لهم سبق الفضل في تأسيس هذا الصرح العلمي والتقعيد له؛ حيث خرجوا بنتائج قيمة أضافوا لها ثمرة جهودهم العلمية والمعرفية التي استخلصوها من خلال مزج ثقافتهم بالثّقافة الغربية، فوضعنا بذلك حوصلة مجهوداتهم وقد انتقينا في هذا المطلب الحديث عن ثلاثة علماء برزوا في السّاحة العلمية ليكون بذلك التّناسق مع المبحث الأول، ولأن الكلام عن جملة العلماء لا يكفينا في هذه الأطروحة فجاء تحديدنا للعدد ملازما للموضوع.

باعتبار أنّ موضوع الأطروحة ارتبط بكلام الله وخطابه للنّاس أجمعين، كان لا بد لنا من تسليط الضوء على بعض الظواهر الصّوتية والتي لها علاقة وطيدة بالموضوع، خاصة وأنّ الحديث عن الصّوت يسوقنا للتطرق

إليها كونها من أهم النّقاط التي تدور حولها الدراسة الصّوتية، فجاء عنوان الفصل الثاني على النّحو التالي: "أسس بناء الكلمة والظواهر الصّوتية المؤثرة عليها " والذي قسم بدوره إلى مبحثين اثنين.

لقد أوردنا في المبحث الأول عدّة مطالب لتقديم دراسة شاملة ووافية للصّوت، وما يحتويه من عناصر جد مهمة فكان لزاما علينا ذكرها والتّطرق إليها ولو بإيجاز.

تضمن المطلب الأول بنية الكلمة من النّاحية الصّوتية، ذلك أنّ الكلمة وأثناء تركيبها لا بد لها من أصوات تعبّر عنها، فكان الصّوت هو اللّبنة الأساسية لبنائها وتقديمها ضمن عدد معين من الكلمات لتعطي معنى أو دلالة تفهم من خلال التّركيب؛ في حين خصص المطلب الثاني للحديث عن المقطع ودوره في إيضاح الكلمة، إذ بواسطته يمكننا التّعرف على المخرج الصّحيح للصّوت ونطقه نطقا سليما محافظا بذلك على هيئته وصفته التي وضعه الله عليها؛ أمّا المطلب الثالث فقد تطرقنا فيه للتّصنيف الذي وضعه العلماء للأصوات؛ حيث قسمت إلى أصوات صامتة وأخرى صائتة، مبرزين في ذلك أنواع الحركات ومدى أهميتها في تركيب الكلمة.

إنّ الحديث عن المبحث الثّاني خصص للظواهر الصّوتية التي سيتم التّطبيق عليها، وللإشارة فقط فإنّ هذه الظواهر عديدة ومتعددة، ولقد وقع اختيارنا —بعد مناقشتنا مع الأستاذ– على البعض منها وذلك لكثرتها من جهة، ولأنّه لا يسعنا عرضها كليا من جهة أخرى، فكان من الصواب انتقاء بعضها لدراسته وتحليله والتّعمق فيه خاصة في الجانب التّطبيقي، وحتى تعم الفائدة.

ساقنا البحث في هذا المبحث إلى عرض خمس ظواهر صوتية جاعلين كل ظاهرة في مطلب خاص بها من أجل توضيحها وتنوير القارئ بها، حيث جعلنا المطلب الأول للحديث عن الإيقاع ومدى ارتباطه بالقرآن الكريم، أمّا المطلب الثاني فقد تحدثنا فيه عن التّنغيم وكيفية استخراجه من الآيات القرآنية، في حين وضع المطلب الثالث تحت مسمى النّبر، والذي تعرضنا من خلاله لمفهوم النّبر وأقسامه والشّروط التي تقود لمعرفته؛ بينما تطرقنا في المطلب الرابع للفاصلة والطرق المؤدية لمعرفتها والأنواع الخاصة بها؛ أمّا المطلب الخامس والأخير فكان من نصيب الوقف ومدى أهميته في الدّراسة القرآنية، وكيف يتم معرفة الوقف في القرآن الكريم، وختمنا هذا الفصل بخاتمة شاملة بينت أهمية تعلم هذا النّوع من الظواهر الصّوتية والعلاقة الوطيدة بينها وبين القرآن الكريم.

الناظر إلى هذا المستوى الصّوتي يجعلنا ندقق في اختيار المعلومة وننتقي منها الأنسب فالأنسب، خاصة وأنّ موضوع الأطروحة ارتبط وبشكل مباشر بكلام الله عز وجل فكان لزاما علينا أن نستعين بالجانب التّطبيقي للتّوضيح أكثر؛ وقد اخترنا في هذا الباب عدّة نماذج من القرآن الكريم، وطبقنا عليها تلك الظواهر الصّوتية التي أخذت نصيبها من البحث والتّحليل في الجانب النّظري؛ فتوصلنا إلى نوع الظاهرة الصّوتية المتواجدة في الآية موضع التّطبيق؛ ثم أردفنا الجانب التّطبيقي بخاتمة ملمة توضح أهمية هذه الظواهر الصّوتية والغاية من دراستها.

بعد عرض كل التّفاصيل والمعارف الخاصة بموضوع البحث، وبعد ضبطها بخطة نموذجية، استخلصنا أهم النّتائج والتّوصيات التي نرجو أن تأخذ بعين الاعتبار وتساهم في تطوّر مثل هذه الأبحاث.

إنّ معالجتنا للموضوع وحصر المفاهيم الجوهرية وضبطها مع محاولة الإجابة عن الإشكالية القائمة تفرض علينا اتّباع المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تطبيق القواعد الأساسية لجملة الظواهر الصوتية الموضوعة قيد الدّراسة على عدّة نماذج من القرآن الكريم،كما استعنا بالمنهج المقارن وذلك من خلال المقارنة بين النّتائج العلمية المتحصل عليها من قبل العلماء القدامى والمحدثين، وكذا علماء التّجويد مع إبراز نقاط التّشابه والاختلاف، إضافة إلى هذا تم الاستناد على المنهج التّاريخي، والذي ظهر جليا أثناء عرضنا للتّطور الزمني الحاصل للدرس الصّوتي بداية من نشأته وصولا إلى العصر الحالي.

لم تكن دراستنا هذه مبنية من العدم، إنّما لكل بناء جديد لا بد له من أسس وقواعد تمهد له؛ وكما هو الحال فإن أطروحتنا الحالية ارتكزت على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع، والتي يرجع لها الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل، ويمكن تقسيم هذه المجموعة المعرفية إلى قسمين اثنين:

أولا: المصادر والمراجع الخاصة بالجانب النظري؛ فمن أبرز الكتب التي تم الاعتماد عليها والتي كانت بمثابة بوابة بحث قاعدية استندنا عليها والمتمثلة في: معجم"العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، وكتاب "الكتاب" لسيبويه، "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" لابن جني، أمّا عند علماء التجويد والقراءات فقد اعتمدنا أكثر شيء على كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري كونه أكثر كتاب معمول به في الدراسات القرآنية. أمّا عند المحدثين فقد تعددت المراجع وتنوعت الدّراسات نظرا لوفرتها وتواجدها في المكتبات، ولعل أبرز ما تم الاعتماد عليه كدراسة سابقة لدينا: كتاب "الأصوات العربية" إبراهيم أنيس، كمال بشر من خلال كتابه "علم الأصوات"، وكذا "اللغة العربية معناها ومبناها" لتمام حسان.

ثانيا: المصادر والمراجع الخاصة بالجانب التطبيقي؛ لكي يكون بحثنا مبنيا على أسس واضحة وسليمة، وتكون الدراسة موازية بين الجانبين النظري والتطبيقي، استندنا على عدد معين من الكتب والتي استفدنا منها كثيرا في الجانب التطبيقي، وأهم هذه الكتب: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، "التحرير والتنوير" لابن عاشور. بالإضافة إلى بعض المراجع الخاصة بالباحثين المحدثين، منهم: "دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم" خالد قاسم بني دومي، "التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي" أحمد أبو زيد.

ومن أبرز المراجع التي تمّ الاعتماد عليها خاصة في الجانب التّطبيقي؛ والتي يرجع الفضل لصاحبها في الكشف عن هذه الظواهر والتطبيق عليها في القرآن الكريم، كتاب"الأداء الصوتي في ضوء نماذج قرآنية" بن فطة عبد القادر، والذي ساهم وبشكل كبير في فهم حيثيات هذا الموضوع سواء من خلال كتابه هذا أو حتى عن طريق الشرح الشفوي، فكان بمثابة المرجع الرئيسي في سد ثغرات هذا البحث ووضعه في صورته النّهائية هذه.

تجدر الإشارة إلى أنّ الباحث تعترض طريقه العديد من العراقيل؛ والتي تحول بينه وبين بحثه، أبرزها:

01/ كثرة المصادر والمراجع التي تتحدث عن المستوى الصّوتي بحيث لم نستطع إدراجها كليا بل اكتفينا بالبعض منها، محاولين بذلك إبراز شخصية الباحث.

02/ صعوبة فهم الظواهر الصوتية بصفة كلية من خلال المراجع كونها متعلقة بجانب النّطق، الأمر الذي أدى بنا إلى سؤال أهل التّخصص من سبقونا في هذا المجال، وضبطها بصورة سليمة وواضحة.

03/ وفرة المعلومات التي تتحدث عن الظواهر الصوتية الأمر الذي قادنا إلى محاولة الإلمام بأهم النقاط الخاصة بها حتى تتم معالجتها على الوجه الأمثل.

إضافة إلى هذه الصعوبات فقد اعترضت طريق بحثنا بعض الظروف العائلية التي وقفت كحاجز لا يمكن صده، وبالرغم من ذلك فلا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى على ما أصابنا، وبفضله سبحانه وتعالى استطعنا إتمام هذا البحث؛ حيث يسّر الله لنا السّبل لتجاوز تلك الصعوبات وتخطيها، كما لا يخفى على القارئ المحترم أنّ العون بيد الله وحده، وأنّه هو من قلص لنا الصعوبات، وجعل في طريقنا أستاذا محترما ليس فقط مشرفا على عملنا بل محفزا ودافعا لنا؛ بحيث ساعدنا على تجاوز ما أحل بنا، فكان بمثابة المعلم الناصح والأب المرشد فكل الشّكر والتّقدير له.

في الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم عملنا هذا، والذي عالجنا من خلاله جل المسائل التي تستدعي الشّرح والتّحليل، وأن يكون طرحنا لحيثيات الموضوع سليما وعلى الوجه المناسب له، فإذا كنا قد قصرنا،

فحسبنا أنّنا بشر والكمال لله تعالى وعليه التّوفيق، ورجاؤنا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم. وصل الله على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التّسليم.

جامعة مصطفى اسطنبولي –معسكر– **تاريخ**: 03 شعبان 1446/ 02 فبراير 2025.

الطالبة: مرنيز نورية.

مدخل:

المفاهيم الأساسية للدراسة

تمهيد:

يمثل الصّوت المرجع الأساسي لعلماء اللّغة، إذ يعدّ بوابة مهمّة يجب الوقوف عندها والبحث في خباياها؛ حيث ترجح منهجية الدّراسات اللّغوية البدء بالمستوى الصّوتي للوصول إلى باقي المستويات الأخرى.

تجدر الإشارة إلى أنّ الهدف الأسمى من وراء الاهتمام بعلم الصّوت هو ذلك التّرابط المتين والعلاقة الوطيدة بينه وبين القرآن الكريم؛ حيث تفطّن العلماء لوجود ظاهرة اللّحن وانتشارها والتي أصابت العديد من قارئي القرآن الكريم، الأمر الذي دفع علماء اللّغة للحد من هذه الظاهرة عن طريق وضع مفاهيم وقواعد خاصة بالجانب الصّوتي.

أخذ الصّوت حيزا كبيرا من الاهتمام والبحث من قبل الباحثين عربا كانوا أم عجما؛ فأصبح له دور بارز في مجال الدّراسات اللّغوية والألسنية. فما المقصود بالصّوت؟ وما العلاقة التي تربطه بباقي العلوم الأخرى؟

أوّلا: الصّوت:

يعدّ الصّوت أحد أهم وسائل التّواصل اللّغوية المباشرة بين الأفراد، حيث اهتم به العلماء عبر العصور فتطوّرت فيه الدّراسة نظرا لدخوله عالم التّجارب المخبرية، فظهرت بذلك عدّة مفردات توحي بالتّقدم الكبير الذي وصل إليه. فما هو الصّوت؟ وما مفهومه عند القدامى والمحدثين؟

1. الصّوت عند القدامى:

أ/ لغة: يعدّ مصطلح الصّوت من المصطلحات التي تناولتها المعاجم اللّغوية، والتي لم تستقر على مفهوم واحد، لذا اختلفت مفاهيمه وتعدّدت معانيه، حيث عرّفه الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-170هـ/718م-786م) في مادة (ص.و.ت): "صوت فلان بفلان تصوريا أي دعاه، وصات يصوت صوتا فهو صائت، بمعنى صائح وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، ورجل صائت: حسن الصّوت شديده، ورجل صيّت:

حسن الصّوت، وفلان حسن الصيت: له صيت وذكر في النّاس حسن"[1]، وبهذا يكون الصّوت عنده هو ذاته الصّياح، فكلّ ما يصدر ويحدث صدى في الطبيعة فهو صوت.

أمّا ابن فارس(329هـ-395هـ/941م-1004م) فقد ذكر في مادّة (ص.و.ت) قوله: "الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصّوت، وهو جنس لكلّ ما وقر في أذن السّامع، يقال هذا صوت زيد، ورجل صيت، إذا كان شديد الصّوت، والصائت إذا صاح"[2]. والملاحظ على هذا التّعريف أنّه يجعل الصّوت جنسا لكلّ ما يقع أو تسمعه الأذن، وبهذا فإنّه يحدث جرسا موسيقيا عند اصطدامه بالهواء واستقباله من قبل السّامع، فهو إذن لا يخرج كثيرا عن المفهوم الذي جاء به الخليل والرّازي.

أمّا ابن منظور(630هـ-711هـ/1232م-1311م) فقد عرّفه في اللّسان قائلا: "الصّوت: الجرس، يقال: صَاتَ يَصُوتُ ويَصَاتُ صَوْتًا وأصَاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نادى. ويقال صوَّتَ يُصَوِّتُ تَصْويتا فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صوَّت بإنسان فدعاه. ويقال: صَات يَصُوتُ صَوْتًا فهو صَائِتٌ، معناه صَائِحٌ. وكل ضرب من الغناء صوت، والجمع الأصوات"[3]، وبهذا المعنى فإنّ ابن منظور لم يخرج عن الإطار العام الذي جاء به الأوائل في تعريفهم للصّوت. فالصّوت عنده هو الجرس. وينطبق هذا مع ما ورد في كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: "الصّوت، بالفتح وسكون الواو ماهية بديهية لأنّه من الكيفيات المحسوسة وقد اشتبه عند البعض ماهيته بسببه القريب أو البعيد، فقيل الصّوتُ هو تموج الهواء، وقيل هو قَلْعُ أو قَرْع، والحق أنّ ماهيته ليست ما ذكر بل سبب الصّوت القريب التموُّج"[4]. وعليه فقد ركّز هذا التّعريف على الجانب الفيزيائي للصّوت باعتباره تموّجات تنتقل عبر الهواء محدثة قلع أو قرع.

وتأسيسا على ما سبق فالملاحظ على هذه التّعاريف أنّها تصب في معنى واحد وهو أنّ الصّوت ظاهرة طبيعية تحدث أثناء اهتزاز جسم ما؛ سواء كان صوت إنسان أو حيوان أو غيرهما؛ مخلّفة بذلك تموّجات تنتقل عبر

[1] الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1424هـ-2003م، ج 02 (د-ص)/ ص 421.

[2] بن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج03 (من الزاي إلى الظاء)/ ص 318-319.

[3] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد الأول (من الهمزة إلى الحاء)/ ص 619-620.

[4] التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط01، 1996م، ج02 (ص-ي)/ ص 1098.

الهواء لتصل إلى أذن السّامع، وعليه فإنّ الصّوت هو الجرس والقلع والقرع، وهو يعتبر وسيلة تواصلية جدّ هامّة بين أفراد المجتمع.

ب/ اصطلاحا: اهتمّ العلماء بعلم الأصوات اهتماما بالغ الأهمّية لارتباطه الكبير بعلوم اللّغة خاصّة ما تعلّق بالقرآن الكريم؛ حيث وقف العلماء على تعريفه من النّاحية الاصطلاحية مبرزين أهمّ الجوانب المتعلّقة به، إذ ورد عن الجاحظ (159هـ-255هـ) أنّ: "الصّوت آلة اللّفظ، والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلامه موزونا ولا منثورا إلاّ بظهور الصوت. ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتّقطيع والتّأليف"[1]، فالصّوت عبارة عن جهاز وبه تتمّ عملية إنتاج الكلام، إذ لولاه لما اتّضح الكلام واستقام اللّفظ، ولا يكاد يخرج ابن جني (322هـ-392هـ/941م-1002م) عن هذا المفهوم إذ يقول: "هو عرض يخرج من النّفس مستطيلا متّصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداد واستطالة فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[2]. فقد ربط ابن جني خروج الصّوت بالنّفس، الأمر الذي جعل علماء العربية يزعمون أنّ الصّوت مرتبط بالأساس مع النّفس ولا يكاد ينفصل عنها.

واستنادا على ما ذكرناه نجد ابن جني قد أشار إلى بعض الأجزاء المكوّنة للجهاز النّطقي للإنسان، وأنّه هو من يقوم بعملية إصدار الصّوت.

وفي سياق آخر تطرق علماء العربية أيضا لتحديد مفهوم الصّوت؛ بقولهم: "هو أثر سمعي يصدر عن أعضاء النّطق غير محدد بمعنى معين في ذاته أو في غيره، إذ إنّ ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت"[3]، فكلّ ما يصل الأذن يطلق عليه اسم صوت حتى وإن لم يشتمل على حرف؛ أي حتى وإن لم يكن صادرا عن أعضاء النّطق، وعليه لا يمكن ربط الصّوت بالجهاز النّطقي للإنسان، وهذا ما جاء به النّحاة؛ بقولهم: "الصّوت عند النّحاة لفظ حكي به صوت أو صوّت به سواء كان التّصويت لزجر حيوان أو دعائه أو غير ذلك، أو كان للتّعجب أو تسكين الوجع أو تحقيق التّحسر"[4]، فكما أنّ الصّوت ضروري في بقية العلوم فإنّه مفيد عند النّحاة، إذ يفهم بواسطته مسائل النّحو كالتّعجب والاستفهام والأمر وغيرهم. فالجملة التّعجبية التي يقع فيها

[1] الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، القاهرة/مصر، ط07، 1418هـ- 1998م، ج01/ ص 79.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1421هـ-2000م، ج01/ ص19.

[3] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت/لبنان، ط01، 1427هـ-2007م، ص 216.

[4] التهانوي محمد علي، المرجع السابق، ص 1099.

انبهار بأمر ما تختلف عند النّطق بها عن جملة الأمر التي تحمل في طياتها معاني الطّلب، وهذا كلّه يفهم من خلال عملية إصدار الصّوت ونبرته.

2. الصّوت عند المحدثين:

تطرّق العلماء المحدثون للصّوت، ولم يبتعد تعريفهم عمّا جاء به القدامى، إلّا أنّهم أوجدوا بعض التّغيرات وتداولوا بعض الأسماء الجديدة التي لم تكن موجودة عند السّابقين، كاصطلاح اسم الفونيم Phoneme أو كما يسمى الوحدة الصّوتية والتي تطلق على أصغر وحدة صوتية، وذلك للدّلالة على الصّوت اللّغوي في دراستهم الصّوتية الحديثة، ومن بين علماء الغرب المحدثين الذين تحدثوا عن الصّوت لدينا: روبن Robin والذي عرفه بقوله:"اضطراب مادي في الهواء يتمثّل في قوة أو ضعف سريعين للضّغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثمّ في ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزّوال النّهائي"[1]، فالصّوت إذن يقع عن طريق الاصطدام بالهواء، فقد يكون الصّوت منفجرا قويا، وقد يكون ضعيفا، وذلك نتيجة لتراكم الهواء المنبعث في الطبيعة. إذ أنّ جزئيات الهواء ومع امتزاجها بالصوت تحدث لنا بعض الاضطرابات التي تسع على شكل أصوات قد تزيد وقد تنخفض حسب درجة الصّوت.

اقتفى العرب المحدثون نهج الغربيين في دراساتهم الصّوتية، كما استلهموا من أبحاث القدامى الكثير من المسائل المتعلقة بالصّوت، وعملوا على جعلها مستندا مهما لدراساتهم الحديثة، كون أنّ اللّفظ عربي محض، إلّا أنّهم أوجدوا بعض التّغيرات وتداولوا بعض الأسماء التي لم تكن موجودة عند السّابقين، فاستعاروها من الغرب من خلال احتكاكهم بالفكر الغربي.

من ضمن المحدثين العرب الذين أسهموا في تطوّر الدّرس الصّوتي إبراهيم أنيس (1324هـ-1397هـ/1906م-1977م) الذي عرفه بأنّه: "هو ككلّ الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان فعند اندفاع النّفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن"[2]، بمعنى أنّ مرور الصّوت الإنساني بالحنجرة واصطدامه بالهواء يشكّل انفجارا يؤدي هذا الأخير إلى وقوع ذبذبات تلتقطها أذن السّامع عبر ما يسمّى موجات صوتية، فالعملية تتمّ إذن بين الملقي والمتلقي.

[1] خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، د.ت، ص 06.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مطبعة الأنجلومصرية، القاهرة/مصر، ط05، 1975م، ص 08.

ولا يكاد تمام حسّان (1336هـ/1918م-2011م) يخرج عن السّياق الذي جاء به إبراهيم أنيس في تعريفه للصّوت؛ حيث يقول أنّ الصّوت: "عملية حركية يقوم بها الجهاز النّطقي وتصحبها آثار سمعية معيّنة تأتي من تحريك الهواء فيها بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النّطقي ومركز استقباله وهو الأذن..."[1].

وعليه يمكن اعتبار الصّوت من منظور تمام حسّان على أنّه نشاط تقوم به الأجهزة النّاقلة له إذ يمر عبر ممر عضوي بدءا من الجهاز النّطقي وصولا إلى الأذن، فكل من إبراهيم أنيس وتمام حسّان قدّما تعريفا طبقا للدّراسات التّحليلية المخبرية التي أصبحت في عصرنا الحالي عاملا مهما لمعرفة طريق العملية الصّوتية.

وعليه فإنّ الصّوت عند المحدثين ينصرف إلى كونه نشاط يقوم به الجهاز النّطقي للإنسان، بوصفه مصدر انطلاق الصّوت واندفاعه نحو الحنجرة وصولا إلى الشّفتين، منتجا ذبذبات صوتية يستقبلها الهواء وتلتقطها الأذن، ولقد اعتمد المحدثون على الدّراسة التّحليلية المخبرية لمعرفة مكان صدوره.

لم تستقر تسمية الصّوت عند العرب المحدثين على مصطلح واحد أثناء عرضهم لقضية تعريف الصّوت، ويرجع ذلك إلى مسألة ترجمة وتعريب المصطلح الغربي الذي وضعه العلماء الغربيين، وهذا ما أدى إلى وضع عدّة مصطلحات؛ والتي تصب كلّها في معنى واحد ألا وهو الصّوت.

الظاهر أنّ تسمية الصّوت تعددت لدى العلماء الذين ساروا على نهج الغربيين، وأشهر اسم أطلق عليه –الصوت- هو مصطلح الفونيم، ومن أبرز هؤلاء لدينا كمال بشر الذي اعتبره كوحدة صوتية نستطيع من خلالها التفرقة بين الكلمة والأخرى[2]، وهناك من استعمل مصطلح الصّوتيم للتّعبير عن المعنى ذاته أمثال رشاد الحمزاوي إذ "اعتبره نحت من كلمتي الصّوت المميز"[3]. لكن هذه التّسمية –الصّوتيم- لم تلق رواجا كبيرا.

3. تعريف الصّوت اللّغوي:

يعدّ الصّوت اللّغوي أهمّ مواضيع علم الأصوات؛ حيث يهتم بدراسة الصّوت عند الإنسان وكيفية صدوره من الجهاز النّطقي، فهو يمثل الوحدة الصّغرى للصّوت وتظهر وظيفته أثناء وصوله للسّامع، عرفه كمال

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء/المغرب، د.ط، 1994م، ص 66.

[2] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة/مصر، د.ط، 2000م، ص 491.

[3] رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللّغوية الحديثة، حوليات الجامعة التّونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد14، 1977م، ص 90.

بشر بقوله أنّه: "أثر سّمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النّطق، والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة. ويتطلب الصّوت اللّغوي وضع أعضاء النّطق في أوضاع معينة محددة. أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معيّنة محددة أيضا، ومعنى ذلك أنّ المتكلّم لا بد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللّغوية"[1].فالصّوت اللّغوي إذن يحدث نتيجة تضافر أعضاء النّطق واتحادها لإصدار الصّوت وخروجه في صورة ذبذبات، وهذا يبين أنّ العملية الصّوتية لا تحتاج إلى مجهود عضلي كبير.

وعليه فإنّ الصّوت اللّغوي هو: "الصّوت الصادر من جهاز النّطق الإنساني، وينشأ باصطدام الهواء الخارج من الرّئتين بالأوتار الصّوتية في الحنجرة، ثمّ يمرّ خلال الفم أو الأنف، حتى يصل إلى أذن السّامع"[2]، إذ يعتبر كنشاط مستمر بين شخصين أو أكثر[3]؛ أي أنّه يصطحب الأفراد دائما خلاله حياتهم اليومية.

بناء على ما تمّ ذكره فإنّ الصّوت اللّغوي هو ذلك الصّوت الصادر عن نشاط الأعضاء النّطقية للإنسان والذي يكون باندفاع الهواء من الرّئتين مرورا بالحلق وصولا إلى الشّفتين؛ حيث تنقله ذبذبات الهواء إلى أذن السّامع، سواء كان الصّوت الصادر طواعية أو اختيارا.

انطلاقا ممّا سبق؛ نجد أنّ الصّوت اللّغوي يتكون من جانبين اثنين: أحدهما: عضوي أو حركي، والثاني: صوتي أو تنفسي. فالأول يتعلق بالجهاز النّطقي للإنسان وبواسطته يتم إنتاج الصّوت، أمّا الثّاني فيتعلق بالصّفة التي تضم الصّوت وتتوافق معه[4]. وهذا ما جعل مسألة الصّوت تأخذ أبعادا فيسيولوجية وفيزيائية محضة، ساهمة كلّها في تطوّر الصّوت كما ساعدت العلماء اللّغويين وعلماء القرّاء في التّعريف أكثر على الجهاز النّطقي.

ولعل هذا ما يقودنا إلى القول بأنّه –الصّوت اللّغوي– يقوم عبر عمليات متتابعة لإنتاجه وصدوره، والممثلة في: عملية تيار الهواء والمرتبطة بالرئتين؛ عملية التّصويت المرتبطة بالحنجرة؛ العملية الرّنينية المرتبطة بفجوات

[1] كمال بشر، المرجع السابق، ص 119.

[2] عبد الغفار حامد هلال، الصّوتيات اللّغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة/مصر، د.ط، 1430هـ-2009م، ص 40-41.

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة/مصر، د.ط، 1418هـ- 1998م، ص 14.

[4] ينظر: تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط01، 2011م، ص 132.

الفم والأنف؛ العملية النّطقية المرتبطة باللّسان والشّفتين[1]. فكل عملية من هذه العمليات تؤدي الدّور الملزمة به للوصول إلى استخراج الصّوت وظهوره على الوجه الأمثل.

أمّا بخصوص علماء القراءات فيراد به عندهم أنّه: "اللّغة (اللّهجة)، وكذلك القراءة القرآنية، ويراد به عند علماء التّجويد: حرف المعنى، وهو بذلك: أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التّحليل اللّغوي، ولا يمكن النّطق بها إلاّ من خلال مقطع يكون فيه الصّامت مصحوبا بالصّائت أو الصّائت مصحوبا بالصّامت"[2]. لم يبتعد علماء القراءات عن التّعريف الذي قدّمه المحدثون خاصّة علماء التّجويد، فهو يمثل لديهم الوحدة اللّغوية الصّغرى التي يمكن إدراك وجودها من خلال التّقطيع اللّغوي للكلمة، والتي تكون مرتبطة بحركة تبين المقصد منها.

إنّ عملية الكلام التي تدور بين المتكلّم والسّامع ينتج عنها ظهور عدّة جوانب مرتبطة بإصدار الصّوت، والمتمثلة في الجانب النّطقي وهو جانب حركة أعضاء النّطق من شفتين ولسان، والجانب الفيزيائي الذي يتمحور حول عملية انتقال الصّوت، إضافة إلى الجانب السّمعي والخاص بأعضاء السّمع أي الأذن.

4. تعريف علم الأصوات:

إنّ من أهمّ المسائل المتعلّقة بالصّوت هو معرفة أماكن نطق الأصوات وكيفية انتقالها عبر الممرّ الهوائي، وصولا إلى كيفية استيعابها، وهو ما يطلق عليه بعلم الأصوات، والذي يهتم بدراسة الوحدات الصّوتية والبحث عن طرق انتقالها ونطقها[3]، أي أنّه علم لغوي يعنى بدراسة الصّوت الإنساني دراسة تحليلية دقيقة سواء من ناحية النّطق وكيفيته وطريقة انتقاله، وصولا إلى إدراكه واستيعابه من قبل السّامع، فهو يبحث في أصوات اللّغة، ويهتم بدراسة الصّوت في حد ذاته سواء من حيث مخارج الأصوات وصفاتها وطريقة نطقها وضبطها.

[1] ينظر: بسّام بركة، علم الأصوات العام أصوات اللّغة العربية، مركز الإنماء القومي، د.ط، د.س، ص 73.

[2] صبري المتولي، دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة/مصر، د.ط، 2008م، ص 30-31.

[3] ينظر: محمد التونجي وراجي أسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيا)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 2001م، مجلد01/ ص 422.

يمكن تعريفه بأنّه: "العلم الذي يعنى بالأصوات الإنسانية شرحا وتحليلا، ويجري عليها التّجارب دون نظر خاص إلى ما تنتمي إليه من لغات، وإلى أثر تلك الأصوات في اللّغة من النّاحية العملية"[1]، فهو مرتبط بالصّوت الإنساني وما يحدثه من أثر جراء القيام بعملية الكلام.

لقد أطلق على هذا العلم تسميات متعددة من بينها: الصّوتيات، علم الأصوات، الصّواتة...، وقد فصّل العلماء في دراسة علم الأصوات، وقسّموه إلى ثلاثة أقسام أو فروع، وهي كالتّالي:

1.4. علم الأصوات النّطقي أو الفيسيولوجي Parole ou phonologie physiologique

يعرف بأنّه "ذلك الفرع من علم الأصوات الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النّطق من أجل إنتاج أصوات الكلام، أو الذي يعالج عملية إنتاج الأصوات اللّغوية وطريقة هذا الإنتاج"[2]، فهو يهتم بكل ما يتعلق بأعضاء النّطق الإنساني من وصف وتحليل وذلك للوصول إلى فهم وإدراك كيفية إنتاج الصّوت اللّغوية[3].

وعليه فإنّ علم الأصوات النّطقي يمثل أحد فروع علم الأصوات؛ حيث يهتم بدراسة حركة أعضاء النّطق ونشاط الفرد المتكلم عند قيامه بإخراج الأصوات اللّغوية، وهو بذلك يسعى إلى تحليل الصّوت وبيان التّركيبة الهيكلية لجهاز النطق.

2.4. علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي: Phonologie acoustique ou physique

يعرّف بأنّه: "العلم الذي يدرس الأصوات بعد نطقها من ناحية فيزيائية، ويعنى بحركة مصدر الصّوت وسعة الذبذبة والموجة الصّوتية والرّنين، أي من حيث انتقالها إلى الأذن وموجاتها والعوامل المؤثرة في ذلك"[4]. فهو إذن يبحث عن الخصائص الفيزيائية للموجات الصّوتية التي تصدرها حركة أعضاء النطق عبر تداولها وانتقالها بين أطراف العملية الكلامية[5].

---

[1] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط02، 1984م، ص 254

[2] أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص98.

[3] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط01، 1418هـ- 1998م، ص 21-22.

[4] محمد التونجي وراجي أسمر، المصدر السابق، مجلد01/ ص 423.

[5] ينظر: عاطف فضل محمد، مقدمة في اللسانيات، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2011م، ص 110.

يقوم هذا العلم بدراسة وتحليل الموجات الصّوتية أو الذّبذبات المنتقلة بين المتكلم والسّامع دراسة دقيقة، لأنّ الصّوت الإنساني المنتقل إلى الأذن يحدث تموجات لا ترى بالعين المجردة وهذا ما جعل العلماء يبحثون عن كيفية انتقاله عبر الهواء مستخدمين الطرق الفيزيائية لدراسته والبحث عن تلك الذّبذبات وهو ما جعل العلماء يطلقون عليه اسم: علم الأصوات الفيزيائي.

3.4. علم الأصوات السّمعي Phonologie Auditive:

هو"علم يعنى بماهية إدراك الأصوات وبالعملية السّمعية، أي يدرس جهاز السّمع"[1]. حيث يهتمّ هذا الجانب من علم الأصوات بجهاز السّمع وكيفية وصول الصّوت إلى الأذن، فهو يركّز على تلك الذّبذبات الصّوتية التي تستقبلها الأذن والتي انطلقت من المتكلّم مرورا بتموّجات صوتية عبر الهواء وصولا إلى أذن السّامع.

5. الفونيتيك والفونولوجيا: Phonétique et Phonologie

كشفت الدّراسات الصّوتية الحديثة عن التّطور الحاصل ضمن مجالها؛ حيث برزت عدة مفردات جديدة داخل الحقل المعرفي الخاص بالصّوت. ثمّ إنّ التّعريب المصطلحي للمفردة أدى إلى وجود بعض التّداخل فيما بينها، الأمر الذي دفع الباحثين إلى التّعريف بتلك المصطلحات وتحديد الفروقات المتواجدة بينها. وإنّ أهم المصطلحات التي وُجدت في الحقل الصوتي، لدينا:

1- الفونيتيك La Phonétiqua: هو العلم الذي يبحث في الصّوت الإنساني بصورة عامة دون تحديد اللّغة التي نشأ منها الصّوت، فهو لا يهتم بوظيفة الصّوت بل يكتفي بتحليله والتّجربة عليه[2]. وأطلق عليه اسم علم الأصوات العام، أو علم الأصوات اللّغوية.

2- الفونولوجيا La Phonologie: علم يبحث في الوظائف التي تؤديها الأصوات اللّغوية، فهو لا يهتم بالجانب النّطقي أو السّمعي للأصوات إنّما يصب اهتمامه على الجانب الوظيفي للغة[3]. ولقد أطلق عليها تمام

[1] محمد التونجي وراجي أسمر، المصدر السابق، ص 423.

[2] ينظر: عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1992م، ص 24.

[3] ينظر: محمد التونجي وراجي الأسمر، المصدر السابق، ص 431.

حسان تسمية علم التشكيل الصّوتي[1]. في حين سماه كمال بشر علم وظائف الأصوات[2] لأنّه يبحث عن الوظيفة الخاصة بالصّوت اللّغوي.

اختلف العلماء حول كيفية التّفرقة بينهما؛ فاعتبر دي سوسير أنّ الفونيتيك تبحث في أصوات الكلام أمّا الفونولوجيا فهي خاصة بأصوات اللّغة. بينما رأى آخرون أنّ الفونيتيك تنظر للجانب الوصفي التّحليل للغة، أمّا الفونولوجيا فهي خاصة بالتّطور التاريخي والنّظر للتّركيبة الصّوتية للغة.

يمكن القول إن كلاً من الفونيتيك والفونولوجيا قاعدتان أساسيتان في البناء الصّوتي للغة ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما ذلك أنّ كل منهما جزء من الآخر ومكمل له وهذا ما أشار إليه كمال بشر؛ الذي اعتبر أنّ التّفرقة بين هذين الجزأين أمر صعب لأنّه لا يمكن دراسة الصّوت من جانب دون الآخر.

6. دلالة الصّوت في القرآن:

وظّف القرآن الكريم الأصوات بطريقة متناسقة بعضها ببعض وذلك بحسب السّياق الذي ترد فيه الكلمة، فتناسب الصّوت للآية يكون بحسب الواقعة التي تحدث عنها القرآن الكريم، حيث نجد أصواتا انفجارية مثل صوتي الصاد والطاء متداول بصورة كبيرة في السّور والآيات التي فيها تحذير أو تلك التي تتحدث عن مشاهد يوم القيامة. في حين نلاحظ أنّ الأصوات اللّينة والتي تحمل الرّقة والألفة متناسبة مع الآيات التي تحاكي المؤمنين والمكانة العظيمة التي سينزلون بها.

بالرجوع إلى كتاب (الصّوت اللّغوي في القرآن) نجده قد عدّد تلك الدّلالات التي أقرها القرآن الكريم ضمن آياته، والتي تتجلّى في:

01. دلالة الفزع الهائل: استخدم القرآن الكريم جملة من الألفاظ القوية الدالة على الشدة والصرامة في الفعل؛ حيث "اختار الأصوات بما يتناسب مع أصدائها واستوحى دلالتها من جنس صياغتها"[3]. فكان الإيقاع

[1] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة/مصر، د.ط، 1990م، ص 111.

[2] ينظر: كمال بشر، المرجع السابق، ص 67.

[3] محمد حسين علي الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت/لبنان، ط01، 1420هـ- 2000م، ص165.

فيها بارزا واضح الدلالة مشيرا إلى معنى الآية. نحو قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: الآية 28].

02. دلالة الإغراق في مد الصّوت واستطالته: استعمل القرآن الكريم ألفاظا صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وذلك لتنبيه القارئ والمستمع. فالألفاظ تحمل أصوات ذات وقع قوي فتفهم من دلالتها الصوتية مدى عظمتها ليقع التساؤل حولها[1] وذلك للأثر البالغ الذي يحدثه الصوت حين النطق بها. من أمثلتها: كلمة الحاقة.

03. دلالة الصدى الحاكم: كشف القرآن الكريم عن استعماله "لأصداء حالمة في ألفاظ ملؤها الحنان تؤدي معناها من خلال أصواتها"[2] فاستعمال مثل هذه الألفاظ يدل على عاطفة الرأفة والمحبة التي رسخها القرآن في أذهان العباد والتي بفضلها ينبع الحب والحنان بين أفراد المجتمع. فكلمة الرحمة التي استدل بها القرآن في آياته لدليل قاطع على تشبث هذا الدين بالمبادئ الإنسانية والخلق الرفيع.

04. دلالة النّغم الصّارم: ومفاد هذه الدلالة أنها لصيقة بأصوات الصفير التي لها وضوح بارز ووقع يميزها عن باقي الأصوات، وهذا راجع لالتصاقها في مخرج الصوت، والجرس النغمي على السمع. وتمثلت هذه الأصوات في: الزاي؛ السين؛ الصاد[3]. ويكمن دور هذه الأصوات في إيضاح حقيقة الأمر الذي جعلت فيه ضمن الكلمة، نحو كلمة (رجز) التي توحي بوقع مضطرب فيه ارتجاف عند سماعه.

ثانيا: الخطاب:

إنّ التّداخل المعرفي بين المصطلحات في الحقل العلمي الواحد أدى إلى صعوبة التفرقة بينهما، ومرد ذلك الرّواج السّريع لهم وكثرة استعمالهم بسبب خروجهم من منبع واحد، فاختلطت بذلك المفاهيم وغابت الحقيقة وانساق الباحثون والدّارسون خلف ذاك الركام المعرفي غير المستقر على الحقائق الثابتة.

وللخروج من هذا الزخم المعرفي المختلط ارتأى الباحثون دراسة القضايا اللّغوية المتشابهة دراسة علمية منهجية تفصل كل مسألة عن أخرى. ومن ضمن المصطلحات والمفاهيم التي شاع استعمالها الخطاب والنص.

[1] ينظر: محمد حسين علي الصغير، المرجع السابق، ص 168.
[2] المرجع نفسه، ص 176.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص179.

ولمعرفة العلاقة بين الخطاب والنص لا بد لنا من الإشارة إلى معنى كل واحد منهما؛ وذلك للخروج بنتائج تفصيلية تميّز لنا الخطاب عن النص.

1. تعريف الخطاب:

تعددت الآراء واختلفت الأنظار حول تعريف الخطاب؛ بحيث نظر له كل عالم بحسب مجاله.

أ/ لغة: تناولت المعاجم اللّغوية مفهوم مادة (خ ط ب)، ومن ضمنها ابن منظور الذي صرح قائلا: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. والمخاطبة من الخطاب والمشاورة"[1]. فهو مصدر الفعل خاطب والمقصود به توجيه الكلام.

أمّا في مقاييس اللّغة فقد جاء على النحو التالي: "الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، يخاطبه خطابا"[2] وعليه فإن الخطاب يتم بين طرفين اثنين أو أكثر على أن يوجه أحدهم الكلام.

عالجت المعاجم اللغوية مدلول كلمة الخطاب التي صبت في المعنى ذاته، وهو عبارة عن ذلك الحوار الذي يتم بين طرفين أو أكثر؛ حيث يوجه الكلام للمستمعين. على أن يحمل الخطاب رسالة معينة للشخص المقابل.

انطبق المفهوم العربي مع المفهم الأجنبي لكلمة الخطاب التي تعني بالفرنسية Discours وفي الإنجليزية Discourse، وكلها تشير إلى المحاضرة والمحادثة وإلقاء الكلمة.

ب/ اصطلاحا: انساق اللّغويون إلى تعريف الخطاب من الناحية الاصطلاحية فلم يبتعد تعريفهم كثيرا عما ورد في المعاجم من كونه سلسلة كلامية موجهة للمتلقين قصد إيصال رسالة ما. ولقد لاقى الخطاب رواجا كبيرا لدى المفكرين الغرب والعرب، حيث توسع مدلوله في العصور الحديثة وذلك مع بروز الدراسات اللسانية فأصبح يعني "الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتد فتشمل أكثر من جملة"[3]. ويعد هاريس (1952م) أوّل لساني وسّع مدلوله

[1] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 01 (من الهمزة إلى الحاء)/ ص 280.

[2] ابن فارس بن زكريا، المصدر السابق، ج 02 (من الحاء إلى الراء)/ ص 198.

[3] عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص "المفهوم- العلاقة- السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، ص 90.

معرفا إياه بأنّه: "ملفوظ طويل أو عبارة عن متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة؛ يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[1]. وهذا ما يحيلنا إلى أنه مجموعة متتالية من الجمل فهو بذلك يفوق الجملة.

أما من المنظور العربي فقد عرفه علماء الكلام والأصوليون بأنه:"الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم"[2]. فهو يوحي إلى مراجعة الكلام وأنه يستلزم وجود أطراف للقيام بالعملية الكلامية وبالتالي يقتضي حدوثه في مكان وزمان معين.

فالخطاب إذن كل كلام سواء أكان ملفوظا أو مكتوبا يشكل علاقة تواصلية بين الأفراد، فهو يندرج ضمن مجموعة معتبرة من الكلمات والتي تصدر من متكلم له حق التأثير على المحيطين به من مستمعين بأية طريقة كانت[3]، فالخطاب إذن يحقق التواصل بين أفراد المجتمع سواء أكان كتابة أم شفاهة؛ فلقد سار أحمد المتوكل على نهج سابقيه في تحديده لمفهوم الخطاب.

نستخلص مما سبق أن الخطاب عبارة عن عملية تواصلية تستلزم وجود طرفين على الأقل يقتضي التواصل بينهما وجود رسالة محددة؛ حيث يفوق موضوعها حد الجملة.

2. تعريف النص:

يعدّ النّص أحد أهم محاور الدّراسات اللّغوية التي شغلت اهتمام الباحثين، كونه يمثّل وحدة لغوية كبرى؛ استوقفت أقلام الباحثين عنده لما فيه من تشابه وترابط لمصطلح الخطاب. فما هو النص؟ وما علاقته بالخطاب؟

أ/ لغة: جاء في لسان العرب من خلال مادة (نصص) قوله: "النَّصُّ: رفعك الشيء، النّصّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنّص التوقيف. والنّص التعيين على شيء ما، ونصّ الأمر شدّته"[4]. دلت مادة (نصص) في هذا السياق على الرفع والإسناد، والشدة أيضا.

[1] عبد الواسع الحميري، المرجع السابق، ص 90.
[2] المرجع نفسه، ص 29.
[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة، ط01، 2004م، ص 37.
[4] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 03 (من السين إلى الفاء)/ ص 340-341.

ب / **اصطلاحا:** يعدّ علماء أصول الفقه أوّل من نظروا في النّص وعرّفوه بأنّه: "ملفوظ شرعي معتبر في إثبات الحكام الشرعية"[1]. حيث خص عندهم بما دلّ عليه كلام الله وسنة رسوله الكريم.

ولا يكاد الشريف الجرجاني (740هـ- 816هـ/1339م-1413م) ينحاز عن تعريفهم الذي قال فيه: "ما ازداد وضوحا على الظّاهر لمعنى في المتكلّم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمّ كان نصا في بيان محبته. وهو ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل"[2]. فالنص عنده واضح المعالم مفهوم المقصد والدلالة.

أمّا محمد مفتاح فتبين له أنّ هناك تعدد للتّوجهات المعرفية واختلاف للرؤى حول مفهوم النّص، فرَاح يجمع المفاهيم ويستخلص للبنى الأساسية له جاعلا إياه عبارة عن مدونة كلامية تحتوي سلسلة متباينة من الكلمات بغية توصيل الرّسالة سواء أكانت معلومة أو خبرا ما، وأنّه يمتاز بالانغلاق أي يقع في إطار محدد؛ له بداية ونهاية يمكن أن تتولد منه أفكارا لغوية جديدة[3]. فهو يحمل عناصر وأجزاء تشكله، ولا يمكن أن ينشأ من العدم فالنصوص تنبع من بعضها وتستخرج لتصدر في إبداع جديد.

في حين عرفه إبراهيم أنيس وغيره في الوسيط بقولهم: "نصَّ الحديث: رفعه وأسنده إلى المحدَّث عنه. ونصَّ الشيءَ: حرَّكهُ. والنَّصُّ: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف. والنصّ: ما لا يحتملُ إلا معنى واحدا، أو لا يحتمل التأويل؛ ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النَّصِّ. والجمع: نصوص؛ والنّص من الشّيء: منتهاه ومبلغُ أقصاه، يقال:بلغ الشّيءُ نصَّهُ، وبلغنا من الأمر نصّه: شدَّتهُ"[4]. فلقد تعددت مدلولات النص في هذا المقام؛ فإضافة إلى الرفع والإسناد دلّ على الكلام الذي ينتجه المؤلف. فهو عبارة عن ملفوظ قصد إفهام القارئ والتأثير عليه.

يتضح مما سبق أنّ النّص عبارة عن مجموعة وحدات لغوية مبنية من كلمات وجمل مترابطة فيما بينها، تنقل أفكار الكاتب إلى متلق بغرض الاستفادة وتفعيل عملية التّواصل بين أفراد المجتمع، وحتى بين الأجيال، ذلك

[1] عبد الواسع الحميري، المرجع السابق، ص 44.

[2] الجرجاني السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط02، 1424هـ-2003م، ص 237.

[3] ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 1992م، ص 120.

[4] إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طهران/إيران، ط02، ج02/ ص 926.

أن النص غير محدد بزمان لا مكان معين، وقد ربطه الأصوليون بالكتاب والسنة في قولهم نصوص الشريعة وهو الغالب عندهم.

أما من المنظور الغربي فإن كلمة النّص والتي تقابلها في اللّغة اللاتينية Textus من الفعل نص Texére بمعنى النسيج، ولقد عرف في المعجم العالمي La Rousse بأنه: ذلك النسيج المتضمن جملة الأفكار المتتالية والكلمات المترابطة[1]. وهذا يعني أنه مجموعة كلمات مترابطة التركيب محكمة البناء والتنظيم. حلة

اللّافت للنّظر أنّ النّص استلهم العديد من المفكرين الأمر الذي أدّى بهم إلى تعريفه كل بحسب اختصاصه، فالنّص عند هارتمان Hartman: "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[2]. فهو وسيلة تواصلية هامة خاضعة للتّحليل في إطار الوحدات المكونة له؛ في حين أشار كل من هاليداي Halliday ورقية حسن إلى أنّ النّص Text يستخدم في علم اللّغويات ليشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة[3]؛ فلم يقتصر النّص على المكتوب فقط إنما تعداه للمنطوق ليبرهن لنا أن كل نتاج أصدره الكتاب وحبكوه في عبارات منسجمة سوء مكتوبة أو منطوقة فهي نص، فهو يعد منظومة لغوية تعاد صياغتها في وحدات بغية تحقيق عملية التواصل.

3. علاقة النص بالخطاب:

إنّ التّداخل المصطلحي بين الخطاب والنّص أدّى إلى ظهور فريقين مختلفين، إذ يرى أحدهما أنّه يصعب التّفرقة بينهما وذلك للتّوافق الكبير الحاصل بينهما، ومن ضمن الذين أخذوا بهذا الرأي رولان بارت والذي عدّ النّص منسجما مع الخطاب، وأنّه لا يمكن عزله عن الخطاب[4]. فالنص خطاب متكامل في ذاته.

اتجه فريق آخر للقول بالتّفرقة بينهما، وأنّ النّص لا يمكن اعتباره خطابا ذلك لاعتبار الكلام المنطوق هو الذي يحدث خطابا، بينما الكلام المكتوب والمدون بين صفحات الكتب هو ما يطلق عليه نصا، فالظاهر أن

[1] ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، بيروت/لبنان، ط01، 2018م، ص 20.
[2] أحمد عفيفي، نحوُ النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة/مصر، ط01، 2001م، ص 27.
[3] المرجع نفسه، ص 22.
[4] ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2005م، ص 08.

أنصار هذا الاتجاه نظروا إلى طريقة خروج اللغة، حيث اعتبروا اللغة المنطوقة خطابا، في حين تشكل اللغة المكتوبة نصا.

من خلال هذا الاستطلاع نجد أنّه وبالرّغم من وجود الفارق بين الخطاب والنّص إلا أنّهما يشتركان في كونهما يمثلان بنية النّظام اللّغوي، وأنّ السلسلة الكلامية التي يقومان عليهما تفوق حد الجملة، وأن الخطاب يرتبط باللّغة المنطوقة التي تصدر من المخاطب إلى المخاطب إليه قصد التأثير عليه، في حين أنّ النّص يرتبط باللغة المكتوبة وفق منهجية منضبطة.

ثالثا: الخطاب القرآني:

إنّ تفرد القرآن بلغته وأساليبه في الدعوة أبان عن رقي خطابه وبراعة إبداعه في السبك والتحليل، فكان بذلك خطابه مبنيا على أسس وقواعد جد متينة لا يمكن لبشر الحدو مثلها، ففيما يتمثل الخطاب القرآني؟ وما الغرض منه؟

1. تعريف الخطاب القرآني:

يعرف الخطاب القرآني على أنّه: "هو كلام الله الموجه إلى المكلفين بقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بيّنا واضحا لا إجمال فيه ولا اشتباه، ولو كان فيه بحسب هذا القصد اشتباه وإجمال لناقض أصل المقصود من الخطاب فلم تقع فائدة"[1]. والمراد من هذا أنّ الكلمات التي نزلت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بواسطة جبريل عليه السلام شكّلت خطابا قرآنيا واضح الدّلالة بعيد كل البعد عن الخطابات التي جاء بها البشر، فالخطاب القرآني كلام غير مخلوق، منزه عن الخطأ مدوّن في اللّوح المحفوظ.

فهو بهذا يشكّل كلام الله المتضمن سلسلة متتالية من الجمل والعبارات وضعت تحت مسمى الآية، أنزله الله تعالى على نبيه الكريم بواسطة جبريل الحكيم، ليبين للناس أجمعين تعاليم هذا الدين والغاية منه؛ بحيث خاطب فيه عز وجل كافة البشر على اختلاف أجناسهم وأعمارهم.

[1] عبد الرحمن سعود ابداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دار اليازوري، عمان/الأردن، د.ط، 2014م، ص 13.

2. أنواع الخطاب القرآني:

للخطاب القرآني عدّة أنواع ذكرها الشّيخ عيسى بن قاسم في مدونه تحت عنوان الفتح المحمدي في علم البديع البيان والمعاني؛ حيث أسرد لنا أربعين وجها نذكر منها[1]:

01/ خطاب العام والمراد به العموم: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس: الآية 44]

02/ خطاب الخاص والمراد به الخصوص: لقوله تعالى: ﴿ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران: الآية 106]

03/ خطاب العام والمراد به الخصوص: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: الآية 01]

04/ خطاب الخاص والمراد به العموم: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: الآية01]

05/خطاب النوع: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: الآية 39]

06/ خطاب العين: قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود: الآية 48]

07/ خطاب المدح: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة: الآية 103]

08/ خطاب الذم: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: الآية 07]

09/ خطاب الكرامة: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية 65]

10/ خطاب الإهانة: لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية 108]

[1] ينظر: خالق داد ملك، معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور/باكستان، العدد 22، 2015م، ص 62-63-64.

03 – أغراض الخطاب القرآني الكريم: يمكن تمثيلها في الآتي[1]:

. إنّه رسالة للنّاس كافة ودعوتهم إلى ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة، قد استخدم القرآن عدّة أساليب لترغيبهم في الإسلام وحثهم على اتّباع النّبي الكريم؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: الآية 208]

. استعمال لغة الحوار (الجدل) لدعوة أهل الكتاب للتّعرف على الإسلام وإتباعه؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [آل عمران: الآية 64]

. الدعوة إلى إعلاء كلمة الحق وتوحيد الله تعالى، مع تبيين للنّاس ما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات.

04 – مادة الخطاب في القرآن الكريم:

وردت مادة (خ ط ب) في القرآن الكريم في تسعة مواضع، جاءت بصيغ مختلفة، أربعة منها بصيغة (الخطْب)، وثلاثة منها بصيغة (الخطاب)، واثنين بصيغة الفعل. ما نورده في أطروحتنا هذه ما جاء بصيغة (الخطاب) وذلك لاقترانه بموضوع بحثنا.

أ/ قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: الآية 20] وفي مدلول الخطاب في هذا المقام هو "بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان"[2]، ومضمون هذه الآية أنّها جاءت في مدح نبي الله داوود عليه السلام لتصف لنا قوّة ملكه وحكمته التي أعطاه الله إياها، والخطاب المراد في هذا المقام هو الكلام أو الحديث الذي يدور بين الطرفين أو أكثر وكلمة فصل معناها القطع.

ب/ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: الآية 22] جاءت لفظة الخطاب في هذا السياق لتدلّ على التّغلب وقوة الحجة والبرهان فالمقصود من وراءها غلبني ولم يترك لي ما أقوله[3].

[1] عبد الرحمن سعود ابداح، المرجع السابق، ص 15-16-17-18.

[2] ابن عشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د.ط، ج23/ ص 229.

[3] للتفصيل أكثر ينظر: المصدر نفسه، ص235 ومايلي.

ج/ قال الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ٱلرَّحْمَٰنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ [النبأ: الآية 37] إنّ الخطاب الوارد في هذه الآية موجه لجميع الخلائق ويكون ذلك يوم الفصل العظيم1. لأن المتحدث هنا هو الله سبحانه وتعالى فلا يملك أحد التحدث أو الاعتراض، فالحق كله لله.

صفوة الحديث نلاحظ أنّ القرآن الكريم قدّم الصّورة المثالية لطريقة التّخاطب؛ حيث ركز على الفرد المستقبل للدّعوة مستعينا بالأدلة والبراهين التي تخاطب العقل وترشده إلى ما فيه صلاح له، كما سرد لنا عدة نماذج لقصص وقعت في الزمن الغابر جاعلا إياها كشواهد تنير القلوب وتهدي العقول كالقصص التي ترسم طريق الهداية وتبين الحق واتّباعه وأخرى تبين عاقبة الطغاة العاصين، فلقد وجه القرآن خطابه خاصة إلى العقل الذي يميز بين الصحيح والخطأ.

تميزّ الخطاب القرآني بأساليب شيقة ورائعة امتزجت بين العاطفة والحنين وأخرى حملت أسلوب الغضب والذعر، وهذا كله لأجل تقديم حقائق صريحة عن الدعوة وما تحمله من رسائل ربانية حتى يدرك الإنسان أهمية هذا الدين ويتنبه لما يقرؤه من قرآن كي يخشع ويتدبّر.

[1] للتفصيل أكثر ينظر:ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص49-50.

الفصل الأوّل: الدرس الصوتي بين القدماء والمحدثين

المبحث الأول: جهود العرب التراثية في الدراسات الصوتية

المبحث الثاني: الجهود الصوتية عند اللّغويين المحدثين

تمهيد:

اهتّم العرب القدامى بالدّراسة الصّوتية وبكلّ ما يتعلق بالنّطق الإنساني، وذلك حفاظا على التّلاوة القرآنية وحتى لا يقع القارئ في اللّحن والخطأ، وقد سبق العرب في دراستهم الصّوتية الهنود؛ الذين اهتموا بكتاب الفيدا والذي يعدّ كتابا دينيا محضا، وبهذا نجد أنّ كلاّ من العرب والهنود كان لهما المبدأ المشترك وهو الحفاظ على الدّين.

وتعدّ الدّراسة الصّوتية التي قام بها العرب دراسة تحليلية منطقية قائمة على أساس الذّوق، ما جعل العلماء المحدثين ينهلون منها ليطوّروا بحوثهم ويستخرجوا أفكارهم؛ واضعين بذلك علما جديدا أطلق عليه اسم: علم الأصوات أو الصّوتيات، وعليه سنحاول فيما يأتي ذكر جهود هؤلاء العلماء في هذا المجال.

المبحث الأول: جهود العرب التراثية في الدراسات الصّوتية.

حظيت الدّراسات الصّوتية بأهمية كبيرة من قبل العلماء، باعتبار الصّوت اللّبنة الأولى والأساسية للقيام بعملية التّواصل بين الأفراد، ويعتبر العلماء العرب أوّل من تنبه لأهمية هذا العلم ومكانته في صون اللّسان العربي والحفاظ عليه من التّحريف، ذلك أنّه مع اختلاط العرب بغيرهم صار من الضّروري وضع قواعد صوتية لتسهيل النّطق ومعرفة حركات الحروف، ويعدّ أبو الأسود الدؤلي أوّل من اهتم بهذا العلم وتبعه عدّة علماء كسيبويه و ابن جني من بعده، وقد حاول كل منهم تقديم دراسته مع تأكيد أهمية هذا العلم وأسبقيته في البحث والدّراسة على بقية العلوم الأخرى من نحو وصرف وبلاغة.

تناول القدامى الدّرس الصّوتي بكلّ تصنيفاته؛ حيث "تتواصل جهود العلماء إلى أن نصل إلى القرن الثاني الهجري؛ حيث العلامة اللّغوي الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعدّ بحق الرائد والمؤسس الحقيق لعلم الأصوات العربية، صاحب معجم العين، أوّل معجم عربي ألّفه الخليل وفقا للأساس الصّوتي"[1].

المطلب الأول: الصوت عند العلماء اللّغويين القدامى

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-170هـ/718م-786م)

يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من نظّر لهذه الدّراسة الصّوتية وذلك من خلال معجمه العين الذي جمع فيه بين الدّراسة النّحوية والصّرفية وكذا الصّوتية، فهو أحد أبرز رواد القرن الثاني للهجرة، إذ هو من الأوائل الذين مهّدوا للدّرس اللّغوي وقعّدوا له القواعد ضمن جميع مستوياته، كما أنّه تنبه لوضع الأوزان الشّعرية وهذا ما يدل على نباهته وفطنته اللّغوية.

ويعتبر معجم العين أوّل المعاجم العربية التي اهتمت بالألفاظ وصياغتها وهو "أول تصنيف للأصوات حسب موضع النّطق، أو حسب الأحياز والمخارج، مما جعله يتوصل إلى تقسيم الأصوات إلى الأصوات الصحيحة أو الحروف الصحاح وإلى الأصوات اللّينة أو الهوائية، أي أنّنا نستطيع القول أنّه ميز الأصوات الصامتة

[1] حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة طريق العلم، القاهرة/مصر، ط01، 2005، ص06.

من الأصوات الصائتة أو المصوتة"[1]. فنظرة الخليل للّغة لم تكن مقتصرة على مستوى دون الآخر إنما تطرق لجميع المستويات وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على نباهته وذكائه العلمي المتفوق.

وبهذا نجد أنّ للخليل بصمة علمية قوية في مجال الدّراسات اللّغوية، حيث وقف على عتبات الأبحاث اللغوية "فبدأ معه الدرس اللّغوي بعامة، والدرس الصّوتي بخاصة، بداية علمية حقيقة...فكان الخليل بن أحمد بحق إمام علماء الأصوات العرب، فقد قدّم للفكر الصوتي العربي أهم أسسه ومبادئه"[2]، كما أنّه لم يغفل عن "وضع الصّوت اللّغوي موضع تطبيق في دراسته اللّغوية التي انتظمها كتابه الفريد (العين)، بل هو أوّل من جعل الصّوت اللّغوي أساس اللّغة المعجمي، فكان بذلك الرائد والمؤسس"[3]. ومن هنا كانت الانطلاقة الأولية للدراسة الصّوتية التي تغلب فيها الخليل على العديد من أقرانه في ذلك العصر، كما أنّه أحدث ثورة علمية ساهمت في إبراز عدة مفاهيم جديدة في اللّغة العربية.

من المؤكد أنّ لجهود الخليل اللّغوية وأبحاثه تأثير كبير على كل من جاء بعده، فقد اعتبرت أساسا مرجعيا يتشبّث به الباحثون ويستدل بقواعده العلماء والدارسون، ويمكن تحديد جهوده في النّقاط التّالية[4]:

1- ينسب إلى الخليل بن أحمد وضعه للرمز الخاص بالهمزة العربية، وهو عبارة عن رأس عين صغيرة (ء)، وهذا ينبئ عن إحساس هذا العالم بالعلاقة المخرجية الدقيقة التي تربط بين هذا الصّوت وصوت العين.
2- ويعزى إلى الخليل بن أحمد أيضا، وضعه للرمز (ّ) المأخوذة من الشين في كلمة الشدة، وذلك للدلالة على الإدغام والتشديد.
3- ذهب الخليل بن أحمد إلى أنّ الحركات أبعاض حروف المد، كما اخترع علامات الضبط التي لا نزال نستعملها حتى اليوم: من ضمة وفتحة وكسرة.
4- كان الخليل بن أحمد من أوائل علماء العرب والمسلمين الذين قدموا دراسة دقيقة للجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم والشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل واحد منها بحرف أو مجموعة حروف، وما

[1] عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1992، ص 162.
[2] محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط01، 1996، ص27.
[3] عمار ساسي، المدخل إلى الصوتيات تاريخيا، إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، قطب العفرون، البليدة، 2013، ص196.
[4] محمد جواد النوري، المرجع السابق، ص27.

أشار إليه أيضا من تذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج، فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك، إلى مقاييس صحيحة أقر كثيرا منها علماء الأصوات المحدثين.

1.1.مخارج الحروف وصفاتها عند الخليل:

اهتم الخليل بن أحمد بالصّوت وما يتعلق به من جزئيات، فعالج مخارج الأصوات والصفات المتعلقة بها، كما تطرق لوضع عدة مصطلحات تصب جميعها في معنى واحد، فعلى سبيل المثال نجده ذكر اسم المخرج وقصد به المكان الذي يخرج منه الصّوت؛ حيث قال: "وأمّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عُكدة اللّسان وبين اللهاة في أقصى الفم"[1]، ثم ذكره باسم المبدأ وهذا لقوله: "فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأها من اللّهاة"[2]

الملاحظ على هذا أنّ الخليل لم يستقر على مصطلح واحد، إنّما استخدم المصطلحين لذات المعنى، وبهذا يعدّ الخليل أوّل من وظّف مصطلح المخرج وكذا المبدأ، ولقد لاقى مصطلح "المخرج" تجاوبا كبيرا من الباحثين والدّارسين من بعده؛ حيث استخدمه سيبويه وكذا العلماء المحدثين من بعده، بينما استخدم ابن جني مصطلحا آخر تمثل في "المقطع".

لم يكن التعدد المصطلحي أمرا مرفوضا لدى الباحثين بل تجاوبوا معه وأخذوا عنه ما يناسبهم ودراستهم، بل وحتى إنّ البعض من الباحثين دافعوا عن رأيه، وفي هذا الصدد يقول عبد العزيز الصيغ: "وكأنّه أراد باستعماله كلمة المبدأ توضيح معاني حلقية، ولهوية وشجرية وغيرها من المصطلحات، والذي يؤكد وضوح معنى مصطلح المخرج هو تقسيمه له إلى أحياز، فالحيز هو جزء من المخرج حين يكون المخرج مشتملا على مجموعة أصوات، لذا فإنّ هذا المخرج يتوزع إلى أحياز، كل حيز يصدر منه عدد من الأصوات تختلف من الصفة، فالحلق مخرج يشتمل على حيزين: الأول للعين والحاء والهاء، والثاني للغين والخاء"[3]. ثم إنّ الخليل وظف مصطلحا آخر تمثل في مصطلح "الحيز" والذي قال عنه: "أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشْبهت العين لقرب مخرجها العين، ثم الهاء ولولا هتَّة في الهاء، وقال مرة "ههة" لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة

[1] الفراهيدي الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن ، كتاب العين –مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الرحمن الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1424هـ-2003م، ج01/ ص37.

[2] المصدر نفسه، ص41.

[3] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدّراسات العربية، دار الفكر، دمشق/سوريا، 1427هـ-2007م، ص51.

أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيّز واحد كلّهنّ حلقية"[1]، فالظاهر أنّ التّعدد المصطلحي دخل ضمن اهتمامات الخليل العلمية والتي انتشرت ضمن ثنايا معجمه.

استحدث الخليل مصطلحا جديدا مرادفا "للحيز" وهو مصطلح "المدرج" والذي قال فيه: "والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنّها لا يتعلق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه"[2]، فالجدير بالذّكر أنّ الخليل عند وضعه للمصطلحات كان يرادف لها ما يتساوى معها في الوظيفة؛ الأمر الذي جعله يستخدم عدّة مصطلحات، إلا أنّ المصطلح المتداول بكثرة هو "المخرج" الذي انتقاه العلماء المحدثون ووظفوه في دراساتهم وكتبهم العلمية.

إنّ البحث في ترتيب الأصوات بحسب مكان خروجها يعدّ من أصعب المهام التي قام بها الخليل وأبرزها، فالعملية هذه ليست بالأمر الهين خاصة في ظل انعدام الآلات والأجهزة المخبرية الحديثة؛ حيث حاول عالمنا الفذ تقديم ترتيب منهجي سليم، فراح يوزّع الأصوات بحسب مخارجها، ولم يكن ترتيبه لها اعتباطيا إنّما كان مبنيا على أسس منطقية بحتة، حيث رتبها تبعا لمخرجها من الجهاز النطقي، مستعينا بالدّقة في الوصف والتّحليل، فبدأ باختبار "جميع الأصوات ونظر إليها بمنهج اختياري وصفي دقيق، ومنهج الخليل في هذا الشّأن يضارع المناهج العلمية الحديثة التي يقوم عليها علم الأصوات"[3]، وجعل الخليل ترتيب الأصوات في مقدمة معجمه العين جاعلا إياها كبوابة تمهيدية لبداية عمله القيّم، في إشارة منه إلى اعتبار هذا العلم أساس العمل اللّغوي والمنطلق الرئيسي الذي يجب على كلّ دارس لغوي أن يرجع إليه ويبدأ منه كبداية أوّلية للتّفقه في اللّغة.

اعتمد الخليل في ترتيبه للحروف على حاسّة السّمع وعلى تتبّع الجهاز النّطقي، فلم يمكنه ذلك من أن يبدأ ترتيبه بحرف الهمزة لاعتقاده أنّها لا تستقر على موضع واحد لأنّه قد يعتريها الحذف والتّغيير لذلك اضطر إلى البدء من حرف العين، يقول ابن كيسان (ت.299هـ-912م) في هذا الصّدد: " سمعت من يذكر عن الخليل أنّه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنّها يلحقها النّقص والتّغيير والحذف، لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلاّ زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنّها مهموسة حفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيّز الثّاني وفيه العين والحاء، فوجدت

[1] الفراهيدي، المصدر السابق، ص41.

[2] المصدر نفسه، ص42.

[3] عليان الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللّغة العربية، المملكة العربية السّعودية، جامعة أم القرى، كلّية اللّغة العربية، السّنة الثّانية، العدد الثّاني، 1404-1405هـ، ص 349.

العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التّأليف وليس العلم بتقدّم شيء على شيء، لأنّه كلّه ممّا يحتاج إلى معرفته، فبأي بدأت كان حسنا، وأولاها بالتّقديم أكثرها تصرفا"[1]، بهذا نجده قد وضع لنا مقارنة صوتية بين الهمزة وباقي الأصوات جاعلا الأولوية لصوت العين لتصبح بذلك الواجهة الأولى لتأليف معجمه.

وفي السياق ذاته أضاف ابن كيسان توضيح الطريقة التي انتهجها الخليل في اختيار الصوت المناسب لترتيب جملة الأصوات العربية، شارحا المنهج المستخدم قائلا عنه: "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول ا ب ت ث وهو الألف، لأن الألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني –وهو الباء– إلا بعد حجة واستقصاء النّظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها (فوجد مخرج الكلام كله من الحلق) فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق، وإنما كان ذواقه إياها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ...، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم"[2]؛ فالظاهر أنّ عالمنا الجليل جاهد فكره، وتفطن بذكائه الفذ إلى أنّ الطريقة المثلى لترتيب الأصوات هي بناؤها على السكون، وذلك لمعرفة أي الأصوات يخرج من أقصى الجهاز النطقي، وعلى هذا الأساس تمكن الخليل من توزيع الأصوات وتقسيم الجهاز إلى أقسام يضم كل قسم منها مجموعة معتبرة من الأصوات.

وعليه يبدو أنّ الخليل قد تذوّق الحروف واختبرها من عدة نواحي وهو ما جعله ينطقها بالسكون لمعرفة مواضع خروجها بدءا من الحلق، فجاءت على النحو الآتي: "ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة"[3]. من هنا يمكننا القول أنّ الخليل اعتمد في ترتيبه للمعجم على منهج رياضي محض، ساعده على ترتيب الحروف وتصنيفها بطريقة علمية إحصائية، منطلقا في ترتيبه من الحلق وصولا إلى الشفتين، معتبرا بذلك أنّ العين هو أوّل الحروف ترتيبا، ولقد استند في هذا التّرتيب على الجهاز النّطقي للإنسان في إشارة منه إلى أنّ لكل حرف مكانا يقطن فيه ومصدر لخروجه.

وبهذا يتّضح لنا أنّ عمل الخليل لم يكن عبثيا أو مبنيا على منهج من سبقوه، بل قد تمكّن من أن يبتكر لنا طريقا يستطيع من خلالها أن يمدّنا بهذا العلم الجلل. ثمّ إنّه وبعد دراسته للحروف بحسب الجهاز الصّوتي

[1] السيوطي عبد الرحمان جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، ج01/ ص90.
[2] الفراهيدي، المصدر السابق، ص 34.
[3] المصدر نفسه، ص 34.

للإنسان قام بتصنيفها على النّحو الآتي: "فالعين والحاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويّتان لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان، والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأها من ذلق اللسان، هو تحديد طرفي ذلق اللسان، والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء"[1]. ومنه نستخلص أن الخليل نسب كل صوت إلى مكان خروجه ليعطي بذلك صورة توضيحية لهيكلة الجهاز النطقي.

الملاحظ على هذا القول أنّه صنّف الأصوات بحسب المخارج، جاعلا كل مجموعة من الأصوات في مخرج معين وذلك للتّشابه الواقع بينها، فجمعت في ثمانية مخارج، وكان التّرتيب من أقصى الحلق وصولا إلى الشّفتين، على النّحو التالي[2]:

1. الحلق: فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق، وزاد الهمزة فقال من أقصى الحلق.
2. اللّهاة: والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة.
3. شجر الفم: يريد به مبدأ اتساعه من الداخل، والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم.
4. أسلة الأسنان أو طرفه المستدق: والصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأهما من أسلة اللسان، وهي: مستدق طرف اللسان.
5. نطع الغار الأعلى: ظهر الغار الأعلى، والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.
6. اللثة: والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة.
7. ذلق اللسان: يريد جانبيه من الأسنان، والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللّسان وهو تحديد طرفيه كذلق السنان.
8. الشفة: والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفهية: لأن مبدأها من الشفة.

[1] الفراهيدي، المصدر السابق، ص 41-42.

[2] محمود عكاشة، أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، القاهرة/مصر، ط02، 2007، ص40.

إنّ التّقسيم الذي قدّمه الخليل يوحي بالفطنة والذّكاء اللّذين يمتلكهما، فبالرغم من انعدام الأجهزة التّكنولوجية المتطورة والمخابر الصوتية إلا أنّه توصل إلى معرفة نشأة كل صوت على حدا مع معرفة المخرج بدقة تامة جعلت الذين أتوا من بعده ينبهرون في التفصيل الدقيق الذي قدمه، ويسيرون على نهجه مع إضافة بعض التفاصيل. وبهذا يمكننا القول أن الجهود التي قدمها الخليل ساهمت وبشكل كبير في التّعرف على هذا العلم وتطوره بشكل ملحوظ من قبل المحدثين، كما أنّه يعدّ أوّل واضع للّبنة الأولى للدّراسة الصّوتية؛ والتي بفضل جهوده استطاع العلماء من بعده تتبع طريقته والاستفادة ممّا قدمه في هذا المجال.

فبعد تذوّق الخليل للحروف وضبط مخارجها، استطاع أن يحدد صفة كل حرف، مستعملا عدّة مصطلحات لتسمية كلّ صفة على حدا ولتفرقتها عن غيرها؛ حيث كانت الصّفات عنده كالتالي: الصحاح والهوائية، الذلاقة والإصمات، المجهور والمهموس والاستعلاء والإشغال واللين والخفاء والمهتوت والمضغوط.

من هنا نستنتج أن الخليل بن أحمد يعد منارة استنار منها كل عالم، واقتفى على أثره العديد من الباحثين والدارسين سواء العرب أو الغرب، ولم تقتصر أبحاثه على الصوتيات فقط بل كانت له اهتمامات كبيرة في العديد من العلوم اللغوية من نحو وصرف وعروض وغيرهم، فأصبح بذلك موسوعة علمية يشهد لها التاريخ إذ فاقت انتاجاته اللّغوية كل التوقعات الأمر الذي جعله من أوائل العلماء الذين برزوا على الساحة العلمية.

2. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (148هـ-180هـ/765م-796م)

شهدت العلوم اللغوية اهتمام كبيرا من قبل العديد من العلماء وعبر مدار العصور؛ حيث ظلت الأبحاث متواصلة والتجديد فيها مستمرا، ومن أبرز الشخصيات التي راج اسمها وذاع صيتها العالم اللغوي سيبويه؛ الذي يعتبر أحد أهم العلماء الموسوعين؛ الذين قدموا لنا مادة علمية قيمة، فلا تزال جهوده محلّ بحث ودراسة ينهل منها الدّارسون ويتعلّم منها المتعلّمون.

عالج سيبويه المسائل المتعلقة بالصّوت في ثنايا مؤلفه (الكتاب) من خلال إدراجها ضمن باب الإدغام، محاولا بذلك ربط النحو بالصوت موضحا أنّ التّغيرات الصوتية التي تقع على الكلمة لها تأثير واضح عند معالجة القضايا النحوية؛ فقضية الإعراب مثلا لها ارتباط عميق بالصّوت وبالحركات، ويبرز هذا عند الاستعانة بالصفات الصّوتية كالجهر والإمالة ...وغيرهما، وهو ما جعل سيبويه يوسع لنا من دائرة البحث الصوتي موضحا في كتابه

التداخل الحاصل بين المستويات اللغوية وأن كل مستوى يحتاج إلى الآخر ويكمله، وبذلك عدّ مصنف سيبويه أول نموذج بنيوي قائم على وصف اللغة العربية من جميع مستوياتها.

أشارت الدراسات المعاصرة إلى أن سيبويه اعتمد على المنهج الوصفي رافضا الافتراض والتأويل متبعا في ذلك طريق أستاذه الخليل وأبي الأسود الدؤلي[1]، فجاءت دراسته امتدادا لأبحاثهما وجهودهما العلمية خاصة وأن الفترة الزمنية التي عاشا فيها لم يكن التّطور التكنولوجي متواجدا آنذاك، ولم تكن المخابر والأجهزة الفاحصة للجهاز النطقي قائمة كما هو الحال عليه الآن، ولهذا فقد ابتعد سيبويه وكذا أستاذه الخليل عن الافتراض والتأويل مركزين في أبحاثهما على الملاحظة الذاتية، لتصير جهودهما حول الدراسة الصوتية المرجع الأصلي لكل الباحثين والدارسين الذين حاولوا دراسة هذا النّوع من العلم.

وعند التأمل فيما أورده—سيبويه- نجده يشير إلى ضرورة التّعرف على المسائل الصّوتية والبحث فيها، وأنه لا بد من تعلّمها، باعتبار أن الصوت يشكل اللّبنة الأولى لفهم النّظام اللّغوي، وتعلّمه وتحليل مستوياته من صرف ونحو ودلالة، وهو ما جعله يدرجه ضمن باب الصرف، فهو إذن – الصوت – جزء أساسي من اللّغة ذاتها، إضافة إلى تصنيفه للحروف وتحديد عددها، كما قام بتقسيم الجهاز النطقي إلى مخارج تحتوي على عدد معين من الأصوات.

بهذا نستنتج أنّ سيبويه خلف لنا رصيدا علميا قيما، استلهم منه المعاصرون العديد من الأفكار والمعلومات والتي أنارت لهم صرح اللّغة العربية، عاجزين بذلك عن إصدار مؤلف مثله في عصرنا الحالي، وهو ما جعل حلمي خليل يصرح قائلا: "من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"[2]. وذلك نظرا للقيمة العلمية التي يحملها الكتاب.

1.2. الحروف عند سيبويه:

إنّ الحديث عن الحروف عنده يقودنا إلى ذكر التّقسيم الذي أورده ضمن مصنفه (الكتاب)، إذ حصرها في تسعة وعشرين حرفا، قياسا على التّقسيم الذي أورده الخليل في معجمه (العين)، إلّا أنّه اختلف عنه في طريقة ترتيبه لها؛ حيث جعل سيبويه الهمزة أوّل الحروف، فكان ترتيبه على النّحو الآتي: "الهمزة والألف والهاء والعين

[1] ينظر: عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1992م، ص 164.
[2] حلمي خليل، دراسات في علم اللغة والمعاجم، دار النهضة، بيروت/لبنان، ط01، 1998، ص50.

والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو"[1]. وهذه الحروف تعدّ أصولا تنتج عنها مجموعة حروف أخرى تدخل ضمن مسمى الفروع، وهي ستة تتشكل على النحو الآتي: "النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم"[2].

يتّضح لنا أنّ هذه الفروع الستة التي جاء بها سيبويه إنّما هي فروع جائزة، ويمكن الأخذ بها لورودها في القرآن الكريم، وقد استعملتها العرب في أشعارهم وأمثالهم؛ وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله: "يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار"[3]، كما أشار سيبويه في موضع آخر إلى وجود مجموعة أخرى من الحروف التي لا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشّعر، وقد أبان عنها قائلا: و"منها غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرْتَضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشّعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشّين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء"[4].

وتأسيسا على ما أوردناه يكون سيبويه قد جمع لنا جلّ الحروف؛ التي استعملتها العرب من جيّدها ورديئها، سواء أكان الاستعمال بكثرة أم بقلة، ذلك أنّ اللّسان العربي اختلط باللّسان الأعجمي، ما نجم عنه استعمال بعض الحروف التي لم توظّف إطلاقا في القرآن الكريم، إنّما تمّ استخدامها بشيء يسير جدا وفي حالات نادرة، إذ أنّه اعتمد على اللغة المنطوقة لا المكتوبة أثناء وصفه للحروف.

2.2. مخارج الحروف عند سيبويه:

إنّ الحديث عن مخارج الحروف يقودنا لا محالة إلى البحث عن مصدر الحرف ومكان انطلاقه، وهو ما تفطّن إليه سيبويه إذ وجدناه يصنف الحروف حسب مخارجها متبعا أستاذه الخليل، ولم يقف عند هذه المسألة

[1] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط02، 1402هـ/1982م، ج 04/ ص 431.

[2] المصدر نفسه، ص 432.

[3] المصدر نفسه، ص 432.

[4] المصدر نفسه، ص 432.

فقط، بل وجدناه يعارضه في بعض الحروف، مضيفا عنه قضية الأعضاء المسببة للصّوت؛ والتي جمعت على النحو الآتي[1]:

- أقصى الحلق مخرج: الهمزة، الهاء، الألف.
- وسط الحلق مخرج: العين والحاء.
- أدنى الحلق مخرج: الغين والخاء.
- من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.
- من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.
- من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم، الشين، الياء.
- من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج: الضاد.
- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا مخرج: النون.
- من مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.
- مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء، الدال، التاء.
- مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاي، السين، الصاد.
- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء والذال والثاء.
- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج: الفاء.
- مما بين الشفتين مخرج: الباء، الميم، الواو.
- من الخياشيم مخرج: النون الخفية.

قد لاحظ العلماء المعاصرون أنّ ترتيب الأصوات عند سيبويه يحتاج إلى الكثير من الدّقة بالمقارنة لما هو عليه في العصر الحالي، ذلك أنّه ركز على تبيان الأصوات الشديدة والرخوة والمجهورة، مستعينا بالجانب النحوي والصرفي أثناء تصنيفه لها، ولقد أيّد هذا التّقسيم العديد ممن جاؤوا من بعده من بينهم ابن جني الذي أخذ عنه

[1] سيبويه، المصدر السابق، ص 433.

ووافقه على هذا الترتيب، معتبرا –ابن جني– أنّ الترتيب الذي قدمه الخليل بن أحمد فيه "خطل واضطراب"[1]، في حين علّق جان كانتينو (ت 1956م) J.Cantineau على هذا الترتيب بقوله أننا: "نجد ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها، وملاحظات هامة حول صفات الحروف"[2]. من هنا نستنتج أنّ التصنيف الذي قدمه سيبويه للأصوات كان يتماشى والعصر الذي نشأ فيه؛ حيث استطاع تقديم أبحاث علمية جد قيمة في مجال الأصوات شكلت بداية جديدة، استلهم منها المعاصرون، وأضافوا عليها ما يلاءم والتطورات الحاصلة في مجال اللغة العربية.

وعليه فإنّ المتتبّع لكتاب سيبويه ومن الوهلة الأولى يعتقد أنّه حصر الحروف في الأعضاء السّتة للجهاز النّطقي، ولكن بالرجوع إلى تفاصيل كتابه، نلاحظ أنّه فصّل لنا هذه الأعضاء تفصيلا جعل العلماء المحدثين ينتقون منه ويتّبعون منهجه في التّحليل، إذ أنّه فصّل الأعضاء وحدّد المخارج بدقّة تامّة؛ وكأنّه شرّح الجهاز النّطقي للإنسان تشريحا عمليا باستخدام الآلات، وهو ما انتبه له المحدثون ممن يشتغلون بالصوتيات الحديثة.

3. ابن جني أبو الفتح عثمان: (322هـ–392هـ/941م–1002م)

حظي الدّرس الصّوتي بعناية بالغة لدى العلماء القدامى، إذ لم تخلو مصنّفاتهم من الإشارة إليه، ويعدّ ابن جني أوّل عالم خصّ الصّوت بمُؤلف مستقل، أُطلق عليه (سرّ صناعة الإعراب) مشيرا في ذلك إلى اعتبار الصّوت علما مستقلا قائما بذاته، وقد تمكّن ابن جني من جمع المادّة الصّوتية والتأصيل لها، متجاوزا بذلك مرحلة التّقعيد والتّأسيس، مستعينا بجهود من سبقوه؛ أمثال الخليل وسيبويه، وبهذا يكون ابن جني رائدا للدّرس الصّوتي وأوّل عالم يتحرر من الفكر النّظري للصّوت إلى الفكر التّطبيقي.

ومن هنا يتأتى لنا طرح الإشكال الآتي: كيف استطاع ابن جني تخطي مرحلة التّنظير؟ وهل قدّم في مُصَنفه اختلافات نوعية وإضافات علمية تختلف عن السابقين؟

[1] ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1421هـ-2000م، ج01/ ص59.

[2] جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1966، ص11.

1.3. اللغة مجموعة أصوات: شكّلت اللّغة هاجسا كبيرا لدى العلماء، ما دفع بهم إلى التّطرق لتعريفها ودراسة كلّ ما يتعلّق بها، من نشأتها ومعرفة مستوياتها وغيرها، ويعدّ ابن جني أحد أبرز الباحثين في هذا المجال، كونه قدّم نموذجا رائعا ووصفا دقيقا للّغة، سار على نهجه العديد من الدّارسين.

إنّ اللّغة عنده لا تخرج عن كونها "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، فلقد اتفق مع هذا التّعريف العديد من الباحثين الذين جاؤوا من بعده —سواء عرب أم غرب– ذلك أنّه تعريف دقيق يصف لنا الطّبيعة الصّوتية للّغة، وأنّها مجموعة رموز تستخدم للتّعبير والتّواصل بين أفراد المجتمع، ولا يكاد الدّرس اللّساني يخرج عن هذا التّصور، وقد سار على نهجه جلّ العلماء اللّسانيين واتفق معه عدّة مفكرين، فالملاحظ على هذا المفهوم أنّ مسألة الصّوت مسألة مهمة لقيام اللغة وتواصل الأفراد فيما بينهم، وهذا التواصل الذي ينشأ عن طريق المحاكاة سواء أكان بين الأفراد أم بين الطبيعة بحد ذاتها، فالطبيعة تصدر صوتا يختلف عن صوت الإنسان، وهذا ما يبين لنا أنّ ابن جني قد تنبه لوجود اختلاف بين ما يسمى الصوت والحرف.

2.3. الصوت والحرف: تفطّن ابن جني لمسألة الصوت والحرف على عكس العلماء السابقين الذين لم يميزوا بينهما، فسيبويه مثلا وعند تطرقه لمسألة الأصوات تحدث عن الحرف واعتبره صوتا في الوقت نفسه، وإن كان قد أشار إلى الحرف بطريقة مقتضبة وغير واضحة، إلا أنّه لم يميز بينهما مباشرة على عكس ابن جني الذي وضّح ولأوّل مرّة الفرق بينهما وعنه أخذ العلماء والباحثون اللّاحقون به.

جاء في لسان العرب أنّ الحرف هو: "الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، والحرف في الأصل: الطرف والجانب. وحرفا الرأس: شِقاه، وحرف السفينة والجبل: جانبها، والجمع أحرُفٌ وحُروف وحِرفةٌ"[2]. أمّا في الاصطلاح فيعني "الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى"[3]. فهو عبارة عن أداة يخطّ بها وتستخدم للتواصل بين أفراد المجتمع.

[1] ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ج01/ ص33.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد03/ ص937-938. مادة (حرف)

[3] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة/مصر، ط03، 1417هـ-1997، ص84.

وعند الرجوع إلى كتاب ابن جني —سر صناعة الإعراب– نجده يعرفه قائلا: "أما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه أن (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدّته، من ذلك حرف الشيء إنما هو حدّه وناحيته"[1]، ولعل المتصفح لكتاب ابن جني قد يجد بعض الاضطراب والتداخل في المعنيين، فبالرغم من أنّه عرّف كلا المصطلحين —الصوت الحرف– وفرق بينهما في بعض المواضع إلا أنّه استعملهما بالمعنى ذاته.

الجدير بالذكر أنّ مسألة الصوت والحرف لاقت اهتماما كبيرا لدى اللغويين المحدثين، فالصوت عند تمام حسان هو: "عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيها بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن"[2]. وهذا يعني أنّ الصّوت عام يخصّ كل ما هو متواجد في الطّبيعة من إنسان وغيره. وبالتالي فإن الحرف يمثل الصورة النموذجية للصوت المنطوق.

وعليه فإنّ الصّوت يختلف عن الحرف في كونه يحدث نتيجة الاهتزازات التي تصدرها الطّبيعة أو ما يخرج عبر الجهاز الصّوتي للإنسان في حين أنّ الحرف يشكل في الهيئة المرسومة للصوت أي أنه يختص بالإنسان فقط دون غيره بحيث يمثل الصورة الدالة على الصوت المنطوق ويكون كتابة.

3.3. مخارج الحروف عند ابن جني:

خالف ابن جني العلماء المحدثين والقدامى في استخدام مصطلح المخرج حيث أطلق عليه اسم (المقطع) في إشارة منه بقوله: "اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[3]. فمصطلح المقطع هنا هو تلك النقاط التي تحبس الصوت وتفصله عن الامتداد، ذلك أنه يخرج عبر مجرى الهواء مستطيلا إلى حين قطعه بواسطة الحلق أو الفم أو الشفتين، وعليه يمكن القول أنّ ذلك القطع يحدد لنا الحرف المقصود. وبالرجوع إلى المصدر ذاته—سر صناعة الإعراب– نجد أنه ذكر مصطلح المخرج دون القيام بتعريفه كما فعل سابقوه أمثال سيبويه، ولقد عدّ المخارج ستة عشر مخرجا معتبرا إياها أماكن انطلاق الحرف وخروجه؛ حيث قال: " اعلم أن

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج01/ ص28.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء/المغرب، 1994، ص66.

[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج01/ ص19.

مخارج هذه الحروف ستة عشر"[1]، مراعيا في ذلك طريقة مرورها عبر جهاز النطق الإنساني بدءا من الحلق ثم الفم ثم الشفتين على النحو الآتي:

1. الحلق: قسم ابن جني الحلق إلى ثلاثة أقسام جاعلا لكل قسم عددا معينا من الحروف.
2. اللّسان: تضمن عشرة أقسام بدءا من أقصى اللسان.
3. الشفتين: تضمن مخرجين اثنين.
4. الخيشوم: وفيه صوت واحد، اعتبره سيبويه فرعا من أصول الحروف وهو النون الخفيفة الساكنة.

يمكن توضيح ذلك التقسيم بالجدول التالي[2]:

المخرج	العدد	المخرج الرئيسي	الأصوات
الحلق	01	من أسفل الحلق وأقصاه	ء — ا — هـ
	02	وسط الحلق	ع — ح
	03	أدنى الحلق مع أول الفم	غ — خ
اللّسان (الفم)	04	أقصى اللسان	ق
	05	من أسفل من ذلك وأقرب إلى مقدم الفم	ك
	06	من وسط اللسان وبين وسط الحنك الأعلى	ج — ش — ي
	07	أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس	ض
	08	حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، فويق الضاحك	ل
	09	طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا	ن
	10	من مخرج النون غير أنه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام	ر
	11	بين طرف اللسان وأصول الثنايا	ط — د — ت

[1] ابن جني، المصدر السابق، ص60.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج01/ ص60-61.

	12	بين الثنايا وطرف اللسان	ص — ز — س
	13	بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	ظ — ذ — ث
الشفتين	14	باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا	ف
	15	ما بين الشفتين	ب– م – و
الخيشوم	16	الخياشيم	النون الخفيفة أي الساكنة

الجدول يبين مخارج الأصوات وصفاتها عند ابن جني.

إنّ التقسيم الذي أتى به ابن جني يوحي لنا بالفطنة والذّكاء التي امتلكهما هذا العالم الفذ، فوصفه لمخارج الحروف بهذه الطّريقة دليل على تمكّنه اللّغوي وعلى ثقافته الشّاسعة، فإلى جانب تأثّره بالخليل وسيبويه، فقد تأثّر كذلك بالدّراسة الموسيقية التي قال عنها أنّ لها ارتباطا كبيرا بعلم الأصوات، حيث قال: "...ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنّغم"[1].

ويتضح تأثره أيضا من خلال توظيفه لعدّة مصطلحات موسيقية كتشبيهه للجهاز النّطقي بآلة النّاي، يقول محمود السعران في هذا الشأن: "هو أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة ومن حيث الإمكانيات، أعني من حيث القدرة على إخراج أنواع من الأصوات لا حدّ لها"[2].إنّ توسّع ثقافة ابن جني وتطلعه لعدة علوم من غير العربية خاصة الموسيقى جعله يتمكن من هذا المستوى —الصوتي— ويتجاوز به مرحلة التنظير؛ التي سادت قبله إلى مرحلة التطبيق والإجراء، وبهذا يصبح ابن جني أوّل عالم يمهد للدّرس الصّوتي ويخرج من دائرة التّدوين والكتابة إلى مجال التّطبيق.

4. صفات الحروف عند القدامى:

اعتنى اللغويون القدامى بالبنية الصوتية للغة، معتمدين على الملاحظة المباشرة والوصف الدقيق للصوت. فتوصّلوا بذلك إلى تحديد صفة كل صوت، حين أدركوا أن الأصوات قد تتشابه في الصفات نظرا لتطابقها في ذات

[1] ابن جني، المصدر السابق، ص19.

[2] محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، د.ط، ص98.

المخرج. وقد عبر العلماء عنها بذات التسمية "صفات الحروف". ومنهم من اكتفى بذكرها دون تسميتها كقول سيبويه: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها"[1].

في حين عبر عنها ابن جني بأجناس الحروف[2]. ولقد تعددت هذه الصفات عند القدامى إلا أن جميعها توحي إلى السمات الخاصة بكل صوت على حدة، فكانت بذلك تقسيمات العلماء لها مختلفة؛ حيث قسمها سيبويه إلى صفات عامة وأخرى خاصة. أما ابن جني فاعتبر الصنف الأول صفات لها ضد والثاني صفات ليس لها ضد. وعلى الرغم من تعدد الصفات واختلافها من ناحية التقسيم إلا أنهم أجمعوا على جعلها سبعة عشر صفة تمثلت على النحو التالي:

1.4. الصفات المتضادة:

. الجهر والهمس: هما من الصفات العامة عند سيبويه، ومن الصفات التي لها ضد عند ابن جني. يعرف الجهر بأنه العملية التي تحدث عند اهتزاز الوتران الصوتيان. بعبارة أخرى هو ذلك الهواء الخارج مع النفس أثناء اهتزاز الوتران الصوتيان بالتقارب والتباعد. ولقد عرفه سيبويه بأنه: "فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت"[3].ولقد نقل ابن جني هذا التعريف نقلا حرفيا عن سيبويه دون إحداث أي تغيير، فكلاهما تطرقا لذات المفهوم دون ذكر للوترين الصوتيين. والواضح أن نقل هذا التعريف لم يتوقف عند ابن جني فحسب بل تداوله العديد من العلماء والباحثين ممن جاءوا من بعدهم رغم غموضه وعدم تبيان مقصده بصورة واضحة. فشاع في زمانه وذاع صيته بين العلماء مما جعل هذه الصفة لصيقة بسيبويه.

إنّ الحروف المجهورة التي اتفق عليها العلماء تسعة عشر حرفا، كما ذكرها سيبويه في الكتاب، وهي على النحو التالي: "الهمزة، الألف، العين، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الذال، الزاي، الظاء، الدال، الباء، الميم، الواو"[4].

[1] سيبويه، المصدر السابق، ج 04/ ص 431.
[2] ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج01/ ص74.
[3] سيبويه، المصدر السابق، ج 04/ ص 434.
[4] المصدر نفسه، ص 434.

أمّا الهمس فهو على عكس الجهر تماما، كونه يتجلى في خروج الهواء بطريقة سهلة دون حدوث أي احتكاك بين الوترين الصوتيين. ذلك أن المسافة بين الوترين تسمح بمروره –الهواء– دون أية تكلفة، ولقد عرف سيبويه الهمس بقوله: "أمّا المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النّفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النّفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه"[1]. لم يصرح سيبويه بعمل الوترين الصوتيين، الأمر ذاته قاله من تبعه من بعده كابن جني الذي سار على ذات المنهج. ولقد توصل أولئك العلماء على أن الحرف المهموس هو الحرف الضعيف الذي يسهل معه خروج الهواء دون أية تكلفة. والحروف المهموسة كما وردت في الكتاب هي: "الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء"[2]. ولقد جمعت عند بعض الباحثين تحت عبارة: (حث شخصه فسكت). ومعيار الفصل بين الجهر والهمس عند القدماء هو جري النفس أو عدمه[3].

. الشدة والرخاوة وما بينهما:

الحرف الشديد هو "الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه" وقد سمي شديدا لقوته وصلابته عند خروجه، ولذا سماه البعض بالصوت الانفجاري لاندفاع الهواء بصورة فجائية بعد التقاء الرئتين وانفصالهما مما يحدث تسرب الهواء وإصداره لأصوات تحمل سمة القوة. والحروف الشديدة كما وردت عند القدامى ثمانية هي: "ء، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب"[4].

أما الرخاوة فهي اللين والسلاسة وهي عكس الشدة تماما، يقال: "أَرْخَيْت الشيء وغيره إذا أَرْسَلته"[5] أي أطلقته وحررته. واعتبر القدامى الصوت الرخو بأنه "الذي يجري فيه الصوت"[6]، بمعنى أن الصوت يخرج سهلا ومسترسلا دون أن انحباس للوترين الصوتيين. وحدد القدامى الحروف الرخوة بثلاثة عشر حرفا هي: "الهاء، الحاء،

[1] سيبويه، المصدر السابق، ص 434.
[2] المصدر نفسه، ص 434.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 434.
[4] منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط01، 2001، ص91.
[5] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 06/ ص224. مادة (رخا)
[6] ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج01/ ص76.

الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، الفاء، ذلك إذا قلت: الطس، وأنقض، وأشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت"[1].

أجمع العلماء على وجود بعض الحروف والتي لا يمكنها أن تحبس تماما بالتقاء الوترين الصوتيين كما أنها لا تسترسل مباشرة بمرور الهواء، وهذه الحروف هي الحروف المتوسطة أو الحروف بين الشدة والرخاوة، وسميت كذلك لأن "الهواء يخرج من بين عضوي النطق، نتيجة التقائهما غير المحكم، فيسمح للهواء بالمرور دون إصدار حفيف"[2]. والحروف المتوسطة جمعت في قولنا "لم يروعنا"[3]، فهي على النحو التالي: ل، م، ي، ر، و، ع، ن، ا.

. الإطباق والانفتاح: تعد من الصفات الصوتية المرتبطة بالعضو الفيزيولوجي للإنسان. وهذه التسميات إنما وضعت كذلك لحركة اللسان التي ترتفع تارة وتخفض أخرى عند النطق ببعض الأصوات، ويعبر عنها عبد القادر جديدي بقوله: "الصفات الصوتية مرتبطة...ارتباطا وثيقا بالأعضاء الفيزيولوجية من العمل والتركيب"[4]. ويعرف الإطباق بأنه التصاق جزء من اللسان مع الحنك الأعلى عند إصدار الحرف، فهو صفة صوتية يتخذ من خلالها اللسان هيئة معينة إذ يرتفع الجزء الخلفي منه حين النطق ببعض الحروف.

. الاستعلاء والاستفال: معنى الاستعلاء الارتفاع، فهو صادر من الفعل علا، وقد ذكر ابن منظور في قوله: "علا: عُلْو كل شيء وعِلْوه وعَلْوه وعُلَاوَتُه وعَالِيه وعَالِيَتُه: أَرْفَعُهُ، وعلا النهارُ واعْتَلى واسْتَعْلَى: ارْتَفَعَ"[5]. والملاحظ أن العلماء القدامى ألصقوا صفة الاستعلاء على بعض الحروف وذلك لعلو اللسان ورفعته حتى يلامس الحنك الأعلى.

والحروف المستعلية التي أقر بها العلماء سبعة هي: غ، خ، ق، ط، ص، ظ، ض.

الاستفال: ضد الاستعلاء، ويقصد به الانخفاض. ولقد وظف العديد من العلماء هذا المصطلح بالانخفاض . من أمثال: ابن جني، ابن يعيش وغيرهما وذلك للدلالة على الحروف المنخفضة التي ينزل فيها اللسان

[1] سيبويه، المصدر السابق، ج 04/ ص 434-435.

[2] عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية –دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية–، دار الكتاب الحديث، ط01، القاهرة/مصر، 2008، ص195.

[3] شرف الدين الراجحي، علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة، الجامعة الأزاريطية، دط، 2002، ص43-44.

[4] عبد القادر جديدي، البنية الصوتية للكلمة العربية، المطابع الموحدة، تونس، 1986، ص30.

[5] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 06/ ص404-405. مادة (علا)

إلى قاع الفم. ويمكن تعريف الاستفال بأنه: انخفاض اللسان إلى الأسفل باتجاه الفم[1]، فهو عكس الاستعلاء تماما.

. الذلاقة والاصمات:

الذلاقة من الطلاقة ويكون النطق فيها سلسا على اللسان، كون أن هذا الأخير لا يعتريه أي عائد عند خروج الأصوات الذليقة فهي تخرج من طرف اللسان. يقول الخليل عنها: "اعلم أنّ الحروف الذُّلْقَ والشفويّة ستة وهي: ر ل ن ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين"[2].

الإصمات: من الصمت وسميت كذلك للثقل الذي يحدث للسان عند النطق بها. وكل ما ليس ذلقا فهو صامت وبهذا فإن حروف الإصمات ثلاثة وعشرون حرفا مجموعة في "جز غش ساقط صد ثقة إذ وعظه يحضك"

2.4. الصفات التي لا أضداد لها:

. القلقلة: هي اهتزاز الصوت عند خروجه وذلك لعدم استقراره على حالة واحدة، فالضغط المستمر على اللسان يحدث اضطرابا للصوت. وحروف القلقلة كما عدها العلماء هي: قطب جد

. الغنة:. الصفير: الأصوات الصفيرية هي تلك الأصوات التي تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان، حيث ينحصر الصوت بينهما فيعطينا صوتا صفيريا. وهذه الأصوات تتجلى في: الصاد والسين والزاي. الملاحظ على هذه الأصوات أن الإنسان الذي فقد أسنانه الأمامية يجد صعوبة في نطقها.

. الانحراف: صفة أطلقت على حرف اللام، وذلك لانحراف اللسان عن موضعه.

. التكرير: ويضم حرفا واحدا هو الراء وذلك لتسربه من بين اللسان والحنك الأعلى، حيث يخرج عن طريق ارتجاف طرف اللسان وارتعاده.

[1] بريتل مالبرج، علم الأصوات، مكتبة الشباب، تعريب: عبد الصبور شاهين، د.ط، ص 118.
[2] الفراهيدي، المصدر السابق، ج01/ ص37.

. التفشي: ومعناه الظهور والانتشار، وهو صفة لصيقة بحرف الشين. وسميت كذلك لانتشار خروجه وأخذه مساحة واسعة عند النطق به.

. الاستطالة: من الطول ومعناه أن خروج الحرف يطال النطق به حتى يتصل بمخرج آخر. وقد أطلقت هذه الصفة على حرف الضاد لما فيه من قوة.

3.4. صفات أخرى:

. اللين: من السهولة وضد الخشونة. فهو:"صفة تجمع بين السهولة واليسر في التحقيق الصوتي، لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرها من الأصوات؛ حيث يخرج الصوت حرا طليقا دون أن تعترضه حوائل"[1]. وقد أطلقت على الحروف الثلاثة المعرفة بحرف المد وهي: الألف، الواو، الياء. يقول سيبويه عنها: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا: الألف ثم الياء ثم الواو"[2]. هذا على رأي سيبويه والذي تبعه عدة علماء من بعده.

تعد الدراسة الصوتية عند القدامى منارة للعلماء المحدثين، حيث يرجع لهم الفضل في تأسيس الدرس الصوتي والتقعيد له، ويظهر ذلك من خلال اهتمامهم بمخارج الأصوات وتعدادها طبقا لتشريح الجهاز النطقي للإنسان؛ كما اهتموا بصفات الأصوات وأنّ لكل صوت عدد معين من الصفات التي تقع عليه بحسب السياق الوارد فيه، ولقد حرص القدامى على تبيان العلاقة القائمة بين عليم الأصوات والنحو والصرف وكيف يمكن للصوت أن يؤثر على الجوانب النحوية والإعرابية للكلمة العربية. وبهذا نجد أن أبحاث القدامى شكلت منطلقا جيدا للعلماء المحدثين وكذا علماء القراءات.

المطلب الثاني: الصوت عند علماء التجويد

عرفت الدراسات الصوتية اهتماما كبيرا من قبل علماء القراءات والتجويد؛ حيث كانوا الأكثر عناية بالصوت وذلك خدمة للقرآن الكريم وحفاظا عليه من الوقوع في اللحن. ثم إنّ المتتبع للدراسات اللغوية بشكل عام والصوتية بشكل خاص يلاحظ أن منبعها القرآن الكريم، فهو اللبنة الأساسية التي قامت عليها القواعد اللغوية نحوا وصرفا وبلاغة وصوتا.

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للطباعة النشر، عمان/الأردن، ط02، 1435هـ-2014م، ص280.
[2] سيبويه، المصدر السابق، ج 04/ ص 436.

ولعلّ المطلع على الدراسات الصوتية يجدها لا تتوقف عند علماء اللغة فحسب، بل إنّ لعلماء اللغة والتجويد قفزة نوعية في هذا المجال خاصة وأنها مرتبة بكلام الله تعالى فهي تحمل الدقة في الأداء. وهذا ما يجعلنا نجزم على أن الصوت له أثره القوي في القراءة والتجويد للقرآن الكريم، يقول أحمد مختار عمر (ت 2003م): "كان لعلم التجويد الأثر الكبير في إنعاش الدرس الصوتي عند علماء العربية، ففي ظله تحددت معالمه، وتوحدت مصطلحاته فكونت منه علما قائما بذاته، شأنه في ذلك شأن ما دأبت عليه لغات أخرى في عنايتها بعلم الأصوات لقدسية اللغة التي كانت بها كتبهم"[1]. وبالنظر إلى ما ذكر نلاحظ العلاقة الموجودة بين الصوتيات وعلم التجويد ، وعليه تجدر الإشارة إلى أنّ علماء القراءات والتجويد أولوا اهتماما كبيرا بالصوت باعتبار أن التجويد هو الأداء التطبيقي للقواعد الصوتية المتعارف عليها، فبواسطته ندرك مخارج الحروف والصفة التي يتمتع بها كل صوت. يقول الداني في هذا الصدد: "فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، وليس بين التجويد وتركه إلا رياضة من تدبره بفكه"[2].

الملاحظ أنّ الدّراسة الصّوتية لاقت استقلالها الخاص من قبل علماء التّجويد في القرن الخامس، حيث ألفوا كتبا مستقلة احتوت مباحث صوتية خاصة بالتلاوة والتجويد للقرآن الكريم، ولعل أبرزها الرعاية لتجويد القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي(ت.437هـ)، وكذا التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو بن سعيد الداني (ت.444هـ).

ولمعرفة أثر الصوت على الأداء القرآني ارتأينا أن نتطرق لأبرز العلماء الذين وضعوا بصمتهم في هذا الميدان الحافل بالدراسة، نذكر من بينهم:

أ. مكي بن أبي طالب القيسي (355هـ-437هـ/966م-1045م)

نال الدّرس الصّوتي حظا وافرا عند علماء القراءات والتّجويد، ويعتبر ابن مكي أحد أشهر العلماء الذين حققوا شهرة واسعة في مجال الصوت والقراءة؛ حيث اشتهر بأسلوبه في القراءة والتجويد وأبدع في تلاوته للقرآن

[1] أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، ط02، القاهرة/مصر، 1396هـ-1976م، ص15.

[2] الداني أبو عمرو عثمان ابن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان/الأردن، ط01، 1421هـ-2000م، ص68.

الكريم من حيث النطق الصحيح للحروف وتحديد مخارجها وصفاته، وبذلك يكون أول من أفرد كتابا مستقلا يتحدث فيه عن الصوتيات في علم التجويد تحت مسمى "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة". وقد وصفه بقوله: "وإني لما رأيت هذه الحكمة البديعة، والقدرة العظيمة في هذه الحروف التي نظمت ألفاظ كتاب الله –جل ذكره– ووقفت على تصرفها في مخارجها وترتيبها عند خروج الصوت بها، واختلاف صفاتها، وكثرة ألقابها، ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقا في كتب المتقدمين والمتأخرين، غير مشروح للطالبين قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها..."[1]. أدرك ابن مكي عظمة كلام الله تعالى وقدرته سبحانه في انتقاء الحروف وترتيبها بحسب الموضوع المناسب لها فأراد بذلك تأليف هذا الكتاب ليكون مرجعا أساسيا لطلبة العلم ويصبح بذلك أول مؤلف يهتم بمخارج الحروف وصفاتها من ناحية التجويد والتلاوة.

فالواضح أنّ ابن مكي استطاع كشف أسرار الأصوات اللغوية من حيث المخرج والصفة طمعا في التدبر والتأمل في خلق الله تعالى وفي كلامه المنزه عن الخطأ. وبهذا يكون له الفضل في جمع هذا المؤلف وإفراده بمباحث صوتية مستقلة؛ فقد قال: "وما علمت أنّ أحدا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها، ولا إلى لما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه والتحفظ به عند تلاوته"[2]. كما لا يخفى علينا أنه وأثناء دراسته استفاد كثيرا من المنهج المقارن وهو ما يظهر من خلال المقارنة بين الأصوات سواء ببعضها البعض أو مقارنتها باللغات الأخرى، فقد قال: "اعلم أن الحروف التسعة والعشرين المشهورة، قد اشتركت في استعمالها لغات العرب ولغات العجم، إلا الظاء فإنها للعرب خاصة، ليس في لغات العجم ظاء. وقد قيل إن الحاء أيضا انفردت بها العرب، وليس في لغات العجم حاء...وانفردت العرب أيضا باستعمال الهمزة متوسطة ومتطرفة، ولم يستعمل ذلك العجم إلا في أول الكلام"[3]. فالظاهر أن المقارنة التي قام بها مكي أسفرت عن خروج مجموعة من الحروف انفردت بها العب عن سائر اللغات والمتمثلة في الظاء والحاء والهمزة.

[1] مكي أبي محمد بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط03، 1417هـ- 1996م، ص24.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] المصدر نفسه، ص113.

ضف إلى ذلك وجود بعض الأحرف والتي اتصفت بها لغة العرب عن سواها من اللغات وهي العين، والصاد، والضاد، والقاف، والظاء، والثاء[1]. هذه الأحرف وإن كانت قليلة أو ناذرة الوجود في لغات العالم إلا أنها تستخدم وبكثرة في اللغة العربية وهذا ما جعل العربية لغة فريدة من نوعها من حيث التنوع الصوتي والثري وهو ما تفتقر إليه العديد من لغات العالم.

تشير الدّراسات إلى أنّ ابن مكي قد ابتكر مصطلحات جديدة على غرار المصطلحات التي قدمها سابقوه من أمثال الخليل بن أحمد وابن جني وغيرهما، وبهذا يمكننا القول أنّ أبحاث ابن مكي وجهوده الصوتية قد أنتجت عدة مصطلحات والتي توحي كلها على إتباعه منهجا خاصا به يختلف عمّا جاء به سابقيه. ومن بين هذه المصطلحات نذكر:

01. الحرف الشديد: والذي أطلق عليه تسمية الحرف القوي؛ هو ذلك الحرف الذي تعدت صفاته الصفة الواحدة، فلقياس قوة الحرف لا بد من أن تجتمع فيه جملة من الصفات كالشدة والجهر والإطباق والاستعلاء، فكل هذه الصفات تؤدي بالمتكلم إلى القيام بجهد عضلي حين النطق بالصوت ومن ضمن هذه الأصوات صوت الطاء. يقول ابن مكي في هذا: "والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك غاية القوة في الحرف، لأن كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف فإذا اجتمعت اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء. فعلى قدر ما في الحرف من الصفات القوية كذلك قوته وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه. فافهم هذا لتعطي كل حرف في قراءتك حقه من القوة ولتتحفظ ببيان الضعيف في قراءتك فالجهر والشدة والصفير والإطباق والاستعلاء من علامات قوة الحرف"[2] وعليه فإن اجتماع الصفات القوية في الحرف الواحد يزيد من قوته وإظهاره، ولذا ينبغي على القارئ أن يركز أثناء قراءته ليعطي كل حرف حقه وليظهر قوته من ضعفه لتصبح بذلك القراءة صحيحة وسليمة.

02. الحرف الرخو: والذي سماه بالحرف الضعيف ذكر ابن مكي أنّ: "وهذه الصفات من علامات الضعف كالهمس والخفاء، فاعرف الصفات الضعيفة والصفات القوية، تقو بذلك على تجويد لفظك بكتاب الله –جل جلاله– فإذا كان أحد الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له، كالهاء

[1] مكي بن أبي طالب، المصدر السابق، ص113.
[2] المصدر نفسه، ص117-188.

التي هي مهموسة رخوة منفتحة خفية. كل واحدة من هذه الصفات، من صفات الضعف"[1]. فالحرف الضعيف إذن هو الذي تضمن عدة صفات من صفات الضعف كالهمس، الخفاء، الرخاوة، الانفتاح، الخفاء. فالجهد العضلي المبذول من قبل المتكلم في هذه الحروف يكون أقل بكثير من الجهد المبذول في الأصوات التي تحمل صفة الشدة أو الجهر مثلا. وبهذا نستطيع القول إن الحرف الضعيف هو كل حرف يخرج عبر المجرى الهوائي دون أي اعتراض أو انسداد في التنفس.

03. الحروف المذبذبة: هي تلك الحروف التي تتأرجح بين الأصول والزوائد، وقد جمعت في عبارة سألتمونيها، يقول ابن مكي عنها: "وإنما سميت بالمذبذبة لأنها لا تستقر على حال، تقع مرة زوائد ومرة أصولا وسائر الحروف غيرها لا تقع إلا أصلا إلّا الألف"[2]. يشير ابن مكي إلى هذا النوع من الحروف كون أن بقية الحروف تكون جزءا أساسيا في الكلمة، في حين أن هذه الحروف تتغير بتغير موقعها في الكلمات حيث تكون أصلا ولا يمكن الاستغناء عنها كما قد تكون زائدة ولا تدخل ضمن جذور الكلمة.

04. الحرف الجرس: يقول: "الحرف الجرسيُّ وهو الهمزة، سميت بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها، ولذلك استثقلت في الكلام فجاز فيها التحقيق والتخفيف والبدل والحذف وبين بين وإلقاء الحركة. والجرس في اللغة: الصوت، فكأنّه الحرف الصّوتيّ أي المصوّت به عند النُّطق"[3] فالصوت الجرس عنده هو الهمزة باعتبار أنها أكثر الأصوات يستخدم فيها الإنسان مجهودا عضليا عند النطق بها لأنّ الصوت يعلو عندها.

05. الحرف المهتوف: "هو الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوُّع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتف: الصوت الشديد، يقال: هتف به إذا صوَّت"[4] الملاحظ أن الهمزة عنده أخذت مصطلحين مرة الحرف الجرس، وأخرى بالحرف المهتوف والمقصود به الحرف القوي الشديد، وقد اتصفت الهمزة بهما لأن الجهد المبذول عند النطق بها يفوق بقية الأصوات الأخرى. والجدير بالذكر أنها أخذت من عالمنا الجليل مكي بن أبي طالب قسطا كبيرا من الدراسة والبحث إذ جعلها في موضع آخر تحت مسمى الحرف الجلد لقوله: "والهمزة حرف

[1] مكي بن أبي طالب، المصدر السابق، ص119.
[2] المصدر نفسه، ص121.
[3] المصدر نفسه، ص133.
[4] المصدر نفسه، ص137.

جلد، بعيد المخرج صعب في اللفظ"[1]. وذلك لما تحمله من صفات القوة والجهر وهو ما جعل العرب تميزها عن سائر الحروف[2]. فهذه المسميات توحي لنا بأن هذا الصوت –الهمزة– صوت يحمل جهدا كبيرا عند النطق به لما يعتريه من قوة وشدة وذلك لبعد مخرجه.

بهذه الطريقة يكون ابن مكي قد عالج لنا الأصوات العربية من منظور مغاير لما أتى به السابقون، وذلك بربط الدراسة بالتجويد القرآني لإعطاء كل حرف حقه عند النطق به.

ب. أبو عمرو الداني (371هـ–444هـ/ 981م–1053م)

كان للعلماء القراءات الفضل الكبير في إعطاء الدرس الصوتي حلّة جديدة عما كان عليه في البدايات الأولى؛ حيث منحوا له صبغة مغايرة تقوم على التطبيق، وأول شيء طبق عليه هو النص القرآني الذي كان محل اهتمام العلماء والقراء وذلك لما اعترى الصوت من لحن وخطأ. وأبو عمرو الداني أحد أهم رواد القرن الرابع عشر آنذاك، حيث تفرغ للمسائل الصوتية المرتبطة بالقرآن الكريم مستفيدا مما قدمه سابقوه.

تطرق الداني لمسائل عدة في مؤلفاته التي حرص على تقديمها بحلة جديدة مضيفا إليها اجتهاداته الخاصة حول الدراسة الصوتية. ولعل أهم الكتب التي تناولت الجانب الصوتي عنده لدينا "التحديد في الإتقان والتجويد"، والذي لاقا شهرة واسعة بين العلماء والمؤلفين الذي جاؤوا من بعده؛ حيث نقلوا منه عدة قضايا متعلقة بالصوت[3]، وكذا كتاب "الأرجوزة المنبهة" وغيرها من المؤلفات التي تضمنت بعض المسائل والتي حرص من خلالها على التفرد بظاهرة أو اثنين من الظواهر الصوتية من مثل "الوقف والابتداء" والذي عالج فيه قضية الوقف والابتداء مثلا.

اعتمد الدّاني في دراسته الصّوتية على الطّريقة التّعليمية، حيث وظّف المنهج التّعليمي في أبحاثه مخالفا بذلك مذهب سابقيه كالخليل وسيبويه. في حين نستطيع القول أنّه اتّبع طريقة مكي في الدراسة وذلك باستخدام الجانب النظري وتمثيله بنماذج من القرآن الكريم أي إلحاقه بالتطبيقي. فكلّ من أبي عمرو الدّاني ومكي استطاعا

[1] مكي بن أبي طالب أبي محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط03، 1404هـ-1984م، ج01/ ص46.

[2] المصدر نفسه، ص 72.

[3] ينظر: الداني، المصدر السابق، ص43.

الخروج من الجانب النّظري وتوظيف الجانب التّطبيقي في مؤلفاتهم العلمية، وهو ما جعلنا نقول إنّهما اتبعا منهجا صوتيا تعليميا محضا، وذلك بغية تسهيل الدّراسة وإيصال المعلومة بطريقة سهلة وشيّقة تفيد القارئ والمتعلّم. لكن هذا لا ينفي إتباع الداني لسيبويه من الجانب المعرفي[1]، وحتى من ناحية المنهج فقد اعتمد على الوصف كما فعل سيبويه إلا أنّه خرج عنه إلى الناحية التطبيقية فقط.

إنّ تأثر الداني بسيبويه ظهر جليا في مؤلفاته، فإذا نظرنا إلى الجهاز النطقي لديه نجده قد تتبع طريقة سيبويه ولكن خالفه في عدم التفصيل الممل لها، فهو القائل: "اعلموا أنّ قطب التّجويد وملاك التّحقيق، ومعرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج. وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصّة، إذ هو الصحيح المعمول عليه، إن شاء الله تعالى"[2]. وهذا الموقف دلت عليه كتاباته وأبحاثه الصوتية.

أمّا فيما يتعلق بالأصوات اللغوية فإن الداني قد استحدث مصطلحا جديدا تحت مسمى الأصوات الجامدة، حيث قسم الأصوات اللغوية إلى قسمين اثنين هما: الأصوات الجامدة وأصوات المد واللين. وأراد بالصوت الجامد جل الأصوات العربية مستثني منها أصوات المد واللين وهي: الألف، الواو، الياء. وعدد الأصوات عنده تسعة وعشرون صوتا على مذهب سيبويه، إذ جعل يقول: "فأمّا حروف المعجم فهي تسعة وعشرين حرفا، ولها ستّة عشر مخرجا، ومعنى المخرج أنّه الموضع الذي ينشأ منه الحرف، وتقرب معرفته أن يسكن الحرف، وتُدْخل همزة الوصل عليه، ليُتوصَّل إلى النّطق به، فيستقرّ اللّسان بذلك في موضعه فيتبيّن مخرجه"[3]، وهي على النحو التالي: ا، ه،ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و.

خلف لنا أبو عمرو الداني إرثا لغويا ثريا بالمسائل الصوتية التي تطرق إليها والتي ربطها بالجانب التطبيقي من خلال التطبيق على آيات القرآن الكريم، مستلهما دراسته من العالم الجليل سيبويه. فجاءت دراسته غنية بما وظفه من أمثله قرآنية معينة بذلك القارئ والمتعلم في فهم الدرس الصوتي.

[1] ينظر: الداني المصدر السابق، ص102.
[2] نفسه، ص102.
[3] المصدر نفسه، ص102.

ج. ابن الجزري (751هـ-833هـ)

لم تتوقّف الكتابة عن الصّوت ومدى ارتباطه بعلم التّجويد عند ابن مكي والدّاني بل تعدّت أولئك بكثير، ويعدّ هذان العالمان الجليلان أوّل من وضعا اللّبنات الأساسية لهذا العلم بربطه بعلم التجويد مستندين على ما جاء به علماء اللّغة الأوائل؛ حيث ظهر لنا العالم الفذ ابن الجزري والذي راح هو الآخر يضع بصماته على هذا العلم ليستخرج لنا جودة أفكاره في كتبه المنتشرة بين الطلبة والدّارسين.

وحسب ما ورد عند ابن مكي والداني في تتبعهما المنهج الوصفي التعليمي لاحظ ابن الجزري أن هذا المنهج هو الأكثر وضوحا وسلاسة لمن يريد الدراسة التطبيقية، فتشبعت بذلك كتبه بالمادة الصوتية التي ساقها بأسلوب شيق واضح الدلالة وكغيره من العلماء عدّد ابن الجزري مخارج الحروف وصفاتها كما تطرق لتعداد الأصوات وذلك بالإشارة دائما إلى آراء سابقيه.

تناول ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر الحديث عن مخارج الحروف وقد بين أن العلماء قد اختلفوا في عددها قائلا: "أمّا مخارج الحروف، فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ومكي ابن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي وابن الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها"[1]. فالواضح إذن أن المخارج اختلفت من عالم لآخر ويمكن رد ذلك إلى تذوق الأصوات الذي يختلف من عالم لآخر.

يذكر أنّ ابن الجزري وضع ألقابا للحروف التي شملت تسعة وعشرين حرفا، حيث قال: "إنما سمِّيَ كل واحد من التسعة والعشرين حرفا -حرفا على اختلاف ألفاظها لأنه طرف للكلمة في أولها وفي آخرها، وطرف كل شيء حرفه من أوله ومن آخره، ولذلك كان أقل عدد أصول حروف الأسماء والأفعال ثلاثة: طرفان ووسط"[2]. ومن بين الألقاب التي وضعها ابن الجزري لدينا: الحروف الحلقية، اللهوية، الشجرية، الأسلية...إلخ.

[1] ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ج01/ ص198.

[2] ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط01، 1421هـ-2001م، ص89.

وعليه بما أنّ ابن الجزري اهتم وبشكل كبير بربط الدراسة الصوتية بالقراءات القرآنية، فإنه بحث في العديد من المسائل والقضايا المرتبطة بعلم التجويد؛ حيث درس الظواهر الصوتية كالإدغام، والمد والتّفخيم والوقف والابتداء وغيرهم. وبهذا يكون ابن الجزري قد أعطى إضافة جديدة للدّرس الصّوتي من خلال تناوله للظواهر الصوتية وكذا تسليط الضوء على جهود القدامى وما قدموه للبحث الصوتي.

1. مخارج الحروف عند علماء التجويد:

لقي موضوع مخارج الأصوات عند علماء التجويد عناية كبيرة لاسيما وأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم فبحثوا فيه وجعلوا له كتبا خاصة به تيسر للقارئ التعرف على مخرج الصوت وضبطه حين القراءة والتجويد مستندين في دراستهم على ما قدمه العلماء الأوائل أمثال الخليل وسيبويه. وقد قسّم علماء التّجويد مخارج الحروف إلى قسمين هما[1]:

أ/ المخرج المحقق: وهو الذي تتحقق ونتأكد من خروج الصوت منه بحيث يستند الحرف على موقع معين من جهاز النطق كالحلق أو اللسان أو الشفتين.

ب/ المخرج المقدّر: وهو الذي لا يستند فيه الحرف على مكان معين إنما يخرج من الجوف مباشرة وهذا المخرج مرتبط بحروف المد الثلاثة.

عدّ علماء التجويد مخارج الحروف بسبعة عشر مخرجا وهو ما جاء به ابن الجزري حين قال: "أمّا مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عند من تقدمنا من المحققين كالخليل ومكي بن أبي طالب القيسي، والهذلي وأبي الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجا"[2]. الملاحظ من قوله أنّ علماء التجويد ساروا على نهج القدامى في تحديد مخارج الحروف وجعلوا عددها سبعة عشر كما فعل الخليل من قبل بخلاف أبو عمر الداني الذي عدّها ستة عشر مخرجا، جاعلا عدد الحروف تسعة وعشرين حرفا حيث قال: "فأمّا حروف المعجم فهي تسعة وعشرون حرفا، ولها ستة عشر مخرجا، ومعنى المخرج أنه الموضع الذي ينشأ منه الحرف، وتقرب معرفته أن يسكن الحرف وتدخل همزة الوصل عليه، ليُتَوَصّل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه"[3].

[1] ينظر: جمال بن إبراهيم القرش، دراسة المخارج والصفات، مكتبة طالب العلم ناشرون، جمهورية مصر العربية، ط01، 1433هـ-2012م، ص14.

[2] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المصدر السابق، ص198.

[3] الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، المصدر السابق، ص102.

والراجح أنّ جل العلماء والباحثين الذي أتوا من بعدهما والذين قدموا دراساتهم حول هذا الموضوع استندوا على ما قدمه ابن الجزري سواء في عدد الحروف أو مخارجها أو صفاتها فقد اعتبروه شيخهم وإمامهم في ذلك.

الواضح أنّ علماء التجويد لم يجددوا في تحديد المخارج إنّما ركزوا دراستهم حول طريقة تصنيف الحروف بحسب الجهاز الصوتي وذلك وفقا لما يتطلبه ترتيل القرآن الكريم وتجويده. وهو ما صرح به إمام المحققين وشيخهم ابن الجزري قائلا: "والكلام على كل حرف بانفراده، فصل مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجا، وعند سيبويه وأصحابه ستة عشر، لإسقاطه الجوفية وعند الفراء وتابعيه أربعة عشر لجعلهم مخرج الذلقية واحدا"[1]. فأبو عمرو الداني سار على نهج سيبويه وذلك بإسقاطه مخرج الجوف. وإنّ ما اتفق عليه علماء التجويد وما أقره ابن الجزري أنّ المواضع المتفق عليها هي: الجوف، الحلق، اللسان، الشفتان، الخيشوم. وصنفت الحروف قياسا عليها على النحو التالي[2]:

المخرج الأول: الجوف يخرج منه ثلاثة حروف هي: الألف والواو والياء الساكنات، الألف المسبوق بالفتح ولا يكون إلا كذلك، والواو المسبوق بالضم، والياء المسبوق بالكسر.

المخرج الثاني: أقصى الحلق، يخرج منه حرفان هما: الهمزة والهاء.

المخرج الثالث: وسط الحلق، يخرج منه حرفان هما: العين والحاء.

المخرج الرابع: أدنى الحلق، يخرج منه حرفان هما: الغين والخاء.

المخرج الخامس: ما بين أقصى اللسان مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى، يخرج منه حرف القاف.

المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف قليلا وما يحاذيه من الحنك الأعلى يخرج منه حرف الكاف.

المخرج السابع: وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، يخرج منه ثلاثة أحرف هي: الجيم والشين والياء.

[1] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص113.

[2] ينظر: المهدي محمد الحرازي، بغية المريد من أحكام التجويد، دار البشائر الإسلامية، بيروت/لبنان، ط01، 1422هـ-2001م، ص252-257.

المخرج الثامن: من أوّل حافة اللسان وما يحاذيه من الأضراس العليا، يخرج منه حرف الضاد. وقيل فيه أنّ خروجه من الجانب الأيسر أيسر، ومن الأيمن أصعب وأقل.

المخرج التاسع: يبدأ من حافة اللسان أدناه إلى منتهى طرفه، مع ما يحاذيها من اللثة العليا، يخرج منه حرف اللام.

المخرج العاشر: طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، أسفل اللام قليلا يخرج منه حرف النون.

المخرج الحادي عشر: من مخرج النون إلا أنه أقرب إلى ظهر اللسان ويخرج منه حرف الراء.

المخرج الثاني عشر: طرف اللسان ومن أصول الثنايا العليا مصعدا إلى الحنك الأعلى يخرج منه: الطاء والتاء والدال.

المخرج الثالث عشر: من بين طرف اللسان فوق الثنايا العليا والسفلى مع انفراج قليل بينهما يخرج منه: الصاد والسين والزاي ، وتسمى حروف الصفير.

المخرج الرابع العشر: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا يخرج منه: الظاء والذال والثاء.

المخرج الخامس عشر: من باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا يخرج منه حرف الفاء.

المخرج السادس عشر: ما بين الشفتين يخرج منه: الباء والميم والواو. مع انفتاح الواو قليلا، وانطباق الباء والميم.

المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو تجويف الأنف الداخلي بالتحديد في أقصاه، وتخرج منه أحرف الغنة هما: النون والميم، بحيث أنّ النون الساكنة والتنوين حال إدغامهما بغنة أو إخفائهما، والنون والميم المشدّدتان.

2. صفات الحروف عند علماء التجويد:

تعدّ صفات الحروف من المسائل المهمّة التي تطرق لها العلماء خاصة علماء القراءات لما تحمله هذه الأخيرة من إيضاح للصوت للحصول على تلاوة حسنة وصحيحة، وقد اختلفت وجهات النّظر لدى علماء

القراءات والتجويد. فكانت الصفات عندهم معتمدة على الأداء الحسن والنطق الصحيح، وبالرغم من تعددها إلا أننا سنكتفي بما عرضه القرطبي في كتابه الموضح في التّجويد. والتي سنرصد منها[1]:

الجهر والهمس: جمعت الحروف المهموسة في قولنا (سكت فحثه شخص) وهي بهذا عشرة حروف، أما ما بقي منها فهي مجهورة، وهي تسعة عشر حرفا.

الشدة والرخاوة: الحروف الشديدة ثمانية أحرف جمعت في قولنا (أجدت طبقك)، في حين أن الحروف التي تدور بين الشدة والرخاوة عددها ثمانية أيضا جمعت في (لم يروعنا)، وما سواهما فهي حروف رخوة.

الإطباق والانفتاح: الحروف المطبقة أربعة هي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وسميت كذلك لرفع اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا عليه، أما باقي الحروف فهي حروف الانفتاح.

الاستعلاء والانخفاض: والحروف المستعلية سبعة، هي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والظاء والصاد، وسميت كذلك لصعود الصوت بالحروف في الحنك الأعلى، وما عدا هذه الحروف السبعة فهي منخفضة والتي لا يتصعد الصوت فيها ولا يعلو.

الصحة والاعتلال: حروف العلة ثلاثة هي: الألف والياء والواو، أما بقية الحروف فهي صحيحة.

الزيادة والأصل: وجمعت حروف الزيادة في قولنا (سألتمونيها)، ما سواها حروف أصلية.

الذلاقة والإصمات: حروف الذلاقة ستة هي: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم، وسميت مذلقة لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان ومنتهى صدره وطرفه، أما باقي الحروف فهي مصمتة لأنه صمت عنها أن تبنى كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلاقة.

تسمى هذه بالصفات العامة التي تداولها علماء التجويد واللغويون من قبل، وإضافة إلى هذه الصفات هناك نوع آخر يسمى بالصفات الخاصة وقد أشار إليها القرطبي في ثنايا مؤلفه، والمتمثلة في: الانحراف، التكرار

[1] ينظر: القرطبي عبد الوهاب بن محمد، الموضح في التّجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر، عمان/الأردن، ط01، 1421هـ-2000م، ص88-93.

والقلقلة والمهتوتة والمشوبة والتفشي والجوف والجرس والخفية والصفير والمستعينة والراجع والغنة والمصوتة[1]، وقد تم التطرق إليها سابقا أثناء عرضنا لصفات الحروف عند القدامى.

لقد ثمة الإشارة سابقا إلى تبيين الجهود الصوتية التي بذلها العلماء القدامى والتي شكلت انطلاقة فعالة لمن جاؤوا من بعدهم فوضعت بذلك أرضية صلبة يستند عليها كل عالم للإبحار في هذا النوع من العلوم وهو ما نلاحظه عند علماء التجويد والقراءات الذين استفادوا كثيرا من مجهودات العلماء الأوائل ولكن هذا لم يمنعهم من تقديم بعض الإضافات التي وسعت من دائرة علم الأصوات؛ حيث انصب اهتمام علماء القراءات على مخارج الحروف وصفاتها اهتماما كبيرا نظرا لارتباط دراستهم بالقرآن الكريم فكان بذلك الأجدر لهم معرفة مكان خروج الصوت ليصبح نطقه صحيحا عند التلاوة والتجويد، ذلك أن النطق الصحيح للأصوات يؤدي إلى المحافظة على القرآن الكريم وبالتالي إعطاء الفهم السليم للآية الكريمة.

كما اهتم علماء التجويد والقراءات بالظواهر الصوتية اهتماما واضحا فركزوا عليها من عدة جوانب كالفاصلة والتنغيم والنبر وغيرهم، فالتغيرات الصوتية التي تطرأ على الآيات الكريمات كالضغط على بعض الأصوات أو تغيير نبرة الصوت إما بالتفخيم أو الترقيق أو تغيير مستوى النغمة بالانخفاض أو رفع درجة الصوت له دور كبير في إعطاء التفسير الصحيح للآية أو السورة بأكملها ذلك أن طبقات الصوت تتغير عند القراءة وأن الاختلاف يحدث بحسب الموضوع المتحدث عنه في السورة. فالآيات التي تتحدث عن مشاهد يوم القيامة تختلف عن تلك التي تتحدث عن الرحمة ونعيم الجنة وهكذا.

تنبه علماء القراءات لمسألة التوقفات الصوتية فاشتغلوا على الوقف وأعطوا له حقه من الدراسة كونه يحافظ على إبراز المعنى وتوضيحه، كما لم يغفل أولئك علماء عن التطرق لأنواع القراءات التي تبرز فيها التغيرات الصوتية وبشكل كبير فأولوا لها العناية التامة. وبهذا نجد أنّهم قد ساهموا في تطور علم الصوتيات وأضافوا له لمسات جديدة مردها القرآن الكريم.

[1] للتفصيل أكثر ينظر: القرطبي، المرجع السابق، ص 92 وما يلي.

المبحث الثاني: الجهود الصوتية عند اللغويين المحدثين

المطلب الأول: الصوت عند الأمم السابقة والغربيين المحدثين

أولا: الصوت عند الأمم السابقة

إنّ انشغال الأمم السّابقة بالدّراسات اللّغوية فتح لهم المجال للكشف عن الجانب الصّوتي الذي بحثوا فيه، وهذا ما يثبت أنّ الأبحاث الصّوتية ليست وليدة السّاعة إنما ظهرت منذ القدم، وهو ما جعل العلماء المحدثين يبنون أبحاثهم الصوتية على ما قدمه الأوائل، وفي إشارة وجيزة سنتطرق إلى ما أنجزته الأمم السّابقة للنهوض بهذا العلم، نذكر أبرزهم:

أ. عند الهنود:

الهنود من أقدم الشّعوب التي اهتمت بالتّفكير الصوتي وذلك لحرصهم الشديد على الأداء السليم لكتابهم المقدس "الفيدا"، وكذا للحفاظ عليه خوفا من التلف والضياع، فقد كان التفكير الصوتي عندهم منصبا على النصوص المكتوبة بلغتهم للمحافظة على موروثهم الدّيني واللّغوي[1] فاشتغلوا على ضبط المخارج وكيفية نطقها بما يوافق نصوصهم الدينية.

ويعدّ العالم النّحوي "بانيني" من أبرز العلماء الذين وصفوا لغتهم وصفا دقيقا مبينا مخرج الصوت والهيئة التي يكون عليها، فالرّاجح أنّ الهنود تطرقوا لكل الجوانب الخاصة بالصوت وهو ما أكده عبد العزيز علاّم وعبد الله ربيع من أنّ: "أهم الأفكار الصّوتية التي تناولها الهنود فكرة: ماهية الصّوت اللّغوي، والتّفريق بينه وبين الصّوت بمعناه العام، كذلك عرفوا تقسيم الأصوات بحسب مخارجها، كما وضعوا لها تقسيمات أخرى تبعًا لملاحظ متعدّدة التفتوا إليها: فقسّموها مثلاً من ناحية الجهر والهمس، ومن ناحية اتّساع المخرج عند النّطق بها، كما يلاحظ أنّهم قد انتبهوا كذلك إلى الظّواهر الأدائية في لغتهم كالنّبر والتّنغيم وطول الصّوت، وقد كان "بانيني" صاحب أقدم وصف علمي وصل إلينا لظاهرة النّبر"[2].

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة/مصر، ط02 ، ص11-12.

[2] عبد العزيز أحمد علاّم وعبد الله ربيع محمود، علم الصّوتيات، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض/السعودية، 1430هـ-2009م، ص71.

وعليه فإنّ الدرس الصوتي عند الهنود كان من أهم الركائز التي استند عليها المحدثون والتي شغلت فكرهم فراحوا يستخرجوا منها القواعد الأساسية التي تعينهم في دراساتهم الصّوتية، وبهذا يمكننا القول أنّ الهنود من أنجع الأمم خاصة من جانب الحفاظ على إرثهم العظيم ألا وهو كتاب الفيدا واللّغة السّنسكريتية.

ب. عند اليونان:

عُرف اليونان بشغفهم الكبير للفلسفة والشعر، فكان الجانب الأدائي عندهم ذو أهمية كبيرة، الأمر الذي قادهم إلى معالجة القضايا الصوتية من جانبها النطقي بصورة واضحة، وهو ما حرص عليه خطبائهم، ثمّ إنّ "الفلاسفة الإغريق كانوا يجعلون تعلم الأصوات ركيزة أساسية من ركائز تعلم الفلسفة، مثلما هي أساس من أسس تعلم اللغة"[1]، فتعلم الأصوات عندهم ليس فقط لتحسين النطق؛ بل إن خروج الأصوات من أمكانها بطريقة صحيحة يؤدي إلى الفهم الصحيح للجمل؛ وبالتالي الوصول إلى المعنى الحقيقي للكلام.

ما يمكن الإشارة إليه هو أنّ علماء اليونان لم يخلفوا لنا آثارا أو مدونات حول ما بحثوا فيه عن المجال الصوتي، إنما جاءت دراساتهم متناثرة بين طيات الكتب المختلفة، "فالمادّة الصّوتية المأثورة عن اليونان ، نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشّعر والخطابة لأرسطو، ونجد أكثرها في كتابات نحوييهم، مثل:ديونيزيوس ثراكس، وديونيزيس هاليكارناسوس"[2]؛ ذلك أن أفكار الشعراء والفلاسفة لديهم انصبت حول مدى أهمية الصوت في كونه جزء مهم من هذا الكون، وأنّ كل شيء في هذا الوجود له صوت خاص به ويعبر عنه؛ فهو إذن ظاهرة فيزيائية تتخذ كوسيلة للتعبير والتواصل.

بهذا يمكننا القول أنّ الفكر اليوناني وإن لم يخلف لنا إرثا واضح المعالم، إلّا أن أبحاثه جسدتها كتابات شعراءهم وخطباءهم وحتى فلاسفتهم.

[1] سمير شريف إستيتة، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، دار عالم الكتب الحديثة، اربك/الأردن، ط02، 1429هـ-2008م، ص18.
[2] محمود السعران، المرجع السابق، ص87.

ج. عند الرومان:

لم يقدم علماء الرومان أي جديد حول الدراسة الصوتية، كونهم كانوا مجرد مقلدين لا غير، يقول محمود السعران في هذا الصدد "أمّا الرومان، وهم مقلّدون في هذا الميدان كما قلّدوا اليونان في أكثر المسائل الفكرية والثقافية، فنجد جانبا كبيرا من المادّة الصّوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم، مثل: بريسكيان، وترنتيانوس، وماوروس فيكتورينوس"[1]. فلم يقدّم الرومان أيّة إضافات للمادة الصوتية، فما دوّنوه كان مجرد نقل عن الثقافة اليونانية؛ حيث تبنوا العديد من الأفكار والمفاهيم، أبرزها المادة الصوتية التي لم يبدعوا فيها إنما أخذوها من الثقافات الأخرى، أهمها الثقافة اليونانية.

ثانيا: الصّوت عند الغربيين المحدثين

بدأت الدّراسات الصّوتية تأخذ منحنى التّطور والظهور الواسع في الوسط العلمي، الأمر الذي جعل العلماء في أوربا يجتاحون هذا النّوع من العلوم، ولعلّ أوّل من حرك الرّغبة في البحث في هذا العلم لديهم؛ علماء الإنجليز من مثل "والس" و "هولدر"، فقد كانت أوروبا تزخر بالعديد من العلماء خاصة منتصف القرن السابع عشر الميلادي؛ حيث بدأ البحث اللغوي ينمو ويتضح على أيدي علماء إنجليز، أمثال: هولدرHolder ووالس Wales، إذ تعتبر أعمالهما من أهم الأعمال التي ظهرت خلال تلك الفترة، والتي خصصت للبحث اللّغوي عامة والصوتي خاصة، فوالس Wales مثلا؛ ركز على كيفية نطق الأصوات، كما قارن بين الأصوات الإنجليزية وما يناظرها في اليونانية والعبرية، أمّا هولدر Holder فقد وصف لنا أعضاء الجهاز النّطقي، وميّز بين الأصوات المجهورة والمهموسة، كما وصف الهمزة وصفا علميا، في حين ألّف جونز كتابا في الأجرومية الإنجليزية تناول فيه أصوات اللّغة من النّاحية الفيسيولوجية والتّشريحية، واستطاع تحديد الأصوات الصّامتة والصّائتة، وقد كانت هذه الدّراسات فاتحة لدراسات أخرى كثيرة في هذا المجال[2].

لم تقتصر جهود العلماء على تقديم نظريات وأفكار حول المفاهيم الصوتية فحسب، بل امتدت اجتهاداتهم إلى إنشاء معامل مخصصة، تطبق فيها تلك الدراسات التي أخذوها من سلفهم وطوّروا فيها ابتكاراتهم، وقد شهدت الدراسات اللغوية ظهور علم جديد، سمي بعلم الأصوات التّجريبي، وذلك تماشيا والتّطور التّكنولوجي

[1] محمود السعران، المرجع السابق، ص88.

[2] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المرجع السابق، ص97.

الحاصل، فأنشأت له المخابر والآلات التقنية للنهوض بهذا العلم، فأنشأ أول معلم صوتي في جامعة باريس عام 1897م، وهذا ما ساهم في تقدّم الصوتيات، ومنذ هذه اللّحظات أصبح ينظر لعلم الأصوات على أنّه علم تطبيقي، فسخروا له العديد من المعامل، وأضحت بذلك الظروف مهيأة له من عدة نواحي، للحصول على نتائج جد مرضية.

المطلب الثاني: الصوت عند اللّغويين العرب المحدثين

استلهم العلماء العرب المحدثون دراستهم الصّوتية من بحوث القدامى، وأيضا من الإنجازات التي حقّقها الغربيون، وذلك عن طريق تأثّرهم بالفكر الغربي من خلال دراستهم في الجامعات الغربية بالأخصّ الأوروبية، فتكوّنت لديهم المنهجيّة الأوروبية والتي وظّفوها في مؤلفاتهم، الأمر الذي دفع بهم إلى محاولة الجمع بين الحداثة والمعاصرة، فحملت كتبهم بين دفّتيها العديد من المفاهيم والمصطلحات الغربية مع الإشارة دائما إلى الجانب التّراثي للعلماء العرب القدامى.

لم تنطو فكرة الجمع بين الدّراسة الغربية والعربية القديمة على عالم أو اثنين، إنّما سار على نهجها العديد من العلماء المعاصرين في محاولة منهم لتسهيل سبل الدّراسة والفهم للمستوى الصّوتي، ولتقريب المفاهيم للقارئ العربي المعاصر ذلك أنّ اجتهادات القدامى اعتلاها بعض الغموض؛ ولم تواكب التّقنيات المعاصرة؛ التي كشفت على العديد من المفاهيم، وكذا محاولة ترجمة وتعريب المصطلح الغربي لإيصاله للقارئ العربي في أبسط حلّة.

ومن ضمن العلماء الذّين تأثّروا بالمنهج الغربي وواكبوا التّطور الحديث وكان لهم الحرص والمحافظة على الجهد العربي القديم، لدينا: إبراهيم أنيس من خلال كتابه (الأصوات العربية)، تمام حسان (مناهج البحث العربي)، كمال بشر (دراسة الصوت اللغوي)، محمود السعران (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)، أحمد مختار عمر(دراسة الصوت اللغوي) وغيرهم، وسنقتصر في دراستنا على ذكر البعض منهم، وذلك على النحو الآتي:

أ. إبراهيم أنيس (1324هـ-1397هـ/1906م-1977م)

يعدّ كتاب إبراهيم أنيس "الأصوات اللّغوية"، أهم مرجع لدراسة الأصوات في العصر الحديث، فقد استفاد منه عدّة علماء ودارسين جاؤوا من بعده، واغترفوا من علمه، مثل: كمال بشر (علم الأصوات)، عبد الصّبور شاهين (المنهج الصوتي للبنية العربية)، أحمد مختار عمر(دراسة الصوت اللّغوي)...وغيرهم، وبهذا يمكن القول أنّ إبراهيم أنيس أحدث نقلة نوعية في مجال الدّرس الصوتي في العالم العربي في العصر الحديث، كونه ربط بين الدّراسة الغربية، والدّراسة الصّوتية لدى القدماء، وأصدر بذلك كتابا يتماشى وحاجة الدّارس العربي المعاصر، ومن هنا نستطيع القول بأنّه ربط القديم بالجديد، ليخرج لنا بكتاب متوازن يحاكي اللّغة العربية، "فهو أوّل كتاب متكامل باللّغة العربية عن الدّراسات الصّوتية على المنهج اللّغوي الحديث"[1]. مواكبا بذلك التقدم الحاصل في المجال العلمي اللغوي.

أَوْلَى إبراهيم أنيس أهمّية كبيرة للدّراسة الصّوتية، الأمر الذي دفع به إلى تأليف كتاب الأصوات اللّغوية؛ حيث تبرز هذه الأهمية في أنّه حرص –إبراهيم أنيس– على تناول المسائل الصّوتية ضمن أساس علمي حديث، مستفيدا من البحوث الغربية دون إهمال لجهود القدامى.

والجدير بالذّكر هو اهتمام إبراهيم أنيس بالبحث اللّغوي الذي قدمه العلماء الأوائل؛ من أمثال: الخليل ابن أحمد، سيبويه، ابن جني... وغيرهم، وهو ما أقرّه ضمن كتابه، مشيدا بأفكارهم، وبمنهجية سردهم لقضايا الصّوتيات.

فالمتصفّح لكتاب إبراهيم أنيس، يجد أنّه وبعد ذكر المقدمة، استهل حديثه عن الظّاهرة الصّوتية، وعن أهميّة السّمع في انتقاء الأصوات وإفرازها؛ حيث تحدث قائلا: "الصّوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها"[2]، فتواجد الصّوت مرتبط بالكون وبالظّواهر الطّبيعية التي خلقها الله عزّ وجلّ، فكلّ ما هو مخلوق إلّا وله صوت يميّزه عن غيره، حتى الجمادات وعند القرع عليها تحدث أصواتا تتغيّر بتغيّر ذلك الجماد، وهذا ما يبيّن نوع الصّوت ودرجته التي "تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية"[3]، وهذا كلّه يفرز بواسطة الأذن التي لها قدرة التّميز بين الأصوات.

---

[1] رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص19.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط05، 1975، ص06.

[3] المرجع نفسه، ص07.

لقد أشار إبراهيم أنيس إلى وجود وسط يساعد على انتقال الصّوت؛ قائلا: "أنّ هزّات مصدر الصّوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانيّة"[1]، وهذه الهزّات التي تحدّث عنها، كان قد أشار إليها بقوله: "كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، على أنّ تلك الهزّات لا تدرك بالعين في بعض الحالات"[2]، فالذي يؤكّد وجود الصّوت إذن هو سماعه بواسطة الأذن حتى وإن لم ير بالعين المجردة، لأنّ هناك أصوات تحدث دون رؤية المنبع الذي صدرت منه كصوت الرّعد مثلا.

فالملاحظ على قول إبراهيم أنيس أنّه عرّف الصّوت بطريقة فيزيائية إذ اعتبره ظاهرة طبيعية يحدث نتيجة لهزّات وارتدادات أو نتيجة لارتطام جسم بآخر، وينتقل ذلك الصّوت عبر ممر هوائي ليصل إلى أذن السّامع، هذه العملية الفيزيائية التي تحدّث عنها إبراهيم أنيس سار على نهجها العديد من العلماء من بعده، كما واصل هو نفسه الحديث عنها، وانطلاقا من ذلك عرّف الصّوت الإنساني اللّغوي؛ قائلا: "هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النّفس من الرّئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف، تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن"[3]. ولم يفوّت إبراهيم أنيس فرصة الحديث عن حاسّة السّمع وأهميتها في اكتمال العملية الصّوتية، كما أنّه أشار إلى الأعضاء المساعدة في عملية النّطق، مستعينا في ذلك بصورة توضيحية لأماكن إنتاج الصّوت.

إنّ التّطلّع الشّاسع لإبراهيم أنيس بالثّقافة الغربية، واهتمامه بالدّراسات العربية القديمة، جعله ينهل منهما كل ما يفيد القارئ العربي في العصر الحديث، مواكبا بذلك التّطور الحاصل للدّراسات الصّوتية المعاصرة، وهو ما جعله ينتقل في كتاباته بين جهر الصّوت وهمسه والأصوات السّاكنة وأصوات اللّين، كما تطرق إلى ذكر مخارج وصفات الأصوات السّاكنة، مع معالجة بعض الظّواهر الصّوتية من نبر ومماثلة وموسيقى الكلام، إضافة إلى صوت الطّفل والذي كانت له مكانة خاصّة في الدّراسة والبحث عنده؛ حيث تحدث عن تطور لغته وطريقة صياغته للكلمات وغيرها.

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص06.
[2] المرجع نفسه، ص06.
[3] المرجع نفسه، ص08.

ختاما يمكننا القول أنّ إبراهيم أنيس يعدّ الرّائد الأوّل في المجال الصّوتي الحديث، كونه جمع لنا عصارة تجاربه وكتاباته التي انتقاها من الباحثين الغربيين والتي استخلصها من الدّراسات التّراثية العربية، ويعدّ كتابه الأصوات اللّغوية أوّل مؤلف يقدّم للقارئ العربي القضايا الصّوتية في حلّتها العصرية مرتبطة بمصطلحات القدامى.

ب. كمال بشر(1921م-2015م)

يبدو أنّ الاهتمام بالمجال الصّوتي أضحى ضرورة لكلّ عالم لغوي، ذلك أنّ الصّوت هو أولى المستويات اللّغوية دراسة وتحليلا لمن أراد التّشعب في اللّغة ومعرفة خباياها، ولم تتوقّف حدود المعرفة والبحث عند العلماء القدامى فحسب؛ بل إنّ الفضول العلمي والحرص على حماية صرح اللّغة من الانحراف واللّحن دفع بالمعاصرين إلى التّفقه فيها، وكما خاض إبراهيم أنيس غمار التّجربة الصّوتية كان لكمال بشر نصيب من هذه المعرفة؛ حيث استطاع الاستفادة من العلماء الغربيين دون أن ينسى فضل القدامى، فلم يرجح كفّة العلم والتّعلم بل وازن بين الاثنين، وكانت الوجهة الصّوتية أكثر حظّا عنده –كمال بشر- قبل نظيراتها الصّرفية والنّحوية، وهو القائل في هذا الصّدد: "عندما انتوينا إخراج هذا البحث إلى النّاس كانت تجول بخاطرنا عدّة مشكلات صرفية نحوية معينة تتعلّق بما يسميه علماء العربية (حروف العلّة) ثمّ تأكّد لي بعد أنّ الموضوع لا يمكن أن يبحث بحثا علميا دقيقا دون التعرّض لوجوهه الصّوتية"[1].

احتلت الصّوتيات عند كمال بشر كما احتلت عند السّابقين مكانة علمية قيّمة، الأمر الذي دفع به إلى الحديث عنها ضمن طيّات كتابه (دراسات في علم اللّغة)، بالرّغم من أنّ كتابه هذا تضمّن بعض العناصر التي لا تتوقّف عند حدّ الصّوت إلّا أنّ اعترافه بهذا المجال كان داعما أساسيّا في جعله يخرج لنا بمولود جديد تحت مسمّى (علم الأصوات)، هذا الكتاب الذي أضفى عليه صبغة صوتية عن طريق الدّراسة والتّحليل مع الاهتمام بالجانب التّطبيقي.

فكمال بشر أقرّ منذ الوهلة الأولى في جعل الصّوت محلّ دراسة وبحث لكل من أراد التفقه في اللّغة وفي مستوياتها، لأنّ اللّغة بحد ذاتها تفرض علينا البدء بالجانب الصّوتي كانطلاقة أساسيّة إذ تحدّث قائلا: "وذلك في

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، د.ط، 1998، ص15.

الحقّ هو ما تقرّره الدّراسات اللّغوية الحديثة التي تنصّ على فشل أيّة دراسة صرفية أو نحوية لا تأخذ في الحسبان الجانب الصّوتي للظّاهرة المدروسة"[1].

استطاع كمال بشر أن يخرج لنا أعمالا صوتية قيّمة، استفاد منها الدّارسون، وسار على نهجها المتعلّمون والباحثون، ويمكن تلخيص بعض الجهود التي توصل إليها في النّقاط التّالية:

. نظر كمال البشر للصوت اللغوي من عدة جوانب، تمثلت في الجانب الفيسيولوجي الخاص بأعضاء النطق، والجانب الأوكستيكي الفيزيائي الخاص بالذبذبات الصوتية التي تنتقل عبر الهواء لتصل إلى أذن السامع؛ بحيث جاء تعريفه على النحو التالي: "الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق، والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة"[2]. فالملاحظ أنّه استعان بكل الأعضاء التي تصدر أو تنقل أو تستقبل الصوت.

. عدد كمال بشر الأصوات الصامتة والتي جعلها ثمانية وعشرين صوتا، هي: همزة القطع، والباء، والتاء، والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو (في نحو ولد، يوم) والياء في (يلد، بيت)[3].

. خلافا لما قدمه السابقون حول عدد مخارج الأصوات فإنّ كمال بشر جعلها تشمل أحد عشر مخرجا، مرتبا إياها ترتيبا تنازليا، أي من الشفتين وصولا إلى الحنجرة هذا الترتيب ما عمل به أغلب المحدثين، خلافا لما كان عليه سابقا وهو الترتيب التصاعدي.

هذه بعض النّقاط التي ارتكز عليها كمال بشر من خلال أبحاثه الصوتية والتي أغنت المكتبة العربية وأفادت الطلبة والباحثين سواء في المجال الصوتي أو حتى اللّغوي بصفة عامة.

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، المرجع السابق، ص15.
[2] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة/مصر، 2000، ص119.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

ج. تمام حسّان (1336هـ-1918م/2001م)

اهتمّ العرب المحدثون بالدّراسة الصّوتية أيّما اهتمام، ولم تكن أبحاثهم نظرية فقط بل تعدّت ذلك إلى الجانب التّطبيقي، وذلك لاستفادتهم من التّجارب الغربية والجهود العربية للقدامى، فربطوا مجهوداتهم بما استخلصوه من التّجارب الغربية وقدّموا لنا عصارة أعمالهم ضمن طيّات مؤلفاتهم.

ويعدّ تمام حسان أحد أبرز أولئك العلماء، الذين حاولوا رفع صرح اللّغة العربية، والمضي بها قدما لمواكبة التّطور الحاصل للغات العصر، فحاول بذلك المزج بين التّراث والحداثة، ليخرج لنا زبدة مجهوداته التي استخلصها من كلا التّيّارين، فكانت له بصمته الخاصّة، وأصبح بذلك رائدا للفكر اللغوي، وأحد مجددي الدرس الصوتي، وهذا ما جعل أحد طلابه يصرح قائلا: "ولولا طبيعة الزمان وأن المعاصرة حجاب لبويع تمام حسان أميرا ومجددا للنحو العربي وللدّراسات اللّغوية الحديثة في عالمنا العربي"[1]، هذا ما يشير إلى المكانة العلمية الراقية التي حظي بها بين طلابه، وذلك لكفاءته العلمية؛ حيث اعتبر من المجددين اللغويين اللّذين واكبوا التّحديات العلمية المعاصرة.

ألّف تمام حسان كتابا تحت مسمى "مناهج البحث في اللّغة" والذي تحدّث فيه عن الفوناتيك، أمّا العنصر الموالي فقد تضمن الفونولوجيا، في حين خصص بقية العناصر للحديث عن الأنظمة اللغوية المتبقية، متتبعا بذلك المنهج الوصفي، ولقد عبّر عنها فندريس بقوله: "لا توجد في اللغات أصوات لغوية منعزلة، وهذا لا يعني فقط أنّ الأصوات اللّغوية لا توجد مستقلة وأنّها لا تحلل على انفراد إلا بنوع من التجريد إذ إنها في كل لغة تكوّن نظاما مترابطا، ولكن معنى ذلك أيضا أنها لا تستعمل على انفراد، فلا يتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية، فأقل جملة وأقل كلمة تفترض سلسلة من الحركات النطقية المعقدة وقد تركّبت فيما بينها"[2].

لم يتوقف تمام حسّان عند هذا الحد من الدّراسة الصّوتية؛ بل جعلها ضمن مؤلفه الجديد "اللّغة العربية معناها ومبناها"؛ حيث خصّص لنا جانبا من اجتهاداته، فجعل دراسته ضمن فصلين؛ الفصل الثّاني تحت مسمى "الأصوات"، في حين سمّى الفصل الثّالث "علم الصّوتيات" أو "النّظام الصّوتي"، بهذا نجد أنّه أولى أهمّية كبيرة للصّوت الذي اعتبره أولى المستويات اللّغوية دراسة وتحليلا.

---

[1] صبري الصعيدي، معالجة التراث في المصنفات الغربية اللغوية الحديثة، 2010، نقلا عن: //www.islamonline.net10/1/2010 http:a10:30

[2] فندريس، اللّغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ط، ص83.

درس حسّان الأصوات اللّغوية دراسة تقابلية؛ حيث قال إنّه: "ينبني كلّ نظام من أنظمة اللّغة العربية على طائفة من المقابلات أي أنواع التّخالف"[1]، ومعنى ذلك أنّ اللّغة العربية مبنية على عدّة مصطلحات متقاربة ومتقابلة، مبينا أنّها وبالرّغم من التّقارب الكبير الحاصل بينها إلّا أنّها تحوي فروقات جدّ صغيرة، ينبغي على دارس اللّغة معرفتها، ومن بين هذه المصطلحات المتقابلة: الصّوت والحرف، الفوناتيك والفونولوجيا، المجهور والمهموس، المفخم والمرقق...إلخ.

أدرك تمام حسّان أهمية تصنيف الأصوات، فاتجه نحو ضبطها متأثرا في عمله هذا بإمام النحويين وعالم اللّغويين سيبويه، فاتخذ من منهجه سبيلا في رصد التصنيف الذي وضعه قائلا عنه، أنه —سيبويه– يرى في دراسة الأصوات أهمية كبيرة للانتقال لدراسة باقي الأنظمة اللغوية، ذلك أن النظام الصوتي مرتبط أشد الارتباط باللغة، وأنه يعد كمرحلة تمهيدية لمن أراد التشعب في دراسة النظام الصرفي[2]. يبدو أن حسان قد تأثر وبشكل كبير بالمنهج الذي اتخذه سيبويه وهو ما جعله يقتدي به في أبحاثه.

من خلال ما تم رصده حول العلماء المحدثين العرب، نستنتج أن دراستهم البحثية في المجال الصوتي لم تكن من العدم، إنما انطلقوا من تراث زاخر بالعلم والمعرفة، فكانت إرهاصات الأوائل المنبع الذي اغترف منه المحدثون وانتقوا منه كل ما يفيدهم، إضافة إلى الاحتكاك الذي حصل لهم مع الغربيين؛ حيث استفادوا من جهود الغرب وطبقوها على اللّغة العربية، فجاءت بذلك دراستهم مزاوجة بين الأصالة والمعاصرة.

1. مزايا الصّوت اللّغوي عند المحدثين:

أدّى التّطور التّكنولوجي إلى إحداث ثورة عالمية في ظلّ العولمة الحديثة، إذ أصبح العالم اليوم متمسكا جدّا بهذه التّطورات التي اجتاحت كلّ العلوم لاسيما المجال اللّساني، والذي تخطّى البحث فيه علوما شتى من مثل: الطّب، والحاسوب، والقانون، واللّغة بمختلف مستوياتها ونحو ذلك من العلوم.

إنّ هذا الوضع الجديد للتّكنولوجيا، حفّز العلماء إلى ضرورة تعميمها على بقية العلوم، ممّا دفع بعلماء الأصوات كذلك إلى استخدام هذه الأجهزة والآلات؛ للكشف عن أماكن تموضع أعضاء الجهاز النّطقي مع

[1] تمام حسّان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص09.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص50.

تجريب الأصوات، وتتبّع مناطق خروجها، فعلماء الأصوات استغلّوا فرصة تواجد هذه التّقنيات الحديثة، وقاموا بتوظيفها في المخابر، لتجربتها والتّطبيق عليها لبناء قاعدة صوتية متينة، تسمح لعلم الأصوات بالاستجابة للتّطورات الحاصلة في العصر الحالي.

1.1. مخارج الأصوات عند اللّغويين المحدثين:

إنّ المتتبع لمسألة الدّرس الصّوتي يدرك تماما أهمية مخارج الأصوات والتي لا بدّ من معرفتها والتّطرق لها بشكل مفصّل، لذلك لم يغفل المحدثون عن هذه المسألة الدّقيقة بالوصف والتّحليل؛ بل عرجوا إلى دراستها وبحثوا عن مخرج كلّ صوت على حدا، فكان معجم العين الركيزة الأساسية باعتباره أوّل معجم عالج موضوع الأصوات، ولقد تطرّق فيه الخليل لمسألة المخارج والتي نظر إليها المحدثون من منظور آخر، رتبوا المخارج كلّ حسب طريقته؛ فمنهم من نظر لها من النّاحية النّطقية؛ ومنهم من رآها من الجانب الفيزيولوجي، ولذلك اختلفوا حول عددها؛ فمنهم من عدّها أحد عشر مخرجا أمثال: إبراهيم أنيس، محمود السعران، أحمد مختار عمر؛ ومنهم من جعلها عشرة مخارج أمثال: تمام حسان، رمضان عبد التواب، عبد القادر الخليل وهذا هو الغالب والمعمول به[1].

قبل التّطرق لتحديد المخارج وأنواعها لا بد لنا من معرفة ما هو المخرج عند المحدثين، وهل بقيت تسمية المخرج على حالها عندهم أم تمّ تغييرها تبعا لتأثرهم بالفكر الغربي؟

أ. مفهوم المخرج:

هو "الموضع الذي يتكوّن فيه الصّوت وهو مكان نطق الأصوات، وبذلك يكون مفهوم المخرج أو موضع النّطق واحد عند القدماء والمحدثين"[2]، فلقد تطرق المحدثون للمخرج مع محاولة منهم لتغيير اسمه، وإيجاد بديل آخر عن هذا المصطلح، وهو ما نلحظه عند أحدهم حيث استخدم اسم (المحبس)[3]، في حين قال آخرون باسم

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص45-74.

[2] عبد العزيز الصيغ، المرجع السابق، ص25.

[3] محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت/لبنان، ص 148.

(الموضع) في إشارة لهم بوضع الصوت في مكان معين دون تغيّره منه، أمّا ابن يعيش فقد عرفه على النحو التالي: "المقطع الذي ينتهي عنده الصوت"[1]؛ أي المكان الذي تتوقف عنده النّفس وينقطع الهواء.

وبالرّجوع إلى القدامى نلاحظ أنّ الخليل استخدم اسم المدرج والمبدأ كما تمّت الإشارة له سابقا، وذلك على اعتبار خروج الصّوت من مخرج محدد له ووصوله إلى مخرج آخر.

ب. تحديد المخارج:

إنّ التّقسيم الذي اعتمده المحدثون لمخارج الأصوات يكاد يكون واحدا عند أغلبيتهم، والممثّل في عشر مخارج وهي كالآتي[2]:

01. الشّفة "وعند بعض العلماء الشفتان"، ويسمى الصوت الخارج منها شفويا أو **شفتانيا**، وهي: ب، و، م.

02. الشّفة مع الأسنان، ويسمى الصوت الخارج منها شفويا أسنانيا، وهو صوت الفاء فقط.

03. الأسنان: ويسمى الصوت الخارج منها أسنانيا، وهذه الأصوات هي: ذ، ظ، ث.

04. الأسنان مع اللّثة، ويسمى الصوت الخارج منهما أسنانيا لثويا، وهي: ت، د، ض، ط، ز، س، ص.

05. اللّثة، ويسمى الصوت الخارج منها لثويا، وهي: ل، ر، ن.

06. الغار، ويسمى الصوت الخارج منه غاريا، والأصوات الغارية هي: ش، ج، ي.

07. الطبق: ويسمى الصوت الخارج منه طبقيا، وهي: ك، غ، خ.

08. اللّهاة، ويسمى الصّوت الخارج منه لهوي، ويوجد منه في العربية صوت واحد، وهو: القاف "ق".

09. الحلق، ويسمى الصّوت الخارج منه حلقيا، ومنه صوتان هما: ع، ح.

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 05/ ص 516.

[2] محمود عكاشة، المرجع السابق، ص39/ انظر كذلك: رمضان عبد التواب، المرجع السابق، ص30-31.

10. الحنجرة، ويسمى الصّوت الخارج منها حنجريا، ومنه في العربية: الهمزة والهاء.

اعتمد أغلب المحدثين على هذا التّقسيم كونه جمع لنا كلّ المخارج، في حين نلاحظ بعضهم قد خرج عن هذا التّقسيم؛ فمنهم من زاد عليه ومنهم من أنقص، ويعتبر سعد مصلوح واحدا من الذين أنقصوا مخرجا، وعدّوهم تسعة مخارج جاعلا "الحروف اللّثوية "ل، ر، ن" تخرج من المخرج المسمى بالأسناني اللّثوي، وهو مخرج "د ض ت ط س ص ز"[1]، أمّا إذا اعتبرنا مخارج الحروف أحد عشر مخرجا، فنجد كمال بشر هو المتحدث عن هذا التّقسيم، فقد زاد مخرجا على سابقيه مع جعل بعض الأصوات مكان أخرى، وقد جاء تقسيمه على النّحو التّالي[2]:

01/أصوات شفوية؛ وهي الباء والميم وكثيرا ما يشار إلى الواو أيضا (في نحو وعد) بأنها شفوية.

02/ أسنانية شفوية؛ وهي: الفاء.

03/ أسنانية أو أصوات ما بين الأسنان؛ وهي: الثاء والذال والظاء

04/ أسنانية– لثوية؛ وهي: التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون.

05/ لثوي؛ وهي: الراء والزاي والسين والصاد.

06/ أصوات لثوية –حنكية؛ وهي: الجيم الفصيحة والشين

07/ أصوات وسط الحنك؛ وهي: الياء

08/ أصوات أقصى الحنك؛ وهي: الخاء والغين والكاف والواو

09/ أصوات لهوية؛ وهي: القاف

10/ أصوات حلقية؛ وهي: العين والحاء.

11/ أصوات حنجرية؛ وهي: الهمزة والهاء.

[1] سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة/مصر، 1980، ص 200-201.
[2] كمال بشر، علم الأصوات، المرجع السابق، ص183-184-185.

تجدر الإشارة إلى أنّ الاختلاف الذي وقع فيه العلماء حول عدد المخارج لا يؤثر إطلاقا في تحديد المخرج الرّئيسي للصّوت، فبعد الاطّلاع على أماكن المخارج، يمكن القول أنّ أساس هذه المخارج هو الشّفتان، اللّسان، الجوف، الحلق، الخيشوم، أمّا ما ذكر منها فهي مخارج ثانوية، وتحديد الصّوت فيها لا يؤثر أبدا على تواجده بالمكان الأصلي له.

2.1. صفات الأصوات عند المحدثين:

شهدت اللّغة العربية تقدّما ملحوظا في جميع مستوياتها؛ خاصّة خلال الحقبة الزّمنية المعاصرة، وذلك نتيجة ارتباطها باللّسانيات؛ حيث فتحت هذه الأخيرة آفاق البحث أمام الجميع، للتّمكن من تحليل اللّسان العربي، ودراسة كلّ ما يتعلّق به؛ وتعدّ صفات الأصوات أحد أهمّ المواضيع التي عمل على تحليلها وفهم جوانبها سواء المحدثون أم القدامى، فبعد تمكّن العلماء المحدثون من تشريح الجهاز النّطقي بالأجهزة والآلات المعاصرة، وتوصلهم لضبط أماكن خروج الصّوت، اتجهوا إلى البحث عن الصّفات الملازمة للصّوت، ذلك أنّ الصّوت وعند وصوله للمخرج، نجده يحتمي بصفات ملازمة له، هذه الصّفات التي تفرد بها كلّ صوت عن الآخر؛ والتي قد تظمّ بدورها عدّة أصوات.

وعليه: فما هي الصّفات الملازمة للأصوات عند المحدثين؟ وهل وافقت نتائجهم الجهود التي توصّل إليها القدامى؟

أ. أنواع الصفات:

01. الجهر والهمس: إنّ التّطور التّكنولوجي ساعد العلماء المحدثين كثيرا في عملية التّشريح، وهو ما أدى بهم إلى تقديم الوصف الدقيق للحنجرة، وكذا التّعرف أكثر على صفتي الجهر والهمس اللّصيقتين بالوترين الصوتيين، الأمر الذي جعل المحدثين لا يلاقون الصعوبة في تعريف هذين الصفتين، فبالرغم من عدم التّشابه الكبير الذي وجده المحدثون مع القدامى إلا أنّ تصنيفهم خالف القدامى في الأصوات الثلاث التالية: الطاء، القاف، الهمزة، ويمكن تحديد الجهر والهمس لدى المحدثين على النّحو الآتي:

أ . الجهر: يقول إبراهيم أنيس: "فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان"[1]، وتتمثل الأصوات المجهورة عندهم في الآتي: ا، ع، غ، ض، ل، ن، ب، ج، د، ر، ز، ض، ظ، م، و، ي. فالجهر إذن هو اهتزاز للوترين الصوتيين، وهذا التّعريف لا يبتعد كثيرا عما ذكره القدامى.

ب . الهمس: عرّفه إبراهيم أنيس بقوله: "فالصّوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النّطق به"[2]، وتتمثل أصواته في: "ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه"[3]. فالهمس على عكس الجهر تمام، فهو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين، كما أنّ المحدثين لم يخالفوا القدامى في تعريفه ولا حتى في حرفه إلا في صوتين؛ هما: القاف والطاء.

02. الشّدة (الانفجار) والرخاوة (الاحتكاك):

أ . الشّدة (الانفجار): يعرفها كمال بشر بقوله: "بأنّها الصّوت الذي يحدثه الانفتاح المفاجئ لممر النّفس بعد إغلاقه"[4]؛ أي أنّ الهواء لا يخرج مباشرة، إنّما يحدث له انحباس لفترة وجيزة؛ ثم يخرج مندفعا؛ بحيث أن أعضاء النطق تلتقي وتنفصل سريعا، وهذا ما يجعل الانفجار يحدث حين النطق بالصوت، والأصوات الانفجارية كما أوردها المحدثون تتمثل في: صوت الباء، التاء، الدال، الطاء، الضاد، الكاف، القاف.

ب . الرخاوة (الاحتكاك): عرفها المحدثون بقولهم: "عدم انحباس الهواء انحباسا محكما عند النّطق بالصوت، وإنّما إبقاء المجرى عند المخرج ضيقا جدا مما يسمح بمرور النّفس محدثا نوعا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى"[5]؛ والحروف الرخوة تتضمن ما يلي: س، ش، ذ، ث، ظ، ف، ه، ح، خ، ع، غ، ز، ص.

03. الإطباق والانفتاح:

أ . الإطباق: عرّفوه بقولهم: "هو أن يتخذ اللّسان عند النّطق بالصّوت شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلا"[6]؛ وعرّفه بعض المحدثون بقولهم: "الإطباق: هو أن يرتفع مؤخر اللّسان نحو أقصى الحنك

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص20

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص17.

[4] محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ط04، مكتبة لبنان/بيروت، 1982، ص91.

[5] إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص24.

[6] المرجع نفسه، ص62.

الأعلى في شكل مقعر على هيئة معلقة؛ بينما يكون طرفه ملتحما مع جزء آخر من أجزاء الفم، مشكلا محبسا من المحابس الصّوتية المختلفة"[1].

بهذا نجد أنّ الدّرس الصوتي تطور عبر مراحل زمنية مختلفة؛ تعكس أهمية هذا العلم، وحرص العلماء على استمرارية تقدمه لمواكبة العصر الحالي، فلقد كانت بداياته مقتصرة على الاهتمام به من حيث اللغة وكيفية الأداء وطريقة خروج الأصوات بالشكل الصحيح، ولكن مع التّقدم التّكنولوجي دخل علم الأصوات مرحلة جديدة؛ حيث ساهمت التّقنيات الحديثة في ولوجه في عدّة مجالات، فلم يعد مقتصرا على الجانب اللّغوي فحسب؛ بل توسّعت مجالاته وأصبحت علاقاته متداخة مع العلوم الأخرى؛ كعلم النّفس اللّغوي واللّسانيات وغيرهما، وهذا راجع إلى بروز عدّة تقنيات حديثة منها: الذكاء الاصطناعي، البرمجيات الخاصة بتحليل الأصوات، وأجهزة الكمبيوتر وغيرهم.

[1] محمد الأنطاكي، المرجع السابق، ص167- ينظر كذلك: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص47-48.

الفصل الثّاني: أسس بناء الكلمة والظواهر الصوتية المؤثرة عليها

المبحث الأول: البناء الصوتي للكلمة

المبحث الثاني: الظواهر الصوتية المتعلقة بالكلمة

تمهيد:

يعدّ الصّوت اللّغوي اللّبنة الأساسية التي تقوم عليها باقي الدّراسات اللّغوية، الأمر الذي جعل الباحثين في المجال اللّغوي يسلّطون عليه أبحاثهم ودراساتهم؛ حيث أدرك أولئك العلماء أنّه ولخوض غمار اللّغة العربية لا بد من التّعرف على المستوى الصّوتي، وبنيته التي نشأ عليها، فقاموا بدراسة أبنية الكلمة وتقطيعها إلى مقاطع صوتية، هذه المقاطع التي سهّلت لنا التّعرف على الظّواهر الصّوتية التي تحدث للجملة أو الكلمة أثناء النّطق بها.

إنّ الأبحاث اللّغوية التي يجريها العلماء على النّصوص المكتوبة؛ أدّت إلى خروج النّص من عمق الغموض وتميزه بالانفتاح، فأصبحت بذلك النّصوص المكتوبة تفهم من خلال الأداء الكلامي الذي يضفي عليها صبغة مغايرة لما هي عليه.

إنّ التّنوع الأدائي للقراءات القرآنية، جعل منها محطّ دراسة إذ بواسطتها استطعنا معرفة وجود ما يسمى بالظّواهر الصّوتية، والتي تعدّ أحد أهم العناصر التي ركّز عليها الباحثون بغية استخراجها، وتطبيقها على النّصوص القرآنية.

والحديث عن هذه الظّواهر، يقودنا بداية إلى معرفة التّركيبة الصّوتية للكلمة العربية وذلك بتحديد البنية المكونة لها.

المبحث الأول: البناء الصوتي للكلمة

تعدّ الكلمة اللّبنة الأساسية التي تبنى عليها القواعد اللّغوية؛ والتي بواسطتها يتم تدارك الأصوات وتصنيفها؛ كما أنّها تمثل المكوّن الرّئيسي للنّظام المقطعي، لذا فإنّ التّركيبة البنيوية للكلمة هي التي تفصّل لنا عدد المقاطع؛ وكذا نوعية الصّوامت والصّوائت المشكلة لها، وعليه: فما هو المكوّن الصّوتي للكلمة؟ وكيف يتمّ تقطيعها لاستخراج الأصوات المكوّنة لها؟

المطلب الأول: بنية الكلمة صوتيا

انشغل العلماء بدراسة البنية ومعرفة جوهرها الأساسي؛ حيث اعتبروا أنّها نظام مترابط، يشكّل لنا وحدة أساسية متكاملة لأية ظاهرة، أمّا من النّاحية الصّوتية فهي تعالج لنا التّرابط الدّاخلي للأصوات، وكيفية التّوافق والتّطابق بين الصّوامت والصّوائت.

1. مفهوم البنية

أ/ لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور قوله: "بَنى البَنَّاءُ البِناءَ بَنْيًا وبِناءً وبِنى، مقصور، وبُنْيانًا وبِنيةً وبِنايةً، وابتنَاهُ وبنَّاه؛ والبِناءُ: المبنيُّ، والجمع أَبنيةٌ، وأَبْنياتٌ جمعُ الجمع..، والبِنيةُ والبُنْيَةُ: ما بَنَيْتَهُ وهو البِنَى والبُنَى...يقال بِنيةٌ، وهي مثل رِشوةٍ ورِشًا. كأنّ البِنية الهيئةَ التي بُنِيَ عليها مثل المِشية والرِّكبة...والبُنيانُ: الحائط"[1]، تدلّ البنية على التّركيب، والهيكل الذي يتشكّل منه الشّيء ويبرز.

في حين عرّفها الرازي بقوله: "البُنيانُ الحائطُ، والبنيةُ على فعيلَة الكعبةُ، والبُنَى بالضم مقصورٌ البناءُ، يقال بُنْيةٌ وبُنى وبِنْيَة وبِنى بِكسر الباء مقصور مثل: جِزيةٍ وجِزًى، وفلان صحيح البِنْيَة أي الفِطْرَة، والبناتُ التماثيلُ الصغار تلعبُ بها الجواري، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كنت ألعب مع الجواري بالبنات..."[2]؛ فالبنية إذن كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي (بنى) والتي تعني البناء، كما أنّها تحمل دلالات أخرى مثل الهيئة؛ والجزية، ونقول مثلا: فلان قوي البنية أي قوي الجسم والجسد، فهي تدل على الهيكل والعمارة أيضا، كلها دلالات مصاحبة

[1] ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، المجلد 06/ ص67-68. مادة (بني)

[2] الرازي محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، د.ط، 1986م، ص 27.

للبنية يمكن استنباطها من خلال السّياق الواردة فيه، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ**﴾ [البقرة: الآية 21]؛ أي جعل للسّماء سقفا.

الجدير بالذّكر أنّ هناك فرقا بين ما يسمى البنية والآخر البناء، فالبنية "صفة دالة على الهيئة التي تنتظم وفقها العناصر؛ أي المواد داخل البناء، وتجمع البنية على بِنى وبُنى وبنيات، أمّا البناء وهو الشيء المبني فكأنّه موصوف ويجمع على أبنية وأبنيات"[1]؛ وعليه فإنّ البنية هي التّصور أو الهيكل الذي يتشكل وفق مبادئ وعناصر معينة، أمّا البناء فهو الشّيء المجسد أو الهيئة الخارجية الظاهرة للعيان، كما أنّه يمثل القواعد التي تقف عليها القصيدة مثلا أو النّظام اللّغوي للنّص.

ب/ اصطلاحا: ورد مصطلح البنية في عدة حقول معرفية؛ حيث عبّر عنها كل حسب مجاله وتخصصه، وما يهمنا في هذا المقام الجانب الصوتي لها إذ عرفها جان بياجيه بأنّها: "نظام تحولات له قوانينه من حيث إنّه مجموع، وله قوانين تؤمن ضبطه الذاتي"[2]؛ وعليه يمكننا القول بأنّ البنية هي سلسلة من العلاقات المتداخلة المرتبطة ببعضها البعض، فهي تتولد من جملة التّصورات التي يمليها المتكلّم عبر التّتابع الكلامي.

2. مفهوم الكلمة:

اهتمت الدّراسات اللّسانية خاصة واللّغوية عامّة بالكلمة لما لها من أهمية كبيرة؛ حيث شغلت حيزا كبيرا لأجل الوصول إلى ماهيتها، وقد أدى اهتمام النّحويين على وجه الخصوص، بقضية الكلمة والسّعي خلف مفهومها إلى وضع الأسس والقواعد التي ينبغي أن تبنى عليها بحسب المجال الذي تقع فيه، ذلك أنّ الكلمة في المجال اللّغوي تختلف عمّا هي عليه في المجال العلمي.

وعليه فإنّه وقبل الحديث عن بنية الكلمة في المجال الصّوتي، ينبغي علينا أن نقف عند مفهوم الكلمة بحسب ما أوجده العلماء اللّغويون.

[1] يوسف وغليسي، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي، مجلة الدراسات اللغوية، تصدر عن مخبر الدراسات اللغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 60، 2010م، ص21.

[2] جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت/لبنان، ط04، 1985م، ص 81.

أ/ لغة: من مادة (كلم) فقد جاء في لسان العرب أنّ: "كلم: القرآنُ، كلامُ الله وكَلِماتُه وكَلِمته، وكلامُ الله لا يُحدّ ولا يُعدّ، وهو غير مخلوق"[1]، فالكلمة إذن مشتقة من مادة (ك ل م) والتي تعني القرآن، والمراد به كلام الله المنزه عن الخطأ.

للإشارة فإنّ الكِلْمَة هي لغة تميم؛ في حين أنّ الكَلِمة لفظة حجازية الأصل[2]، وقد أفادت الكلمة معنى القول، وهو ما ذكره ابن سيده (ت. 458هـ) بقوله: "الكلام ما كان مكتفيا بنفسه، وهو جملة، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه، وهو الجُزء من الجملة"[3]؛ وعليه فإنّ الكلام ما تم معناه، فقد يكون كلمة واحدة وتدل على معنى تام، وبهذا نعبر عنها بأنّها جملة في ذاتها؛ حيث أن الكلمة تتشكل من مجموعة من الأصوات المتداخلة، أمّا القول فهو ما لم يعبر عنه في ذاته، لأنّه لا يصل لمعنى الكلمة ولا يشمل الجملة، فهو إذن جزء منها.

ب/ اصطلاحا: أجمع الباحثون على أنّه لا يوجد تعريف شامل ودقيق لمصطلح الكلمة، فقد اختلف تعريفها باختلاف الحقل المعرفي الواردة فيه، لكن هذا لا يعني عدم تقديم مفهوم يفيد على التّعرف عليها، فلقد عرفها العالم ترنكا Trunka بقوله: "إنّ الكلمة عبارة عن وحدة يمكن إدراكها عن طريق الفونيمات Phonemes، وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية"[4]؛ الواضح أنّ ترنكا Trunka عرفها من النّاحية الصّوتية، واعتبر أنّ معرفتها تكون مرتبطة بمعرفة الفونيم الدّال عليها.

وسار في السّياق ذاته ماثسيوس Mathesius حيث عدّها "أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى"[5]، في حين اعتبر أنطوان مييه Antoine Meillet حدوث الكلمة علاقة المعنى بجملة من الأصوات القابلة للاستعمال النحوي[6]، من هنا يمكننا القول بأنّ الكلمة عبارة عن أصغر وحدة صوتية تستخلص من مجموعة من الفونيمات الدالة على معنى ما، فهي قابلة للتّغير بحسب الحدث الكلامي الذي تنشأ فيه.

[1] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 05/ ص 365. مادة (كلم)
[2] المصدر نفسه، ص 366. مادة (كلم)
[3] المصدر نفسه، ص 365. مادة (كلم)
[4] حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ط02، 1998م، ص17.
[5] المرجع نفسه، ص17.
[6] المرجع نفسه، ص17.

ولا يخفى علينا أنّ العلماء العرب قد وضعوا بصمتهم من خلال تقديم جملة من المفاهيم الدّالة على معنى الكلمة، نسوق منها ما جاء على لسان ابن يعيش (ت.643هـ) بقوله: "إنّ اللّفظ جنس للكلمة، وذلك لأنّه يدلّ على المهمل والمستعمل، فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو (صص)، (كق) ونحوهما. فهذا وما كان مثله لا يسمى كلمة لأنّه ليس شيئا من وضع الواضع، وإنّما يسمى لفظة لأنّه جماعة حروف ملفوظ بها"[1]، فالكلمة عند ابن يعيش، عبارة عن لفظة يتم النّطق بها، بينما اللّفظة لا تشمل الكلمة فهي ذات معنيين: إمّا مستعمل ويتم تداوله واعتباره كلمة، وإمّا مهمل ولا يمكن تداوله واستعماله بين الأفراد، وبالتّالي يمكننا القول أنّ كل كلمة لفظة؛ بينما ليست كلّ لفظة كلمة.

تشير الدّراسات التي أجراها العلماء عن مدلول الكلمة، والمعنى الذي تدلّ عليه، إلى كونها تقوم بأكثر من مدلول، وهو ما استنبطه ستيفن أولمن StephonUlman إلى القول بأنّ: "قدرة الكلمة الواحدة على التّعبير عن مدلولات متعددة، إنّما هي خاصية من الخواص الأساسية للكلام الإنساني"[2]؛ أي أنّ الكلمة الواحدة لا يمكنها أن تدل على معنى واحد فقط، إنّما تحمل في طياتها مدلولات عدّة يمكن معرفتها من خلال السّياق الواردة فيه، كما يمكن معرفة مدلول الكلمة بحسب المجال المعرفي الذي تقع فيه، فكلمة العين مثلا لها عدّة دلالات، فقد تشير إلى العضو الخاص بالبصر في جسم الإنسان، كما أنّها قد تدلّ على مكان تدفّق الماء، وتدلّ أيضا إلى الجاسوس وهكذا دواليك.

3. – دلالة الأصوات المكونة للكلمة:

أ. تعريف الدّلالة الصّوتية:

هي تلك الدّلالة "التي تستمدّ من طبيعة بعض الأصوات في هذه العبارة، فكلمة (تنضخ) كما يحدثنا كثير من اللّغويين القدماء تعبّر عن فوران السّائل في قوة وعنف، وهي إذا قورنت بنظيرتها (تنضح) التي تدلّ على تسرب السّائل في تؤدة وبطء، يتبيّن لنا أنّ صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأي أولئك اللّغويين تلك القوّة وذلك العنف، وعلى هذا فالسّامع يتصوّر بعد سماعه كلمة (تنضخ) عينا يفور منها النّفط

[1] حلمي خليل، المرجع السابق، ص21.

[2] ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشير، الناشر مكتبة الشباب، د.ط، د.س، ص 114.

فورانا قويا عنيفا"[1]؛ هذا ما يدلّ على أنّ للصّوت في الكلمة معنى يدل عليه، فاختلاف الصّوت في الكلمة الواحدة، يؤدي حتما إلى اختلاف في مفهوم الكلمة، إذ أنّ الصّوت يعطي تفسيرا كليّا؛ مغايرا لما هي عليه، فتغير الأصوات والحركات يؤدي إلى تغير في المعنى.

ب.أقسام الدّلالة الصّوتية:

يقول ابن جني (ت. 395هـ) : "اعلم أنّ كل واحد من هذه الدّلالات معتد مراعى مؤثر، إلا أنّها في القّوة والضّعف على ثلاث مراتب، فأقواهنّ الدّلالة اللّفظية ثمّ تليها الصّناعية، ثمّ تليها المعنوية"[2]؛ يرى ابن جني أنّ للدّلالة أثرا كبيرا لضبط الألفاظ الصّوتية، وقد عدّها ثلاثة أقسام، تتمثّل في الدّلالة اللّفظية، والصّناعية، وكذا المعنوية.

وبالرّجوع إلى مقال الدّلالة الصّوتية عند ابن جني، حدّد الكاتب الدّلالات التي ذكرها ابن جني من خلال كتابه الخصائص؛ حيث قسّمها إلى قسمين، جاءت على النّحو التالي[3]:

أ/ الدّلالة الصّوتية الطّبيعية: وهي ما تؤديه الأصوات الصّادرة عن مظاهر الطبيعة المختلة، كذلك أصوات الإنسان والحيوان من أدوار في تحديد المعنى، فهي ذات علاقة بنظرية المحاكاة (تقليد أصوات الطّبيعة) في نشأة اللّغة أو ما يعرف بالعلاقة الطّبيعية بين الدّال والمدلول.

ب/ الدّلالة الصّوتية التّحليلية: وهي تلك الدّلالة التي تستنبط من:

1. دلالة الفونيمات التّركيبية Segmental Phonemes مثل: الحروف (الصّوامت)؛ والحركات (الصّوائت).
2. دلالة الفونيمات غير التّركيبية Suprasegmental Phonemes مثل: النّبر؛ والتّنغيم؛ وغيرها من الأداءات الصّوتية المختلفة.

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط05، 1984م، ص46.

[2] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ج03/ ص 98.

[3] بوزيد ساسي هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، جامعة قالمة/الجزائر، العدد 09، 2009م، ص137.

المطلب الثاني: النّظام المقطعي للكلمة

إنَّ معرفة المقاطع الصّوتية تعدّ أساسا جوهريا في فهم النّص القرآني خاصّة واللّغوي عامّة، ذلك باعتبار المقطع أصغر وحدة صوتية في النّظام البنيوي للّغة، فهو أحد أهمّ الظّواهر الصّوتية التي تساهم وبشكل كبير في فهم باقي الظّواهر الأخرى؛ كالنّبر والتّنغيم والفاصلة؛ حيث يمكننا من استخراجها، والكشف عنها وذلك للتّرابط الحاصل بينه وبين بقية الظّواهر.

وتبرز أهمية المقطع في قدرة الباحثين على التّمكن من معرفة بداية الكلمة ونهايتها، وهذا ما يساعد على إدراك ظاهرة الوقف أيضا، ولقد كشفت الأبحاث اللّسانية الحديثة عن أهمّية معرفة المقطع ودراسته؛ حيث أشارت الأبحاث والدّراسات إلى أنّ العملية التّنفسية التي يقوم بها الفرد؛ تحدث ضغطا على كلّ صوت يتم النّطق به، وذلك الضّغط يشكّل مقطعا مستقلا، كما أنّ هذه المقاطع تتماشى والعملية الكلامية؛ أي أنّها تتّضح وبشكل كبير أثناء النّطق لا الكتابة، هذا ما سيقودنا إلى التّطرق لمعرفة المقطع الصّوتي وأقسامه.

1. مفهوم المقطع:

أ/ لغة: تناول اللّغويون مصطلح المقطع في معاجمهم اللّغوية، فقد أخذ من مادة (قطع)؛ فنقول: "القَطْعُ: قَطَعَه يَقْطَعُه قَطْعًا وقَطِيعَةً وقطُوعًا. والقَطْعُ: مصدر قَطَعْتُ الحبْلَ قَطْعًا فانْقَطَع. ومُنْقَطَعُ كلِّ شَيْء: حيث ينتهي إليه طَرَفُه، والمقْطَعُ: غايَة ما قُطِعَ. يقال: مَقْطَعُ الثَّوبِ ومَقْطَعُ الرّملِ للذي لا رَمْلَ وَراءه. والمقْطَعُ: الموضِعُ الذي يُقْطَعُ فيه النّهر من المعابر. ومَقَاطِعُ القرآن: مَواضِعُ الوقوفُ، ومبادِئُه: مواضعُ الابتداءِ"[1]؛ هذا على حد تعبير ابن منظور.

أمّا فيروز أبادي(729هـ-817هـ/1329م-1415م) فلم يبتعد كثيرا عن هذا المعنى؛ حيث جعل يقول: "مَقْطَعُ الرَّمْلِ، كَمَقْعَدٍ، حيث لا رَمْلَ خَلْفَهُ، ج: مَقَاطِعٌ. ومن القرآنِ: مَوَاضِعُ الوُقُوفِ، ومَقْطَعُ الحَقِّ: مَوْضِعُ الْتِقَاءِ الحُكْمِ فِيه، ومَقْطَعُ الحَقِّ أيضا: مَا يُقْطَعُ بِهِ البَاطِلُ"[2]؛ يتّضح من هذا أنّ مصطلح المقطع جاء من الفعل قطع، وأنّه يدلّ على نهاية الشّيء، فهو كلّ توقف يحدث أثناء انفصال الكلام عن بعضه، كما أنّه يدلّ على المواضع التي يجب التّوقف عندها والبدء منها وهذا ما ندركه في القرآن الكريم.

[1] ابن منظور ، المصدر السابق، المجلد 03/ ص 785-787. مادة (قطع)

[2] الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط08، 1426هـ- 2005م، ص 752- 753. مادة (قطع)

ب/ اصطلاحا: أمّا من النّاحية الاصطلاحية، فالملاحظ أنّ العلماء القدامى لم يفصلوا فيه بصفة دقيقة، وإنّما تعرضوا له بصورة موجزة، جعلت كلّ عالم يفسره حسب تخصّصه الخاص به، ويعدّ الفارابي (260هـ-339هـ/874م-950م) أوّل من تطرق له أثناء حديثه عن العروض وموسيقى الشّعر؛ فقال: "ومن فصول الأصوات الفصول التي بها تصير الأصوات حروفا، والحروف منها المصوّت ومنها غير المصوّت، والمصوّتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوّتات القصيرة وهي التي تسمّيها العرب الحركات"[1]؛ وبهذا يكون الفارابي قد جعل من المقطع مكوّنين أساسيين؛ هما: الحرف السّاكن والحركة، فبمجرد امتزاج هذين العاملين يصبح من السّهل جدا تحديد المقطع.

ومن اللّغويين القدامى الذين تعرّضوا له لدينا: ابن جني الذي قال: "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحرف بحسب اختلاف مقاطعها"[2]؛ فابن جني حصر المقطع في مخارج الأصوات فقط.

من هنا يمكننا القول؛ أنّ التّعريف الذي قدّمه الفارابي، جاء قريبا إلى النّتائج التي توصّل إليها المحدثون، والتي دلّت على اعتبار المقطع عملية تحدث أثناء التّنفس، وأنّه جمع بين الصّوت والحركة القابلة له، سواء كانت الحركات قصيرة أو طويلة، والتي تتمثّل في المدود، في حين نجد أنّ التّعريف الذي قدّمه ابن جني قد اقتصر على مخارج الأصوات وأنّه ذلك الحرف الذي يخرج مع النّفس وينقطع عند الفم والشّفتين.

بالرّجوع إلى الدّراسات التي قدّمها المحدثون حول المقطع وأهميته نجدها جاءت بطريقة مفصلة، فالمتمعّن في هذه الأبحاث، يدرك أنّ هناك جدلا قائما حول هذه المسألة، والتي دارت بين مؤيد له ولأهميته؛ وبين من هو معارض من مثل:" swet الذي قال: إنّ القسم الوحيد الذي يتحقق في الكلام عمليا هو المجموعات النّفسية التي

[1] الفرابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، راجعه محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي، القاهرة/مصر، د.ط، ص 1072.

[2] ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 19.

تعود إلى الضّرورة العضوية للتّنفس"[1]؛ حيث اعتبروا أنّ لا أهمية له في الدّراسات اللّغوية، ذلك أنّه مرتبط بسلسلة الكلام المتّصل[2].

أمّا المؤيدين له فاختصرت نظرتهم لوجود أهمّيته في الدّراسات اللّغوية؛ حيث أثبتت الأبحاث والدّراسات أنّ الفونيم مستقرة داخل المقاطع؛ لأنّها تخرج على شكل تجمعات، وكل ما يتصل بها من خصائص وصفات؛ وحتى عملية انتظامها إنما يعتمد بالأساس على المقطع وكيفية تركيبه[3]؛ أي أنّ المقطع له وجود داخل الفونيم، لذلك فإنّ دراسته أولى وأحق من تركه.

2. تعريف المقطع في الدّراسات الصّوتية الحديثة:

اختلف المحدثون في تقديم تعريف معين للمقطع، ويرجع هذا لاختلاف اللّغات المتحدّث بها، فلكلّ لغة نظام مقطعي وبنية صوتية تقوم عليها، فالسّلسلة الكلامية تخرج بصورة متقطعة، تقودها وظائف الجهاز الصّوتي، ولذا انقسم العلماء إلى اتجاهات مختلفة؛ إذ لم يتفق علماء الأصوات على تعريف واحد للمقطع، ومردّ ذلك إلى اختلاف الرّؤى حول الوظيفة الأكوستيكية الفيزيائية أو الوظيفة النّطقية، وأنّ الأجهزة المستخدمة لم تمكّنهم من رسم حدود المقطع بدّقة[4]؛ وعليه فإنّ تعريف المقطع قام على اتّجاهات؛ كلّ فسّره بحسب الطّريقة التي يتمّ من خلالها الكشف عنه.

01. الاتجاه الفيزيائي: يرى أصحاب هذا الاتّجاه أنّ المقطع هو: "قمّة إسماع، غالبا ما تكون حركة مضافة إليها أصواتا أخرى، عادة تسبق القمة أو تلحقها"[5]؛ فالمقطع إذن له حد أعلى وله درجة إسماع يتمثّل بها، ولقد مثّله علماء الأصوات على أنّه: عبارة عن تموجات صوتية، وأنّ عُلو تلك التّموجات يشكّل الحد الأعلى للمقطع؛ حيث اجتمع علماء الأصوات على اعتبار قمّة الإسماع قرينة قويّة على وجود المقطع.

[1] أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة/مصر، 1418هـ-1997م، ص279.

[2] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغوية، دار صفاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان/الأردن، ط02، 1435هـ-2014م، ص213.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص214.

[4] ينظر: بريتيل مالمبرج، علم الأصوات، تعريب عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة/مصر، ص 154-155.

[5] حسام البهنساوي، علم الأصوات، النّاشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة/مصر، ط02، 1429هـ- 2008م، ص148.

02. الاتجاه الوظيفي –الفونولوجي-: ذهب مؤيّدو هذا الاتّجاه إلى أنّ المقطع: "عبارة عن كمّية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها"[1]؛ في حين عدّه كمال بشر بقوله: "قوام التّحليل الفونولوجي الذي يعتمد في الأساس في تحديده للمقاطع وطرائق تكوينها على طبيعة كلّ لغة على حدة"[2]؛ فالاتّجاه الفونولوجي يشير إلى أنّه لكلّ لغة مقاطع خاصّة بها، وذلك راجع إلى اختلاف اللّغات من حيث النّظام الفونولوجي، اللّغة العربية مثلا لا يمكن أن يجتمع فيها أكثر من صامتين عند نهاية الكلمة على عكس اللّغة الانجليزية؛ التي يمكن أن تحتوي على أكثر من صامتين.

03. الاتجاه العضوي –الفيزيولوجي-: اتفق أصحاب هذا الاتّجاه على أنّ تعريف المقطع يرتبط بالجانب النّطقي، فعرفه كانتينو بأنّه: "هو عبارة عن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التّصويت؛ سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا، هي التي تمثّل المقطع"[3]؛ فالتّقطيع يستدعي وجود أصوات مغلقة كاملة أم جزئية، ولقد ركّز أصحاب هذا الاتّجاه على الخفقات الصّدرية التي تنتجها الكلمة حين النّطق بها، وهو ما يؤدي إلى وجود ضغطات هوائية متقطّعة على الكلمة، فكلمة (كتب) تشعرنا بانقباضات صدرية أثناء النّطق بها بطريقة متأنية.

تجدر الإشارة إلى أنّ مسألة المقطع قد حظيت باهتمام واسع من قبل العلماء المحدثين، الأمر الذي أدّى بهم إلى الاختلاف في تقديم تعريف محدّد له؛ وذلك راجع إلى الاتّجاهات التي سار على نهجها كلّ عالم، وأنّ المقطع بحدّ ذاته يختصّ بلغة معيّنة أو مجموعة من اللّغات ذات الخصائص المشتركة.

التّعريف الذي قدّمه العالم اللّغوي دي سوسير، أحد أهمّ التّعاريف التي يمكن الاعتماد عليها، حيث قال أنّه: "الوحدة الأساسية التي يظهر بداخلها نشاط الفونيم الوظيفي"[4]، وبصيغة أخرى أنّه:"يقع بين الوحدات الصّوتية الدّنيا، وهي الفونيمات Phonemes من جهة، والكلمات Words من جهة أخرى"[5]؛ أي هو جزء أساسي من بنية الكلام، وبواسطته يمكن تحديد عمل الفونيم.

[1] حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص148.

[2] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة/مصر، دط، 2000م، ص509.

[3] جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 191.

[4] عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص 217.

[5] محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان/الأردن، ط01، 1996م، ص 234.

أمّا معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، فقد اعتمد على التّعريف التّالي: "وحدة صوتية أساسية، يعرفها علماء اللّغة المحدثون من النّاحية الوظيفية، بأنّها صوت لين يصاحبه صوت أو صوتان ساكنان؛ بحيث يكون مظهر لهما، والمقطع نوعان: متحرك وساكن "[1]؛ ركز هذا التّعريف على الجانب الوظيفي للغة، باعتبار أن التركيبة الصوتية للمقطع تتشكل من الصوامت والصوائت، و البنية الصوتية تختلف باختلاف النظام اللغوي لكل لغة.

3. أهميّة المقطع في الدّراسات الصّوتية:

على الرّغم من اختلاف العلماء حول أهمّية المقطع من عدمه، إلّا أنّ غالبيتهم أجمعوا على أهمّية وجوده في الكلام، وأنّ ذلك يرجع للأسباب التّالية:

01. إنّ دراسة المقطع، والتّعرف على بنى النّسيج المقطعي للّغة، يعدّان أمرين ضروريين قبل الشّروع في عملية دراسة الفونيمات غير التركيبية (النّبر والتّنغيم)؛ وذلك لأنّ المقطع هو الوحدة التي تتأثّر بالملامح أو الفونيمات غير التّركيبية[2]؛ حيث يرصد لنا المقطع تحديد مواضع النّبر على اختلافها؛ وكذا التّنغيم.

02. يعتمد العروض بالأساس على المقطع، وأنّ الكتابة العروضية كتابة مقطعية[3]، فمعرفة المقطع وطريقة استخراجه، تمكّن الطلاب والتّلاميذ من تعلّم علم العروض، وبالتّالي معرفة موسيقى الشّعر، فبواسطته ندرك عدد المقاطع التي يتألّف منها البيت الشّعري.

03. يعدّ المقطع ضرورة حتمية لتعلم النّطق الصّحيح للغة ما[4]، فهو يساهم وبشكل كبير في ضبط مخارج الحروف، حتى يتمكّن المتعلم من النّطق السّليم للكلمات، فالكلمات إذا خرجت بشكل بطيء، وقطّعت تقطيعا صحيحا، كان ذلك أسهل على المتعلّمين للغة؛ خاصّة لغير النّاطقين بها.

---

[1] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط02، 1984م، ص 380.

[2] إنعام الحق غازي، المقطع الصّوتي وأهميته في الكلام العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور/باكستان، العدد24، 2017م، ص 226.

[3] ينظر: زهراء جاسم محمد، شعر سعد علي مهدي –دراسة صوتية– رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة ذي قار، كلية الأدب، قسم اللّغة العربية، 2016م، ص 86.

[4] ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 283.

4. أقسام المقاطع الصّوتية:

تقسّم المقاطع الصّوتية بصفة عامّة إلى قسمين؛ هما:

01. مقاطع طويلة: المتمثّلة في صوت صامت، تضاف إليه حركة طويلة؛ أو ما يسمّيها البعض بالمدّ؛ أو صامت تضاف إليه حركة قصيرة متبوعة بصامت مغلق؛ نحو: قامت مقاطعه الصّوتية هي: قَ + ا + م+ ـَ+ ت+ ـْ.

02. مقاطع قصيرة: المتمثلة في صوت صامت، تضاف إليه حركة قصيرة؛ نحو: كَتَبَ مقاطعه الصّوتية هي: ك+ ـَ+ت+ـَ+ب+ـَ.

ولقد ذكر حسام البهنساوي، خمسة أنواع للمقطع، تسير على نهجها اللغة العربية؛ وهي على النحو التالي[1]:

أ. المقطع القصير المفتوح: يتكوّن من صامت +حركة قصيرة؛ مثل: لعب.

ب. المقطع الطويل المفتوح: يتكوّن من صامت + حركة طويلة؛ مثل: سمى.

ج. المقطع الطويل المغلق: يتكوّن من صامت + حركة قصيرة + صامت؛ مثل: أكل.

د. المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة: يتكوّن من صامت + حركة طويلة + صامت؛ مثل: قال.

هـ. المقطع الزّائد الطول: يتكوّن من صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت؛ مثل: مصر.

ولقد حدد البعض من الباحثين مقاطع اللّغة العربية بأربعة أنواع؛ هي[2]:

01. "قصيرة: وهي المقاطع التي تتكوّن من: صامت وحركة قصيرة، ويرمز إليها بالرّمز (ص ح)؛ حيث ترمز (ص) إلى الصّامت و(ح) إلى الحركة القصيرة، وتمثّل هذا النّوع من المقاطع، مقاطع الفعل "خرج" (خَ+ /رَ+ /جَ+).

02. متوسطة: وهي على نوعين:

[1] ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص 150-151.

[2] فوزي الشّايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديثة، اربد/الأردن، ط01، 1425هـ-2004م، ص 100-101.

أ . مفتوحة: وهي المقطع التي تتكوّن من: صامت وحركة طويلة، ويرمز إليها بالرّمز "ص ح ح"، ويمثّلها كلّ من "ما"، و"في" و"ذو".

ب . مغلقة: وهي تلك التي تتكوّن من: صامت + حركة قصيرة +صامت، ويرمز إليها بالرّمز "ص ح ص" ويمثّله كل من "قَدْ"، "مِنْ"، "خُذْ".

03. طويلة؛ وهي على نوعين:

أ . طويل مفرد الإغلاق، ويتكوّن من: صامت +حركة طويلة +صامت، ويرمز إليه بالرّمز "ص ح ح ص" ويمثّله المقطع "ضال" من "الضّالين" ومثله المقطع "مين" من "المسلمين" وذلك في حالة الوقف.

ب . طويل مزدوج الإغلاق، ويتكوّن من: صامت +حركة قصيرة +صامت +صامت، ويرمز إليه بالرّمز(ص ح ص ص)، ويمثّله كلمة بنت، شمس، قطّ، وحدّ؛ وذلك في حالة الوقف فقط.

04. مديدة: ولا تكون إلّا وقفا، وتتكوّن من: صامت وحركة طويلة، ويرمز إليه بـ "ح ح ص ص"نحو: سارّ، وحارّ وقفا.

للإشارة فإنّ غالبية الباحثين، أخذوا بالتقسيم الذي يحدد لنا المقاطع بخمسة أنواع، ورمزوا إليها بالرموز التالية: نرمز للمقطع القصير المفتوح، بالرّمز (ص ح)

أمّا المقطع الطويل المفتوح، فنرمز له بالرّمز (ص ح ح)

ونرمز للمقطع الطويل المغلق، بالرّمز (ص ح ص)

أمّا المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة، فنرمز له بالرّمز (ص ح ح ص)

وعن المقطع الزائد الطويل، رمزه (ص ح ص ص)[1]

[1] ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص 151.

عالج العلماء ظاهرة المقطع؛ باعتباره عنصرا مهما في بنية النّظام الصّوتي للكلمة؛ ذلك أنّ السّلسلة الكلامية التي يحدثها المتكلّم لا تتم بطريقة مباشرة، إنّما هناك مقاطع تفصيلية، تقسّم الكلام المنطوق إلى فقرات، وهذا يحدث نتيجة توقف العملية التّنفسية، وانقباض العضلات الصدرية بين الفينة والأخرى.

أثبتت الدّراسات التي قام بها العلماء والباحثون على أهمية تعلّم تحليل الكلام إلى مقاطع صوتية، بغية إعطاء الحروف حقها الكامل عند خروجها من مكانها الأصلي، فهو يساعد على ضبط القراءة عامة، وإتقان فن التّجويد خاصة.

إنّ الغاية من إدراك المقاطع أيضا ومعرفة تحديدها، يساهم في معرفة باقي الظواهر الصوتية؛ كالنّبر والتّنغيم والوقف والفاصلة، فهذه الظّواهر تستند إلى قواعد جسّدها العلماء، وأوّل هذه القواعد التّقطيع الصّوتي للكلام.

المطلب الثالث: تصنيف الأصوات العربية

حدّد اللّغويون الأصوات العربية بصنفين اثنين، معتمدين في ذلك على أماكن خروج الصّوت؛ وعلى الهيئة التي يخرج على شاكلتها؛ فجاء التّصنيف على النّحو التالي:

1. الأصوات الصامتة:

ملاحظة: تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الجزئية الخاصة بالأصوات الصامتة؛ هي التي يدور حولها موضوع بحثنا هذا؛ حيث أنّ الصامت هو ذاته الصّوت؛ والذي عرجنا إلى وصفه وتحليله في المدخل، كما أنّنا سنفصل في ذكر نماذج عنه خلال تطرقنا للجانب التطبيقي.

2. الأصوات الصّائتة أو المصوتة:

الصّوائت اللّغوية مصطلح شائع بين علماء الأصوات على غرار المصطلحات الحديثة؛ من مثل: صوت اللّين، الحركات، العلّة، الطليق وغيرهم، فقد استخدم العلماء والباحثون من بعدهم مصطلح الصّائت؛ وجمعه الصوائت؛ مقابل للمرادف الفرنسي Voyelle؛ والانجليزي[1]Vowes؛ وذلك للتّعبير عن تلك الوحدات الصّوتية المصاحبة للحروف؛ والتي تحدث نتيجة اندفاع الهواء من الرّئتين، مرورا بالحنجرة والحلق ووصولا إلى الفم دون

[1] ينظر: عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1996م، ص 252-253.

حدوث أيّة حواجز تعترضه[1]، للإشارة فإنّنا قد نجد مصطلح المصوت، وجمعه المصوتات وذلك للدّلالة على ذات المعنى.

أ. الصّوائت اللّغوية بين القدامى والمحدثين:

كان اهتمام القدامى في بدايته منصبا على الصوامت (الحروف) أكثر من الصوائت، وهذا ما شهدته مؤلفاتهم ودواوينهم، وكانت القراءة عندهم تحدث نتيجة لسليقتهم؛ بحسب السياق الذي ترد فيه، ويعدّ أبي الأسود الدوؤلي أوّل عالم وضع الحركات على الحروف، حفاظا على النص القرآني من التّحريف والضياع؛ حيث جعل؛ يقول: "سأقرأ القرآن فإذا فتحت شفتي بالحرف فضع نقطة فوقه، وإن كسرتها فضع نقطة تحته، وإن ضممت شفتي فضع نقطة فوقه عن شماله"[2]، الملاحظ أنّ أبا الأسود اعتمد على طريقة التّنقيط عوض العلامات، للفصل بين الحروف خاصة المتشابهة.

توالت الدّراسات والأبحاث حول الصّوائت اللّغوية؛ إلا أن جميعها كان منصبا على الجانب النحوي لها، بصرف النظر عن الجانب الصوتي؛ والذي لم تحظ من خلاله بالاهتمام الكبير، إلا بعد ظهور كتاب الخصائص؛ وكتاب سر صناعة الإعراب لابن الجني الذي أولى لها العناية والاهتمام، مشيرا إليها من الناحية الصوتية؛ حيث اعتبرها أصواتا ناقصة؛ قائلا في ذلك: "وإنما سمّيت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تُقْلِقُ الحرف الذي تقترن به"[3].

مقارنة بما قدمه القدامى حول الصوائت، فإنّ العلماء المحدثين كان لهم الفضل أيضا في التوغل والبحث حول مسألة الصوائت؛ حيث برز عدّة علماء غربيين أبرزهم: روبرت روبنون R.Robinson والذي قدّم وصفا للحركات، معتمدا في ذلك على أجزاء اللّسان، حاصرا إياها –الحركات– على اللغة الانجليزية؛ وكان ذلك خلال القرن السادس عشر[4].

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 27.
[2] كمال بشر، المرجع السابق، ص 220.
[3] ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 42.
[4] ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص 113.

يمكن القول أنّ دانيال جونز قد بذل مجهودا كبيرا في وصف الحركات وصفا دقيقا، مستندا على التّجارب المعملية، آخذا بعين الاعتبار عدّة لغات وذلك لاعتباره أن الحركات لا يمكنها أن تنسب للغة معينة؛ بل عبارة عن مقاييس عامة[1]، وبهذا يعتبر جونز أحد أشهر علماء القرن العشرين؛ الذين درسوا الحركات وحددوا أماكن صدورها، وقد استدل به العديد من علماء العصر الحديث.

أمّا عند العرب المحدثون فكان اهتمامهم بالصّوائت كاهتمامهم بالصّوامت؛ حيث درسوها واشتغلوا على البحث فيها، وإعمال التّجارب عليها؛ إلّا أنّ التّسمية عندهم لم تقف على مصطلح واحد فحسب؛ بل تعدّدت واختلفت، ويمكن إرجاع ذلك إلى مسألة التّرجمة التي لا تستقر على حال واحدة، سمّاها إبراهيم أنيس مثلا بحروف اللين[2]، أمّا كمال بشر فقد أطلق عليها تسمية الحركات[3] في إشارة منه إلى أنّها تدل على الصوائت.

بهذا نجد أنّ الصوائت لم تكن دراستها وليدة العصر الحالي، إنما تطورت الأبحاث فيها عبر العصور، وأنّ القدامى قد ركزوا على الجانب النحوي، حفاظا على القرآن الكريم، الأمر الذي أدى بأبي الأسود الدؤلي إلى جعل التنقيط يحل محل الحركات، معتمدا ومركزا على مسألة النطق الصحيح، ليتم تشكيل المصحف على الوجه الأمثل.

ب. تعريف الصّوائت

أ/ لغة: ورد عن ابن منظور قوله: "صَاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوتًا وأَصاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نَادى والصَّائِتُ الصَّائِحُ"[4]، فالصوائت مصدر الفعل صات والتي تعني ناد وصاح.

ب/ اصطلاحا: سمّى اللّغويون المحدثون الصّوت صائتا وذلك لفصله عن الحركة والتي أطلقوا عليها تسمية الصّامت، وعرفوا الصّوائت بقولهم: صوت مجهور يحدث أثناء النّطق به أن يمرّ الهواء حرّا طليقا خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا

[1] ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص 115.
[2] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوي، المرجع السابق، ص 27.
[3] ينظر: كمال بشر، المرجع السابق، ص 217.
[4] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 01/ ص 619. مادة (صوت)

مسموعا[1]، فالصّوائت إذن هي أصوات مجهورة تصدر عبر الحلق، وصولا إلى الفم دون أن يعتريها أي عائق؛ بحيث تسير عبر ممر سليم، يندفع الهواء من خلاله اندفاعا سلسا دون أية حواجز.

أطلق القدامى على هذا النوع من الأصوات تسمية الحركات، وهو ما نجده في كتب الأوائل من العلماء اللّغويين؛ من أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن جني وغيرهما، وتعرف الحركة؛ بأنّها: صوت مخصوص يوجد عقيب الصّامت[2]، هذا على حد تعبير الرازي؛ في عرفها دانيال جونز بقوله: "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يعترض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلا يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا"[3].

ج. أنواع الصّوائت (الحركات): قسّم اللّغويون العرب الحركات إلى قسمين، يضم كل قسم منهما أنواعا ثلاثة من الحركات؛ وردت على النّحو التالي:

1. الحركات القصيرة[4]:

الفتحة: يرمز إليها بالرمز (ـَـ)، صائت وسطي قصير، يتخذ اللّسان معها وضعية مستوية؛ حيث يرتفع اللسان ارتفاعا خفيفا وسطه مع بقاء الفم مفتوحا متسعا، تكون فيه حجرة الرنين كبيرة، في حين تظهر الشفتين مسطحتين منفرجتين.

الضّمة: ويرمز إليها بالرمز (ـُـ)، صائت خلفي قصير، تنشأ حين يصبح اللسان أقرب من الحنك اللين واللهاة، وكذا حنجرة الرنين الفموية التي تضيق بصورة كبيرة جدا مع وضعية اللسان؛ في حين تفتح الشفتين فتحا خفيفا مع تقدمهما نحو الأمام بشكل مدور.

الكسرة: ويرمز إليها بالرمز (ـِـ)، صائت أمامي حركتها ضيقة، ويكون فيها الجزء الأمامي من اللسان أقرب من الجزء الأمامي من الحنك الصلب، أما وضعية الشفتين فتكون منفرجة.

---

[1] ينظر: كمال بشر، المرجع السابق، ص217.

[2] ينظر: الرازي محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1401هـ- 1981م، ص 38.

[3] حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص 112.

[4] ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، د.ط، ص 131 وما يلي/ ينظر كذلك: عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص 209 وما يلي .

2. الحركات الطويلة: إنّ المسافة الزمنية التي يأخذها الصوت عند خروجه تختلف باختلاف الحركة، فإذا كانت المدة قصيرة؛ فإن الأصوات تأخذ شكل الحركات القصار، أما إذا كانت المدة طويلة؛ فإن الحركات تمتد، وبهذا يصبح عدد الحركات في العربية ستة، ثلاث قصيرة وثلاث طويلة ممثلة في الفتحة تتبعها الألف، والضمة تتبعها الواو، والكسرة تتبعها الياء، وهذه الحروف تسمى بحروف المد أو اللين، يقول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"[1].

عدّ القدامى الحركات العربية ثلاث؛ هي الفتحة الضمة الكسرة، وأن المدود ما هي إلا أبعاض الحروف؛ في حين اعتبرها المحدثون حركات أيضا، وبهذا تصبح للعربية ست حركات تختلف من حيث المدة الزمنية؛ ومن جهة موضع خروجها.

الفتحة الممدودة:(اَ)، صائت طويل يأخذ مدة زمنية طويلة بخلاف القصير، الشفتان محايدتان مع بقاء فتحة الفم مفتوحة.

الضمة الممدودة:(وُو)، صائت طويل، الشفتان مشدودتان مع بقاء فتحة الفم مغلقة.

الكسرة الممدودة:(يِي)، صائت طويل، الشفتان في وضع مدور مع بقاء فتحة الفم مغلقة.

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الحركة قد عرف منذ القدم؛ أي مع العلماء القدامى؛ إذ تمت الإشارة إليه من قبل أبي الأسود الدؤلي والذي عرض في مقتطف حديثه؛ قائلا: "إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، فإن ضممت فمي، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف"[2]، الجدير بالذكر أنّ أبا الأسود الدؤلي قد جعل الحركات عبارة عن نقاط، بخلاف الفراهيدي الذي جاء من بعده، وسهّل مهمة الحركة وذلك بجعلها شبيهة للحرف الموازي لها؛ حيث عبر عن الفتحة بألف صغيرة، والضمة واو صغيرة، أما

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص 33.

[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق/سوريا، ط01، 1427هـ- 2007م، ص 221.

الكسرة فياء صغيرة أيضا، وهو ما أكدّ عليه سيبويه كذلك بقول: "فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو"[1].

شاع مصطلح الحركة بين الدارسين والباحثين، لكن ومع تطور العلوم وامتزاجها بالدّراسات الغربية، تعرض المصطلح لتسميات عدة منها؛ الصّائت واللّين والمصوت؛ في حين استعمل علماء التّجويد مصطلح الذّائب والذي لم يلق رواجا كبيرا على غرار التّسميات الأخرى.

[1] غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان/الأردن، ط01، 1425هـ- 2004م، ص 145.

المبحث الثاني: الظّواهر الصّوتية المتعلقة بالكلمة

حظيت الدّراسات اللّغوية بعناية فائقة من قبل الباحثين والمختصين؛ خاصة مع نزول القرآن الكريم الذي قوّم اللسان العربي، وأرسى دعائمه لتحافظ العربية بذلك على مكانتها وهيمنتها بين اللّغات الأخرى، ويعتبر الصّوت من أجَلِّ العلوم التي لاقت إقبالا كبيرا من قبل المختصين الذين ضبطوا قواعده وأسسوا مبادئه.

إنّ اللّغة العربية تتشكل من وحدات صوتية، تبنى عليها الكلمة وتتركب منها الجمل، فظهر لديهم ما يسمى بالظّواهر الصّوتية؛ إذ قادتهم الاكتشافات اللّغوية؛ وبالأخص البحوث الصّوتية إلى وجود تغيرات تطرأ على الكلمة حين النطق بها، هذه التّغيرات لا يمكن استيعابها كتابة، وإنّما تستخرج عن طريق الأداء الصّوتي لها.

أطلق العلماء اللّغويون تسمية الظّواهر الصّوتية أو التّلونات الصّوتية على تلك التّغيرات التي تحدث لأية كلمة، وتؤدي بدورها إلى تغيّر في المعنى، ولقد برزت هذه الظّواهر بتواجد القرآن الكريم، وبالأخص عند قراءته وترتيله، وهذا ما ألزم العلماء باستنباطها وتقعيدها حتى يدركها القراء، ويتم تطبيقها أثناء القراءات القرآنية.

استخرج العلماء عدة ظواهر ذلك أنّ لكل واحدة مقامها الخاص بها، ومن ضمن الظّواهر التي تمت دراستها في أطروحتنا هذه؛ لدينا: – الإيقاع– التنغيم– النبر– الفاصلة– الوقف، ويبقى التساؤل المطروح: ما هي هذه الظواهر الصوتية؟ وما الغاية من دراستها؟

المطلب الأول: الإيقاع

يعد الإيقاع أحد التّلونات الصّوتية؛ التي تُحدث تناسقا وانسجاما بين الأصوات وحركاتها في صورة ماتعة، محدثة جرسا موسيقيا منتظما خلال فترات زمنية متوازية، فما هو الإيقاع إذن؟ وما مدى تأثيره على المفردات والحروف؟

1. تعريف الإيقاع

أ/ لغة: يرد الإيقاع بصورة كبيرة في الموسيقى والشّعر، ولقد جاء في لسان العرب؛ أنّ: "الإيقاع من إيقاع اللّحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها، وسمّى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى، كتاب الإيقاع"[1]،

[1] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 03/ ص 873. مادة (وقع).

فالملاحظ هنا أنّ ابن منظور ربط الإيقاع باللّحن والغناء؛ كون لهما علاقة بالشّعر، ولا يبتعد تعريفه عمّا جاء به فيروز أبادي؛ بقوله: "الإيقاع إيقاعُ ألحانِ الغناءِ، وهو أن يُوقِعَ الأَلحانَ ويَبْنِيَهَا"[1].

الظّاهر أنّ كلا التّعريفين اتفقا على اعتبار الإيقاع، يندرج ضمن الموسيقى والألحان؛ والتي بدورها تجعل منه –الإيقاع– بارزا ومسموعا ذلك أن الوقع الذي تحدثه الآلة الموسيقية لا يمكنه أن يخفي ذاك الطرب الذي تسمعه الأذن وتطرب له.

ب/ اصطلاحا: يعرف الإيقاع بأنّه: "السّير وفق نظام تتّفق فيه الأصوات إمّا بالتّعاقب أو التّكرار، أو التّوازي مع بعضها البعض"[2]. فهو بذلك يمثل الوقع المنتظم المكرر الصادر عن الأصوات إثر تناسقها وانسجامها. وعرف كذلك بأنّه التتابع الزمني المنتظم لجملة من الأصوات اللغوية خلال فترات متتالية[3]، وهو بهذا يشكل لنا حركة موازية تسير على شاكلتها الأصوات وتنساق خلفها النقرات.

ولقد بيّن عبد الرحمان تبرماسين عملية حدوث الإيقاع على النحو الآتي، أنّه: "انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النّفس اهتزازات وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة، فالجذب من قبل النظر للصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة. ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يوقعها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كلا واحدا"[4].

فالملاحظ هنا أن استخدام العلماء للإيقاع اختلف باختلاف التّعابير والصور التي عبروا عنها بوجود الإيقاع، فمنهم من عدّه صادرا عن أية حركة تحدث في الطبيعة مشكلة صوتا وآخر اعتبره صادرا عن آلة موسيقية أو عن الشعر. وعليه نستطيع القول إن الإيقاع يتمثل في تلك النقرات التي تصدرها الأجسام في الطبيعة، أمّا إذا كانت منتظمة ومنسجمة ضمن نسق واحد فنقول إنها صادرة عن الآلة الموسيقية ولذلك ربطه معظم العلماء والباحثين بالموسيقى والشعر.

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 773.

[2] نعمان عبد السميع متولي، إيقاع الشعر العربي في الشعر البيتي الشعر الحر قصيدة النثر، دار العلم والإيمان، ط01، ص 132.

[3] ينظر: سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م، ص 111- 112.

[4] عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية لقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر، القاهرة/مصر، 2003م، ص94.

2. الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:

تحمل الكلمة القرآنية جمالية خاصة ووقعا فريدا لا يمكن قياسها على أي نص آخر، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: الآية 22]؛ وهذا ما أعجز الكفار والمشركين عن الإتيان، وبالرغم من اعتراضهم وكفرهم إلا أنّ النفس البشرية لم تستطع مقاومة جماليته وتسلسل مفرداته ووقعا على الأذن، فالإيقاع الذي تفرد به القرآن جعل نفوس الكفار تميل إلى سماعه، فقد أعطى قوة للفظ والمعنى على حد السواء " التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السّورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله"[1].

وبهذا يمثل الإيقاع أحد الأوجه الجمالية للقرآن الكريم لما يحتويه من وقع خاص تتخلل النفس البشرية التي ترتاح لقراءته، وتطرب الأذن لسماعه، يقول صبحي صالح: "إنّ هذا القرآن في كل سورة منه وآية،وفي كل مقطع منه وفقرة وفي كل مشهد منه وقصة وفي كل مطلع منه وختام، يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغما حتى ليكون من الخطأ الشديد من هذا الباب، أن تفاضل فيه بين سورة وأخرى أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص، إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدّليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه"[2].

3. التّناسب الجمالي للإيقاع في المفردات:

تشبع القرآن الكريم بجمالية خاصة من خلال ألفاظه ونسج عبارات فجاءت كلماته على نسق واحد من الجمالية والإبداع يقول إسماعيل بكر في هذا الصدد: "وله جمال يعرف ولا يوصف، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبر عنه ألسنة المتكلمين أو أقلام الكاتبين"[3]. فالجمالية التي يتسم بها القرآن الكريم لا يمكن وصفها أو التعبير عنها وذلك لما تحمله من نغمات إيقاعية تتغير بتغير الحروف والعبارات وحتى بتغير السياق الذي ترد فيه الآية، وذلك وجب علينا البحث عن المظاهر الجمالية التي اختص بها القرآن الكريم والتي تجلت في الآتي:

[1] فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان/الأردن، ط02، 1422هـ- 2002م، ص 10.

[2] صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط10، 1977م، ص334.

[3] محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط02، 1419هـ- 1999م، ص 181.

أ. التّناسب الإيقاعي للحرف:

إنّ التّتابع الصّوتي للحروف في القرآن الكريم يحمل سرا وإعجازا ربانيا عظيما لا يمكن وصفه أو الإتيان بمثله وذلك لوقوع الحروف وترابطها على نهج واحد، إذ نجد أنّ كل حرف في القرآن إلا وقد احتل مكانته وأدى وظيفته التي أرادها له الله سبحانه وتعالى.

تبرز جمالية الحرف ووقعه النغمي بكثرة عند الترتيل والتجويد إذ أن الأداء القرآني الصحيح يعطي للحرف قيمته الجمالية، ويقدم إيقاعا متوازيا تنجذب له النفس وتنساق خلفه المشاعر والأحاسيس، وذلك لما يحمله من صفات كالهمس والجهر؛ التفخيم والترقيق...وغيرهم، وهذه الصفات هي التي تزيد من وقع الحروف وإبراز جماليتها في أداء روحاني بديع.

ب.التّناسب الإيقاعي للكلمة:

إنّ النّفس البشرية بحاجة إلى من يهذبها وينير بصيرتها فجاء القرآن الكريم بألفاظه وعباراته يهدئ النفوس ويطمئنها، وذلك من خلال النسج البديع الذي أراده الله في كتابه الحكيم، لأن معاني الكلمات التي جسدها الله تعالى في كتابه لا تقتصر على المعنى الظاهري فقط إنما تعدت ذلك إلى العمق لتريح النفوس وتهذبها، فسماع القرآن أو قراءته تجويدا وترتيل يعطي ذلك النغم المنسجم والإيقاع الموسيقي فتمتزج الكلمات وتعطي معناها الخفي والدلالة التي وضعت لأجلها.

إنّ انتقاء الحروف والكلمات القرآنية لدليل على عظمة كلام الله؛ إذ القرآن نظر إلى التناسب من الزاوية الجمالية والتذوق الفني في نظم وسبك هذه الحروف والكلمات، ثم إن التكرار الذي أحدثه القرآن في طياته ليحمل هو الآخر أسرارا إلهية أرادها الله تعالى، فظاهرة التكرار في القرآن الكريم لها عدة دلالات منها شد انتباه السامع والقارئ، كما أنها تعطي وقعا نغميا تطرب له الأذن وبهذا نجد أن التكرار يضفي صبغة إيجابية رائعة تزيد من جمالية النسج القرآني.

4. أنواع الإيقاع: اتسع مصطلح الإيقاع ليشمل بذلك التجانس الداخلي للأصوات وكيفية انتظامها وفق نسق ممنهج، ولذا قسم الإيقاع إلى نوعين اثنين هما[1]:

الإيقاع الخارجي: ويختص بالشعر أكثر منه بالنثر إذ يشمل القافية والوزن.

الإيقاع الدّاخلي: ويختص بالمفردات وكيفية انتقائها والألفاظ وتجانسها، كما يشمل الفكرة الخاصة بالموضوع وما تحتويه من أحاسيس لإيصالها إلى القارئ أو المستمع.

الملاحظ أنّ الخطاب القرآني قد اهتم بجمالية الإيقاع الداخلي وذلك عن طريق انتقاء المفردات المناسبة لسياق الموضوع حيث يستحضر المستمع أو القارئ الحدث الوارد في الآيات الكريمات عبر سلسلة منتظمة من الأصوات متوافقة وموضوع الآية ليصبح المنطوق موزونا ذا وقع متزامن مسترسل محدثا بذلك تصورا عاما حقيقا للنص المقروء.

المطلب الثاني: التّنغيم

يشكّل التّنغيم أحد الظّواهر الصّوتية التي تكتسح الكلام المنطوق وتكسبه بذلك دلالات جديدة، فالكلام في ظاهره قد يبدو عاديا ومع إضافة التّنغيم يتغير المنطوق ويفهم المقصد من خلاله، ويمكن القول أنّه ظاهرة فنولوجية هامة عالجها الباحثون لما تحمله من معان ودلالات.

1. تعريف التّنغيم:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب النّغمة: "جَرَسُ الكلمة وحُسْن الصّوت في القراءة وغيرها، وهو حسَنُ النَّغْمَةِ، والجمع نَغْمٌ. والنَّغْم: الكلام الخفيّ. والنَّغْمةُ: الكلام الحسن؛ وقيل الكلام الخفي. وسكت فلان فما نَغَم بحرف وما تَنَغَّم مثله وما نَغَمَ بكلمة."[2]. كما ورد في معجم ابن فارس: "نغمٌ: النّون والغين والميم ليس إلّا النَّغْمة: جَرْس الكلام وحُسْن الصَّوت بالقِراءة وغَيرِها، وهو النَّغْمُ، وتَنَغَّم الإنسانُ بالغِناء ونحوِه..."[3].

[1] ينظر: نعمان عبد السميع متولي، المرجع السابق، ص 133.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 05/ ص 415. مادة (نغم).

[3] ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج05/ ص 452.

من هنا يتّضح لنا أنّ التّنغيم يكون مختصا بالكلام الجيّد والنّطق الحسن، فهو مصحوب بالأداء الكلامي الذي ينطق به الفرد والذي يتّضح من خلاله معنى الكلمة ومقصودها، ولا يبتعد هذا التّعريف عمّا جاء به معجم الوسيط في قوله: "النّغمة: جرس الكلمة وحسن الصّوت في القراءة وغيرها، وصوت موقّع والجمع أنغام وأناغيم"[1]. فالتّنغيم إذن يحمل معان عدّة تتعلق جميعها بحسن الصّوت في القراءة.

أمّا الفارابي فقد وظّف مصطلح "النّغم ton ليستدل به على التّنغيم، قال: والنّغم، الأصوات المختلفة في الحدّة والثقل التي تتخيل أنها ممتدة. ويبدو أنّ اللّحن عند الفارابي ذو منعكس دلالي، والمراد به التّنغيم المصاحب للألفاظ. وعنده إنّ اللّحن جماعة النّغم التي تصاحب الحروف في رحلتها الاسماعية"[2]. فالتنغيم يدلّ على التّغيرات الصّوتية التي تطرق على الكلام المنطوق التي تختلف باختلاف نوع الكلام إذ ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى. وعليه فإنّ التّنغيم يتمثّل في موسيقى الكلام التي تصدر أثناء الحديث، تتغيّر النّغمة بحسب درجات المنطوق.

ب/ اصطلاحا: اتّفقت معظم المؤلفات العربية على أنّ المقابل لمصطلح التّنغيم في اللّغات الأجنبية هو intonation، إلّا أنّ هناك بعض المؤلفات جعلت ترجمة هذه الكلمة الأجنبية بالنّبر الموسيقي وهو ما أورده عبد الصّبور شاهين، أو موسيقى الكلام[3] كما جاء عند إبراهيم أنيس، والذي قال في هذا الصدد "أنّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النّطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصّوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها...ويمكن أن نسمّي درجة الصّوت بالنّغمة الموسيقية"[4].

إنّ استخدام هذه التّرجمات لا يعني أنّها تبتعد عن التّعريف الاصطلاحي لمعنى التّنغيم، عرف بأنّه تلك:" التتابعات المطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة"[5]،فهو إذن مرتبط بدرجة الصوت[6] والتي تحدد بدورها نوع النغمة، فهو جزء لا يتجزأ من المنطوق كونه يساهم في فهمه وعرفة ما إذا كانت الجملة استفهامية أم تعجبية أم غيرهما.

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط04، 1425هـ- 2004م، ص 937.
[2] عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص255.
[3] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 103.
[4] المرجع نفسه، ص 103.
[5] عبد العزيز الصيغ، المرجع السابق، ص 263.
[6] ينظر: ماريو باي، أسس علم اللّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة/مصر، ط08، 1419هـ- 1998م، ص 93-94.

أجمعت هذه التّعاريف على اعتبار التّنغيم ظاهرة صوتية تعطي الحدث الكلامي ميزة خاصة، وتشارك في إحداث تنوّعات كلامية يفهمها المستمع من خلال النّغمات أو المقاطع الصّوتية المنطوقة. ذلك أنّ الجملة الواحدة تشمل عدّة نغمات صوتية متباينة. وبهذا نستطيع القول أنّه جزء من النّظام اللّغوي يستخدم لأجل تبيان المقصد، فهو أحد الظّواهر ما فوق التّقطيع.

والجدير بالذّكر أنّ التّنغيم مرتبط بالأداء الصّوتي وما يحدثه من اهتزازات للأوتار والذي يؤدي بدوره إلى تغير للصّوت بين الارتفاع والانخفاض، فهو إذن "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام، وهذا التغير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام ويدل على لحن الكلام"[1] ذلك أن الإنسان بطبيعته ميّال إلى الترنّم في الكلام وإحداث بعض الألحان فيه.

كما لا يخفى علينا أنّ الصّوت بحد ذاته بحاجة إلى جرس موسيقي خاص به يستخدمه الفرد المتكلم بحسب المقام الموضوع له ذلك أنّ "الكلام لا يجري على طبقة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنغيم"[2]. وعليه فإنّ معرفة أماكن الصّوت وخروجه بالطّريقة الصّحيحة يعطي للأداء الكلامي نغما سليما وواضحا، ذلك أنّ التّنغيم جزء مهمّ من عملية الكلام وبه يستقيم الفهم ويتّضح.

2. ظاهرة التنغيم بين القدامى والمحدثين:

أثارت قضية التّنغيم جدالا كبيرا بين المعاصرين الذين توجهوا قسمين، إذ يرى أحدهم أنّ القدامى لم يتشعّبوا في هذه المسألة إنّما كانت دراستهم سطحية وغير معمقة. إذ لم يتطرقوا إليها بالرّغم من تمكنهم اللّغوي وبحوثهم الجمّة التي لاقت إقبالا كبيرا من قبل الباحثين، وهذا ما جعل البعض يعجب لعدم ذكر القدامى للنّغمة؛ حيث نفوا تواجدها عندهم[3]. وهذا الأمر قد يستبعد كون القدامى استعرضوها ضمن مؤلفاتهم.

[1] محمود السّعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، د.ط، ص 192.

[2] تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة/مصر، ط01، 1413هـ- 1993م، ص 262.

[3] ينظر: أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي –محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي- دار غريب، القاهرة/مصر، ط01، 2008م، ص55.

أمّا القسم الثّاني فقد أكّد على وجود ظاهرة التّنغيم واعتبر أنّ العلماء القدامى تداركوا هذه المسألة وأشاروا إليها ضمن مؤلفاتهم العلمية، من بين أولئك العلماء لدينا ابن جني الذي أشار إلى ظاهرة التنغيم الصوتي من خلال تمطيط اللام في الله وإطالة الصوت دون أن يذكر أو يبين أنّ هذه المسألة متعلقة بالتنغيم.

الأمر ذاته أورده الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين حين قال "والصّوت هو آلة اللّفظ، والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتّقطيع والتّأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللّسان، مع الذي يكون بالإشارة من الدّلّ والشّكل، والتقتّل والتثني"[1]. فالملاحظ هنا أنّ الجاحظ قد تنبه لأهمية إحداث النّغمات الصّوتية أثناء الكلام والتي بواسطتها يفهم المقصد.

فالصّوت بهذا المعنى شبيه بالآلة الموسيقية التي تحدث نغمات متفاوتة ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى، فلا بدّ للصّوت أن يكون موازيا للكلام المنطوق حتى يستوعب المدلول. ثم إنّ الحركات المصاحبة للمقاطع الصوتية لا تقل أهمية عن النغم الصوتي؛ إذ بواسطتها يدرك المقصد ويفهم المعنى.

صفوة الكلام أنّ المؤلفات العربية قديما حتى وإن لم تدرج ضمن كتاباتها معنى التّنغيم ومقصده إلّا أنّها أشارت إليه حين الحديث عن الصّوت. فقد لمح القدامى إلى وجوده وذلك بذكرهم لبعض المصطلحات كالترنم، التطريب، مد الصوت كلها توحي إلى وجوده عندهم.

أمّا فيما يخصّ العلماء المحدثين فلقد تطرقوا لهذه الظّاهرة بالدّراسة والتّحليل مشيرين إلى أهميتها، حيث تناقلوها من اللّغات الأخرى، ويعدّ إبراهيم أنيس أول باحث من المعاصرين أشار إلى التنغيم وعمل عليه ضمن حقل اللغويات وجعله تحت مسمى موسيقى الكلام[2]، واعتبره المعاصرون "الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السّياق"[3]. فالتّنغيم عند المحدثين ارتبط بالأداء الصّوتي الموسيقي الذي يحدث إيقاعا مميزا، بحيث تختلف درجات الصوت من ارتفاع وانخفاض عند النطق. اهتم به المحدثين أشد اهتمام وأدرجوا له قواعد وأسس يقوم عليها.

[1] الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، القاهرة/مصر، ط07، 1418هـ- 1998م، ج01/ ص 79.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 103.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء/المغرب، 1994م، ص 226.

3. أنواع التنغيم:

شكّل التّنغيم توجها صوتيا مميّزا حيث أصبح يعدّ جزءا من النّظام اللّغوي، بواسطته يمكن تحديد المقاطع الصّوتية إذا ما كانت قويّة أم منخفضة، وهو ما جعل المعاصرين يحدّدون أنواع النّغمات انطلاقا من درجة الصّوت وما يعتريه من ذبذبات، وإنّ أكثر الأنواع شيوعا لدى المعاصرين هي كالتّالي:

01. النّغمة الهابطة: هي النّغمة المنخفضة التي تحدّد عند آخر الجملة، أو عند نهاية الكلام، ومردّ تسميتها أنّ نهايتها توصف بالهبوط[1]، وتكون في الجمل التّقريرية التي تتميّز بنمط خاص عند نهايتها والتي تشير إلى اكتمال الكلام المنطق[2] وتمامه.

02. النّغمة الصاعدة: هي النّغمة المرتفعة أو العالية التي تحدث ارتفاعا للصوت عند نهايتها، وتقع في الجمل الاستفهامية التي تحمل الإجابة بنعم أو لا كأكثر حد، وهو ما أورده كمال بشر حين قال: "الجملة الاستفهامية وبخاصة تلك التي تستوجب الإجابة بلا ونعم تنتهي بنغمة صاعدة...دليلا على أنّ الكلام لم يتم وتمامه بالإجابة التي تكون بنغمة هابطة"[3]، أي يكون الصوت فيها مرتفعا دالا على استفهامية الفرد المتكلم، والتي من خلالها يفهم أن المنطوق ذكر على شكل استفهام ويحتاج لإجابة محددة "نعم" أو "لا" فقط.

03. النّغمة المسطحة المستوية: والتي نقول عنها النغمة الثابتة، والتي تقع بين الصاعدة والهابطة، بحيث تكون متوسطة بينها، فهي: تمثل عددا من المقاطع الصوتية، المتحدة في درجاتها، سواء أكانت منخفضة أم عالية أم متوسطة، وهي على ثلاثة صور:

أ. نغمة مستوية منخفضة.

ب . نغمة مستوية مرتفعة

ج . نغمة مستوية متوسطة.

[1] ينظر: كمال بشر، المرجع السابق، ص 534.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص543.

[3] المرجع نفسه، ص543.

ويرمز لها بخط أفقي (–) ويوضع أعلى السطر أو أسفله أو وسطه وذلك بحسب النغمة[1]، وكثيرا ما تحدث هذه النّغمة في الأحاديث العادية التي يكون الصّوت فيها متوازيا منسجما مع طبيعة الموضوع المتحدّث فيه، فهي تمثّل الكلام العادي المتداول بين الأفراد.

استنادا إلى ما تم ذكره نستخلص أن التنغيم كان محل اهتمام اللغويين القدامى والمعاصرين وذلك لما يحتويه من درجات صوتية أدائية متفاوتة في النغمة؛ بحيث قد ترتفع حينا وتنخفض أخرى، فهو يعزز القراءة ويثري المفهوم ليوضح لنا المقصد من الجملة إن كانت استفهامية أم تعجبية أم غيرهما. ويعد علماء القراءات من بين الأوائل الذين تفطنوا لهذه الظاهرة وذلك من خلال قراءتهم المستمرة للقرآن الكريم والذي بفضله اتضحت عدة مسائل من ضمنها التنغيم والذي برز جليا أثناء تغيير الأداء الصوتي للآيات القرآنية، فاختلفت بذلك درجة التنغيم بحسب المقام.

المطلب الثالث: النّبر Strees

يشكل النبر جانبا من أداء الصوتي، فهو أحد الظواهر الصوتية فوق مقطعية التي تضفي على الكلمة رونقا وتزيد من إيضاحها ذلك أنه يظهر أثناء التكلم خاصة حين قراءتنا لكلام الله عز جل، فما النبر إذن؟

1. تعريف النبر:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب: "النَّبْرُ بالكلام: الهَمْز. قال: وكلُّ شيء رفع شيئًا، فقد نَبَرَهُ. والنَّبْرُ: مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبُرُهُ نَبْرًا هَمَزَهُ؛ والنَّبْرُ: هَمْزُ الحَرْفِ"[2]. فالنبر بهذا المعنى هو الهمز والارتفاع، وهو ما أدلى به الأنباري حين قال: "النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نَبَرَ الرّجل نبرةً إذا تكلّم بكلمة فيها عُلُوٌّ...ونبرة المغني: رَفعُ صوتهِ عن خفضٍ"[3]. فهو الارتفاع الذي يحصل للكلمة أثناء النّطق بها.

ورد عن مقاييس اللغة أنّ: "النون والباء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُ على رَفْع وعُلُو. ورَجُلٌ نَبَّارٌ: فَصيحٌ جهير، والنَّبْرُ في الكَلام: الهَمْزُ أو قريبٌ منه. وكل مَن رَفَع شَيئًا فقد نَبَره، والجمع أَنْبَار"[4]. وبهذا يمكننا القول أنّ

[1] ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، المرجع السابق، ص 165.
[2] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 02/ ص 971. مادة (نبر).
[3] غانم قدوري الحمد، المرجع السابق، ص236.
[4] ابن فارس بن زكريا، المصدر السابق، 380.

النّبر يكمن في الضّغط على أحد المقاطع الصّوتية حين النّطق بها، كونه لا يظهر في البناء اللّغوي سواء للكلمة أو الجملة إنّما يختص بالأداء النّطقي.

ب/ اصطلاحا: يؤدي النّبر دورا أساسا في تحديد المقاطع الصّوتية، ولقد عدّه علماء اللّغة من أبرز الظواهر الصّوتية، الأمر الذي جعلهم يقفون عنده موقفا ثابتا حيث تناولون بالدّراسة والتّحليل مبرزين أهم القواعد التي يقوم عليها، ولكي يتّضح معناه حاول العلماء إعطاء تعريف له، عرفه كمال بشر بقوله: "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره"[1]، فالكلام عموما يحتوي على جملة من المقاطع المتفاوتة في الأداء، وأنّ النّطق به يحتاج إلى تحريك جميع الأعضاء، أي بذل مجهود عضلي.

وفي هذا الصّدد يواصل قائلا أنّ: "النّبر يتطلب عادة بذل طاقة في النّطق أكبر نسبيا، كما يتطلّب من أعضاء النّطق مجهودا أشد"[2]. السياق ذاته أورده حسام البهنساوي في كتابه حيث قال أنّالنّبر عبارة عن "نشاط في جميع أعضاء الجسم، إذ تنشط عضلات الرّئتين نشاطا كبيرا، كما تقوى حركات الوترين الصّوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر، ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذّبذبات ويترتب عليه أن يصبح الصّوت عاليا واضحا في السّمع هذا في حالة الأصوات المجهورة، أما مع الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما من الصوت المهموس غير المنبور"[3]. فالنّبر إذن يحدث نتيجة نشاط أعضاء النّطق وذلك عن طريق اندفاع الهواء الخارج من الرّئتين وصولا إلى الحنجرة ومنه إلى الشفتين اللّتين تنطقان بالحرف المنبور صورة مرتفعة محدث دويّا مغايرا عن بقية الأصوات المنطوقة.

إنّ المقطع المنبور يكون إمّا بزيادة الشّدة على الصّوت أو بارتفاع النّغمة أو المد[4]. أمّا في مجال علم الأصوات فيمكننا القول بأنّه الضغط على أحد مقاطع الكلمة بحيث تبرز بشكل واضح على بقية المقاطع.

اتفقت جلّ هذه التعريفات على أنّ النّبر يظهر حين الضّغط على المقطع الصوتي والذي يكون متفاوتا بحسب درجة الضغط التي يحدثها المتكلم، ذلك أن البنية اللفظية هي التي توضح لنا المقطع المنبور عن غيره. ولقد اعتبر تمام حسان الضغط أحد أهم عوامل النبر حين قال: "فالضّغط لا يسمى نبرا، ولكنه يعتبر عاملا من عوامله،

[1] كمال بشر، المرجع السابق، ص 512.

[2] المرجع نفسه، ص 513.

[3] حسام البهنساوي، علم الأصوات، المرجع السابق، ص 153.

[4] ينظر، مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، الدار الثقافية للنشر، القاهرة/مصر، ط01، 1418هـ- 1998م، ص 40.

ومع هذا فإنّه يعتبر أهمّ هذه العوامل، وربما كان ذلك لأنّ النّبر يعرف بدرجة الضّغط على الصّوت أكثر مما يعرف بأي شيء آخر، أو لأنّ الضّغط في صورتيه صورة القوة وصورة النغمة يتسع مجال تطبيقه على النّبر أكثر مما يتسع مجال العوامل الأخرى"[1].

ومنه فالنبر هو ذلك الجهد العضلي الذي يحدثه المتكلم أو بالأحرى القارئ حين النطق بالمقاطع الصوتية متتابعة بحيث يحصل الارتكاز على بعض الأصوات وهي الأصوات المنبورة دون غيرها، ويبرز النبر بشكل واضح في الكلام المنطوق دون المكتوب كونه ظاهرة صوتية تقع على الكلمة أو الجملة مشافهة.

2. أقسامه النبر:

تختلف درجات النبر من مقطع إلى آخر بحسب نسبة الضغط، فينقسم بذلك إلى ثلاثة أقسام، هي[2]:

01. النّبر القوي والارتكاز القوي: يكون الضغط فيه مرتفعا بشكل كبير جدا، يتضح المقطع المنبور بصورة أوضح وأدق ومثال ذلك صوت الضاد في كلمة (ضرب) عند النطق بها نجد أن (ض) بنبر وارتكاز أكبر من (ر) و (ب).

02. النّبر الوسيط والارتكاز الثانوي أو الوسيط: يتم الضغط فيه بشكل متوسط بين الارتفاع والانخفاض، فهو دون المستوى الأول، ومثاله المقطع الصوتي (مس) ينبر نبرا وسيطا عد النطق بكلمة (مستحيل).

03. النّبر الضّعيف أو الارتكاز الضّعيف: والذي يحدث ضغطا ضعيفا أقل من النوع الثاني.

الظّاهر أنّ محمود السّعران قد استخلص وجود درجات للنّبر متفاوتة تحدث نتيجة الضغط الذي يحدثه المتكلم أثناء القيام بعملية الكلام.

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة/مصر، د.ط، 1990م، ص160.

[2] ينظر: محمود السعران، المرجع السابق، ص190.

3. أنواع النبر: يقسم النبر إلى قسمين:

01/ نبر الكلمة: هو النبرة الرئيسية التي نسمعها عند النّطق بالكلمة لوحدها وهذا على حد تعبير محمد علي الخولي[1]. بحيث يقع على أحد المقاطع ليبدو جليّا وواضحا، ويمكن تقسيم نبر الكلمة إلى قسمين، هما:

أ. أولي: يقع على كل كلمة من كلمات الجملة، فالجملة تحمل عدة نبرات فردية.

ب ـ الثّانوي: فيقع على الكلمات الطويلة فتبرز أكثر من غيرها نحو كلمة (استغفار) والتي تحتوي على نبر أولي يقع على المقطع (فا) ونبر ثانوي على المقطع (تغ)[2]. ومنه نستخلص أن الكلمة الواحدة قد تحمل عدة نبرات وذلك بحسب حجم الكلمة سواء كانت طويلة أم قصيرة.

02/ نبر الجملة: وهو نبر يقع على بعض الكلمات الأساسية من الجملة؛ بحيث يكون الجزء المنبور هو المراد تأكيده. أي أنّ المتكلم يركز على الكلمة الأساسية في الجملة والتي بفضلها يفهم المقصد، فالجملة إذن لا يمكن أن تركّب عبثا إنّما هناك دافع وراءها وهو ما يجعل النبر يبرز حين النطق بها. ولقد اعتبر محمد علي الخولي الجملة عند النطق بها وحدة صوتية فهي إذن تشكل نبرة رئيسية واحدة بما تحمله من كلمات مكونة لها[3].

03/ النبرة التقابلية: هي"النبرة الرئيسية التي تأخذها أية كلمة في الجملة لأجل نفي البديل، والبعض يدعوها النّبرة التّوكيدية. على سبيل المثال ذهب الولد إلى المدرسة، إذا قلنا (ذهب) منفردة، (الولد) منفردة، (إلى) منفردة، (المدرسة) منفردة، فكل كلمة منفردة منها تأخذ نبرة رئيسية. ولكن إذا قلناها معا في جملة واحدة فإن كلمة واحدة منها هي (المدرسة) تأخذ نبرة الجملة، ولكن يجوز أن ننبر تقابليا أية كلمة في الجملة حسب هدف المتكلم. مثلا لو نبرنا كلمة (الولد) فإننا نؤكّدها وننفي أية بدائل محتملة"[4]. بمعنى أن النبرة التقابلية هي تلك النبرة التي من أجلها وضعت الجملة بحيث يمكن تحديدها بحسب المقصد الذي أراده المتكلم.

هناك تقسيم آخر للنّبر حدّده عبد القادر عبد الجليل والذي اعتمد من خلاله على درجة النّبر، وقسّمه هو الآخر إلى ثلاثة أنواع نبر رئيسي وثانوي والثالث ضعيف، حيث تمّ التّفرقة بين هؤلاء الثّلاثة حسب قوّة

[1] ينظر: محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2000م، ص47.
[2] ينظر، فوزي الشّايب، المرجع السابق، ص159.
[3] ينظر، محمد علي الخولي، المرجع السابق، ص47.
[4] ينظر، المرجع نفسه، ص47-48.

الصّوت التي يبدلها المتكلم عند النطق بالكلمة أو الجملة، كذلك النغمة التي تحصل عند التكلم، إضافة إلى المدة الزمنية التي يأخذها إنتاج الصوت[1].

ولمعرفة موقع النبر في الجملة أو الكلمة حدّد مهدي محمد رموز خاصة بكل نوع، حيث جاءت على النحو التالي:

01. "يرمز للنبر القوي بالرمز (‿) بوضع خط مائل صغير من اليسار إلى اليمين فوق المقطع المنبور مباشرة.

02. النبر المتوسط علامته (-) بوضع الخط الصغير تحت المقطع المنبور.

03. أما المقطع الذي يكون نبره ضعيفا فلا يرمز له برمز معين ويترك بلا علامة"[2].

4. وظائف النبر:

للنبر وظائف عديدة يقوم بها حتى يؤثر على نفس السامع، فيفه الكلام ويعني المقصد من ورائه، وتتمثل هذه الوظائف في التالي[3]:

أ. على المستوى الفونولوجي: يقوم النبر بدور الفرق بين الكلمات المتشابهة صوتا في كل شيء إلا في النبر، ففي اللغة العربية عندما نوازن بين نطق ومعاني الكلمات الآتية: (أَرَقْ) اسم على (فَعَلْ) بالنبر على المقطع الأول و(أَرَقْ) اسم تفضيل على (أَفْعَلْ) بالنبر على المقطع الأخير، ومن ذلك (أَسَدْ) اسم تفضيل من السداد، على (أَفْعَلْ) بالنبر على المقطع الأخير (سد)، و(أَسَدٌ) للحيوان المفترس بالنبر على المقطع الأول.

ب. على المستوى المورفولوجي أو الصرفي: النبر من المورفيمات الصرفية المهمة، فهو يحدد القيم الصرفية ويعين صيغة الكلمة فيفرق بين صيغة الاسم وصيغة الفعل في اللغة.

[1] ينظر، عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار ضياء للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، 2000م، ص 37.

[2] مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب، بيروت/لبنان، 1998م، ص 133.

[3] دربي حورية، عبد القادر بن فطة، تأملات صوتية في رحاب القرآن الكريم (دراسة فونيتيكو فونولوجية في فن التجويد والتفسير القرآني)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج/الجزائر، جوان 2023، ص 98-99.

ج. على المستوى النحوي: يقوم النبر في هذا المستوى بوظائف أهمها: الربط بين أجزاء الجملة أو المنطوق أو الدلالة على الأهمية النسبية لأجزاء الكلام، والإشارة إلى نوع الجملة (استفهام، أمر، إخبار...)، هذا إلى جانب قيامه بتحديد أجزاء المنطوق والإشارة إلى دور كل جزء أو إلى إعرابه في الجملة.

د. على المستوى العروضي: يقوم إيقاع الشعر (الفري والتكرري) عل أسين مهمين: أحدهما: الكم الزمني، والآخر: النبر، ويعتبر بعضهم أن العروض العربي من النوع الذي يقوم على كل من الأساسين (الكمي والنبري)، هذا ما إلى ما للنبر من وظائف أخرى كثيرة في المستويات الأخرى العديدة، مثل: صنع التّزمين الملائم، وتنويع التنغيم في المستوى الصوتي، ومثل إشراق الكلمة ووضوحها، والتعبير عن عواطف المتكلم وانفعالاته، وصنع الإيقاع المناسب للمعاني في المستوى البلاغي.

5. شروط النبر: تتمثل في الآتي[1]:

أ. إذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد فالنبر عليه إطلاقا أيا كان شكل هذا المقطع، مثل: عد، نم، صِلْ...إلخ.

ب. لا تحسب (ال) التعريف في مقاطع الكلمة.

ج. كل ما يلحق الكلمة من ضمائر متصلة، أو ما يسبقها من حروف المضارعة داخل فيها أثناء عدّ المقاطع.

د. يحدد موقع النبر على أساس أن الكلمة منطوقة في حال الوصل، وبعد التحديد لا يهمّ أن تنطقها موصولة أو موقوفا عليها بالسكون، لأن موقع النبر لا يتغير بين وصل ووقف.

تضاربت الرؤى واختلفت الأوجه حول ما إذا كان نبر المحدثين هو ذاته نبر القدامى، والراجح أنه لا خلاف بينهما سوى من ناحية التعمق في الدراسة وزيادة البحث فيه خاصة ومع ظهور اللسانيات التي اعتنت بالمستوى الصوتي فظهرت عدة اتجاهات كالاتجاه الوظيفي وفيزيائي. ولقد أدرك العلماء أهمية النبر على الكلمات والجمل إذ بواسطته يبرز الجانب الجمالي للنص القرآني وأن إهماله يؤدي إلى إخلال المعنى وإفساده.

[1] الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت/لبنان، ج01/ ص 52-53.

المطلب الرابع: الفاصلة القرآنية

تمثل الفاصلة ظاهرة صوتية جديرة بالبحث والدراسة، حيث عمد العلماء إلى التعريف بها وتبيان أنواعها، فهي تلون صوتي إعجازي برز ليبطل جبروت العرب وتكبرهم في تلك الحقبة الزمنية، فما الفاصلة؟ وما طرق معرفتها؟

1. تعريف الفاصلة:

تعدّ الفاصلة تلونا صوتيا ظهرت بظهور القرآن الكريم، فهي أحد المواضيع المهمة التي شدت انتباه العلماء؛ وأن هذا المصطلح تم تداوله في العديد من علوم اللغة كالنحو والعروض وكذا علامات الترقيم أيضا. إلا أنّ القرآن الكريم ميّز الفاصلة القرآنية عن باقي المصطلحات المشابهة لها باعتبارها تشكّل إعجازا قرآنيا ذا قيمة رفيعة ومكانة عالية، فما هي طرق معرفة هذه الفاصلة؟

أ/ لغة: يقول ابن منظور الفاصلة: "الخَرزة التي تفصِل بين الخَرزتين في النِّظام، والفَصْل: القضاء بين الحق والباطل"[1]. مأخوذة من مادة (فصل)، والفصل معناه القطع كأن نقول مثلا فصل بين الشيئين أي قطع بينهما ووضع حاجزا فاصلا. وكما أن الفاصلة موجودة في القرآن فقد أوجدها العلماء في الشعر أيضا إذ نقول الفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى.

ب/ اصطلاحا: تغير تعريف الاصطلاحي للفاصلة بتغير الاتجاه العلمي لكل عالم، فجاءت على النهج التالي:

أ. علم النّحو: هي كل: "حرف وضع على صورة الضمير، فسمي ضميرًا مجازا.يؤتى به للتّوكيد و لإزالة الإبهام، وللفصل فيما يتوهّم أنّه صفة أو بدل وهو في الحقيقة خبر، نحو: إنّ الله هو الغفار، فضمير الفصل (هو) يبيّن أنّ الغفّار خبر وليس صفة، إذ بغيره قد يتوهّم أن يكون صفة"[2]عرفها ابن منظور بقوله: "أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر واحدتها فاصلة"[3]. وعليه فإن الفاصلة في النحو العربي تتمثل في ضمير الفصل.

[1] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 04/ ص 718. مادة (فصل).

[2] علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، أربد/الأردن، ط02 ، 1414هـ- 1993م، ص347.

[3] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 04/ ص 719. مادة (فصل).

ب. علم العروض: الفاصلة عند أنصار هذا العلم تقع على نوعين فاصلة صغرى، وفاصلة كبرى.

ج. علم الحساب: هي "العلامة في حساب الكسور العشرية تكتب بين الكسر والعدد"[1]. إذن تعبر عن الرمز الفاصل بين الكسر وعدده.

د. علوم القرآن: عرّفها الزّركشي بقوله: "الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وقرينة السّجع"[2]، جعلها قريبة من قافية الشّعر والسّجع، وهو ما أشار إليه أبو عمر الداني وغيره بأنّها آخر كلمة في الجملة. في حين عدّها أبو بكر الباقلاني قائلا: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"[3]. أي أنّها تساعد على شرح مضمون الآية.

وعليه فقد ظلّت التّعاريف اللّغوية والاصطلاحية حول الفاصلة متوارثة ومتقاربة إلى حدّ ما حول اعتبارها الكلمة الأخيرة التي تنتهي بها الآية القرآنية، فقد شبّهها البعض بقافية الشّعر وقرينة السّجع، لما تحدثه من إيقاع منسجم الدّلالة مصحوبا بنغمات موسيقيّة تطرب لها الأذن، وتتناغم كلماتها ومعانيها؛ إذ تشكل نسيجا صوتيا رائعا يضفي على القراءة إيقاعا منسجما العبارات والمعاني.

فالتّركيبة الصّوتية للقرآن الكريم أظهرت هذا التّناسق النّغمي في الألفاظ الأمر الذي جعل العلماء يهتمون بهذا النّوع من الدّراسة ويعتبرون الفاصلة أحد أهم المباحث الصّوتية التي لا بد على القارئ والباحث التّطرق إليها لما تحققه من توازن وتآلف صوتي.

2. الفاصلة في القرآن:

ورد ذكر الفاصلة في القرآن في عدّة مواضع، دلّت كل واحدة منها على معنى مغاير لسابقتها، فهي مأخوذة من مادة (فصل) التي وجدت في ثلاث وأربعين آية، نذكر منها:

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط04، 1425هـ- 2004م، ص691.
[2] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة/مصر، 1427هـ- 2006م، ص 50.
[3] الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1971م، ص 409.

أ. الإفهام والتّوضيح[1]: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: الآية 99]؛ أي قد بينا وأرشدناكم لما هو خير لكم في الدارين.

ب. الحجّة والدّليل[2]: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: الآية 24]؛ فالفصل في هذا المقام هو الإتيان بالأدلة والبراهين.

ج. بمعنى القيامة[3]: قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: الآية 38].

الملاحظ على هذه المعاني أنّها اشتقت من مادة (فصل)، إلا أنّها لا تشير إلى مفهوم الفاصلة القرآنية، إنّما تحمل دلالات ومعان مغايرة تماما لها، فالفاصلة القرآنية كما تمّ الإشارة لها سابقا تدلّ على أواخر الكلمات في الآيات القرآنية.

3. طرق معرفة الفاصلة:

حظيت مسألة الفاصلة باهتمام كبير عند العلماء اللّغويين عامة والقراء خاصّة، ولمعرفة الفاصلة وضبطها هناك طريقتين، هما:

الطّريقة الأولى: توقيفيّة: يتمّ عن طريق السّماع، وهو ما ثبت عن النّبي –صلى الله عليه وسلم– ونقله الصّحابة من بعده، وحجتهم في ذلكما رواه أبو داوود عن أم سلمة لما سئلت عن قراءة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قالت: "كان يقطع قراءته آية آية وقرأت: "بسم الله الرحمن الرحيم" إلى "الّذين" تقف على كل آية" فمعنى يقطع قراءته آية آية، أي يقف على كل آية، وإنّما كانت قراءته –صلى الله عليه وسلم– كذلك ليعلم رؤوس الآي"[4].

[1] ينظر: بن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت/لبنان، ط01، 1420هـ-2000م، ص 707.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 929.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 1694.

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص 78-79.

وعقّب إبراهيم بن عمر الجعبري على هذا الحديث فقال: "ما وقف عليه السّلام عليه دائما تحقّقنا أنّه فاصلة. وما وصله دائما تحقّقنا أنّه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى: احتمل الوقف أن يكون لتعريفها، أو لتعريف الوقف التّام، أو للاستراحة، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدّم تعريفها"[1]. ومعنى الوقف في هذا المقام ما تم معناه، أنه كلما قرأ عليه الصلاة والسلام وأدركه المعنى توقف، فذلك الوقف الذي وقع على الآية سمي بالفاصلة، سواء كان الوقف تاما أو غيره.

الطّريقة الثّانية: قياسيّة: "وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك، لأنّه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنّما غايته أنّه محل فصل أو وصل والوقف على كلّ كلمة جائز"[2]. وظف العلماء طريق القياس لترددهم بين وقفه عليه الصلاة والسلام مرة، وإيصاله مرة أخرى، وحتى لا يقعوا في الشبهات ولا يفسد المعنى المقصود من الآية.

ونقلا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من حالات الوقف خلال قراءته للقرآن، استطاع العلماء استخراج بعض الطرق عددها عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي في النقاط التالية، وهي[3]:

01. مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا وقصرا.

02. مشاكلة الفاصلة لغيرها ممّا هو معها في السّورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله.

03. الاتّفاق على عدّ نظائرها في القرآن.

04. انقطاع الكلام عندها". وهذا بحسب ما استنبطه عنه العلماء أثناء قراءته صلى الله عليه وسلم، إذ حددت الفاصلة بطول الآية أو قصرها، وكذا بحسب الموضوع الواردة فيه فعند نهاية القصة أو الحادثة تأتي الفاصلة لتبين نهاية ما تم سرده.

[1] حسين نصار، إعجاز القرآن الفواصل، الناشر مكتبة مصر، ط1، 1999م، ص09.
[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 79.
[3] حسين نصار، المرجع السابق، ص 10.

4. أنواع الفاصلة:

نوع القرآن في حجم آياته ونظم عباراته؛ إذ نجد البعض من الآيات قصيرة والأخرى ذا الحجم الطويل، وهذا كله لأجل إثراء النص القرآني وكسر المألوف الذي عرفه العرب سابقا، وتدخل الفاصلة ضمن باب الإعجاز القرآني الذي تحدث عنه العلماء، حيث قسّموها إلى عدّة أقسام وذلك تبعا للمعيار المعتمد في تحديدها، فهي على النحو التالي:

أ. الفاصلة حسب حجم الآية: وهي ثلاثة أنواع:

الفاصلة القصيرة: هي التي تكون آيات السور في قصيرة جدا.

الفاصلة الطويلة: هي التي تشمل على آيات طوال، وتكثر في السور الطوال.

الفاصلة المتوسطة: هي التي تدور بين الطول والقصر.

ب. الفاصلة حسب الحرف الأخير من الكلمة:

الفاصلة المتماثلة: تسمى كذلك "الفواصل المتجانسة أو ذات المناسبة، فهي التي تماثلت حروف رويها"[1]. أي هي الفواصل المتماثلة والمتشابهة بالحروف. ولقد حددها العلماء بإحدى عشرة، وهي:

. سورة الناس: وفاصلتها حرف السين.

. سورة الإخلاص: فاصلتها حرف الدال.

. سورة الفيل: فاصلتها حرف اللام.

. سورة الكوثر، العصر، القدر، القمر: الفاصلة فيهم حرف الراء.

. سورة الشمس: فاصلتها الألف الممدودة بعدا (ها).

. سورة الليل، والأعلى: فاصلتها حرف الألف المقصورة.

. سورة المنافقون: فاصلتها حرف النون.

[1] محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار للنّشر والتّوزيع، عمان/الأردن، ط02، 2000م، ص145.

الفاصلة المتقاربة: وتسمى "ذات المناسبة غير التامة، فهي التي تقاربت حروف رويّها"[1]، هي الفواصل المتقاربة في الحروف. كتقارب الميم من النون. إذ نجد أن الأصوات هنا متقاربة في المخرج. فلقد كثرت هذه الفواصل في الآيات القرآنية لجعلها منسبة حسب السياق ولتقارب العلاقة بين الأصوات.

ج. الفاصلة باعتبار الإيقاع الصوتي:

أ/ المطرّف أو المعطوب:"هو ما اتفق في حروف الروي لا في الوزن"[2]. فهو كل فاصلة اتحدت مع نظيرتها في الحرف الأخير واختلفت معها في الوزن الصرفي.

ب/ المتوازي: "هو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي، واشترط بعض العلماء ألّا يقابل ما في الفقرة الأولى لما في الثانية في الوزن والتقفية"[3]. وهي أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف.

ج/ المتوازن: وهو "ما راعى في مقاطع الكلام الوزن وحسب"[4]. الاتفاق هنا على الوزن دون النظر للروي.

د/ المرصّع: هو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفا من كلمات مختلفة، والثاني مؤلفا من مثلها في ثلاث أشياء، وهي: الوزن والتقفية وتقابل القرائن.

حدّد العلماء اعتبارين اثنين لمعرفة نوع الفاصلة من ناحية الإيقاع الصّوتي وهما: الروي أو الوزن، فكلّما اتفقت أواخر الكلمات على نفس الروي فنوع الفاصلة هنا مطرفة، أمّا إذا اتفقت على نفس الوزن فالفاصلة هنا متوازنة، في حين لو اتفقا على الوزن والروي معا فالفاصلة من النّوع المتوازي.

[1] محمد الحسناوي، المرجع السابق، ص146-147.
[2] المرجع نفسه، ص149.
[3] المرجع نفسه، ص 149.
[4] المرجع نفسه، ص149.

د. الفواصل بحسب ما قبلها: تتمثل في:

أ/ التمكين: أن "يُمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم"[1]. بمعنى أن يشار للفاصلة في بداية الكلام فيفهم المعنى من خلال المقصد الأولي.

ب/ التصدير: هو"أن تكون تلك اللّفظة بعينها تقدّمت في أوّل الآية، وتسمّى أيضا: ردّ العجز على الصدر"[2]. أي أن يأت بالكلمة عند افتتاح الآية القرآنية فتصبح بذلك مقدمة لتصاغ في الفاصلة بعدها.

يستدل مما سبق أن العلماء قد تمكنوا من رصد معالم الفاصلة وتبيان الأنواع الخاصة بها وذلك لضبط مفهومها؛ اعتبروها آخر كلمة في الآية، كما حددوا أنواعها حتى يسهل على الدارس استخراجها. فلقد نوّع الله تعالى في فواصل الآيات الكريمة وذلك لتناسب مقام السورة والموضوع الوارد فيها، كما جعلها لحكمة ربانية حتى يعجز بها كفار قريش وفصحاءها الذين غرّتهم أشعارهم.

ثم إنّ أهمية الفواصل وتنوعها أحدث لنا إيقاعا موسيقيا يبرز أثناء التلاوة القرآنية فيعطي نغما تطرب له الأذن وترتاح له النفس المطمئنة.

المطلب الخامس: الوقف

يشكّل الوقف أحد أهم الظواهر الصوتية التي ينبغي على المتعلم دراستها والتّطلع عليها، وذلك لتعلقه الكبير بالأداء القرآني فبواسطته يتم معرفة الأماكن الصحيحة التي يجب على القارئ الوقوف عليها.

1. تعريف الوقف:

أ/ لغة: ذكرت المعاجم العربية معنى الوقف في مادة (و ق ف) والتي سنورد البعض منها على النحو الآتي: قال الخليل بن أحمد في معجم العين: "وقف: الوقف مصدر قولك: وقفت الدّابة ووقفت الكلمة وقفا، وهذا مجاوز،

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص 65.

[2] السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، ص 621.

فإذا كان لازما قلت: وقفت وقوفا، فإذا وقّفت الرّجل على كلمة قلت: وقّفته توقيفا، ولا يقال: أوقفت إلا في قولهم: أوقفت عن الأمر إذا أقلعت عنه"[1]. فالوقف عنده هو الإقلاع عن الشّيء.

أمّا في تهذيب اللّغة للأزهري فقد ذكر قائلا: "قال اللّيث: الوقف مصدر قولك: وقفت الدّابة ووقفت الكلمة وقفا، وهذا مجاوز، فإذا كان لزاما قلت: وقفت وقوفا، وإذا وقّفت الرجل على كلمة قلت وقفته توقيفا...ومالك تقف دابتك: تحبسها بيدك"[2]. فالوقوف هو حبس الأمر كحبس الدابة عن المشي.

بينما ورد الوقف في مقاييس اللّغة لابن فارس بقوله:"الواو والقاف والفاء أصل واحد يدلّ على تمكّن في شيء ثم يقاس عليه، ومنه وقفت أوقف وقوفا، ووقفت وقفي، ولا يقال في شيء: أوقفت إلا أنهم يقولون للذي يكون في شيء ثم ينزع عنه، قد أوقف..."[3]. فهو فيما معناه عدم المضي في الشيء.

اجتمعت جلّ هذه التّعاريف اللّغوية حول اعتبار أنّ الوقف لا يخرج عن كونه الحبس والسكون والمنع، فقولنا مثلا وفقت الشيء إذا حبسته عن الحركة، فهو شبيه بالجلوس وعدم الإزاحة من المكان. وأوقف الدابة إذا ركنها في مكانها وصدها عن الحركة. بهذا نجد أن أغلب هذه المعاني جاءت متقاربة ولم تخرج عن معناها الحقيقي ألا وهو الحبس والإقلاع عن الشيء.

وردت مادّة –وقف– في القرآن الكريم في أربعة مواضع، هي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: الآية 24]؛ والمعنى أنه يوم تقوم الساعة يحشرون إلى نار جهنم التي هم بها يكذبون[4]. أي أنهم تقع عليه المسؤولية ولا بد من تقديم الحساب لهم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ...﴾ [الأنعام: الآية 28]؛ أي: أن حالتهم تقشر لها الأبدان وتعجب منها البصائر لما هم فيه من عرضهم على نار جهنم.

---

[1] الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 2003/1424، ج 04 (ك-ي)/ ص 393-394. (مادة وقف).

[2] الأزهري محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، ط01، 2001م، ج09/ ص 251.

[3] ابن فارس أحمد، المصدر السابق، ج6/ ص624. (مادة وقف).

[4] ينظر: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مكتبة العبيكان، الرياض/السعودية، ط01، 1422هـ- 2001م، ص 701.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿..وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ...﴾ [الأنعام: الآية 31]؛ فالوقوف بين يدي الله من أعظم الأمور وأشدها لما يراه المرء من هول المشهد[1]. فالوقوف ليس بالأمر الهين كما يعتقده الكافرون.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿..وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ...﴾ [سبأ: الآية 31]؛ إنّ يوم الحساب يوم يعلمه الله سبحانه وتعالى لوحده، يوم يجازى فيك كل واحد بحسب أعماله. وأن عذاب الكافرين لا بد منه فسيقفون أمام ربهم في اليوم المعلوم وسيكون يوما رهيبا عظيما عسيرا غير يسير[2]. كلّها توحي إلى السّكون والوقوف بين بيدي الرّحمن، ولعظمة ذلك المشهد فإنّ الوقوف يتبعه السّكون الذي لا تكون معه الحركة والذي يكون باندهاش كبير.

ب/ اصطلاحا: اهتم كل من علماء التّجويد القدامى والمحدثين بإيجاد معنى لضبط مصطلح الوقف، وعليه أسّسوا دراستهم وهو ما سنشير إليه في تفاصيل هذه الورقة البحثية:

أ/ الوقف عند العلماء القدامى: يقول ابن الجزري: "هو عبارة عن قطع الصّوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إمّا بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض ويأتي في رؤوس الآي وأوسطها ولا يأتي في وسط الكلمة"[3]. فالوقف عنده يكون بحبس النّفس لفترة وجيزة دون مراعاة الكلمة الموقوف عليها إن كانت قابلة للوقف أم لا.

أمّا القسطلاني فقال: "الوقف هو قطع النّطق عند آخر اللّفظ، وهو مجاز من قطع السّير، وكأنّ لسانه عامل في الحروف ثمّ قطع عمله فيها"[4]. فالوقف هنا يكون عند الانتهاء من الكلام. في حين عرّفه أحمد الأشموني بقوله: "هو قطع الصّوت آخر الكلمة زمنا ما، أو قطع الكلمة عمّا بعدها"[5]. أي التّوقف لفترة زمنية وجيزة ثم

[1] ينظر: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، 254.

[2] ينظر: المرجع نفسه، 681.

[3] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 2002م، ج01/ ص 240.

[4] شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة/مصر، 1972م، ج01/ ص 248.

[5] أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، 1393هـ-1973م، ص 08.

مواصلة الكلام، إضافة إلى فصل الكلمة عن سابقتها ولكن في هذه الحالة لم يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة تستحق التّوقف عندها أم لا حتى لا يختل المعنى.

الملاحظ على هذه التّعاريف أنّها أجمعت على اعتبار الوقف قطع، وأنّه بالنّظر إلى التّعريف الذي قدّمه الأشموني نجد قد اعتراه بعض الغموض، حيث جمع فيه كلّ من الوقف والقطع، ولم يوضح لنا مفهوم الوقف بصورة واضحة كما فعله سابقوه، وانطلاقا منه يمكننا ذكر الفرق بين القطع والوقف إضافة إلى السّكت بصورة وجيزة.

2. الفرق بين الوقف والقطع والسّكت: يعتقد البعض من الدّارسين أنّ هذه المصطلحات الثّلاثة تصبّ في معنى واحد، إلّا أنّ المتتبّع لها والباحث عن معناها يجد أنّ لكل واحدة منها مهاما خاصة بها فالقطع هو: "ترك القراءة رأسا، للانتقال لحال غيرها"[1]، أي هو الانتهاء من القراءة ويقع غالبا على رأس الآية كونها تمثل المقاطع نفسها.

أمّا الوقف فهو: "ترك القراءة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئنافها"[2]، أي أنّ القارئ يقف على الكلمة الواجب الوقف عليها بنية إكمال القراءة رغبة في التّنفس والرّجوع من جديد للقراءة ذاتها.

في حين أنّ السّكت يمثّل: "ترك القراءة زمنا لا يتنفّس فيه عادة بنية استئنافها"[3]، بمعنى أنّ القارئ عند وقوفه على الكلمة لا تحدث معه عملية التّنفس ذلك أنّ السّكت هنا قد يحدث على حرف ثم يرجع لتتمة القراءة مباشرة وهو ما يحدث في التّجويد.

وعليه فإنّ عملية السّكت عند القارئ تأخذ زمنا يسيرا أقل من الزّمن الذي يحصل عند الوقف، إذ أنّ السّكت لا يحدث معه توقف النّفس دون الإطالة فيه ويضبط هذا الأخير عن طريق التّعلم بالمشافهة، بينما الوقف يحدث بإيقاف التّنفس وزمنه أطول من زمن السّكت مع إبقاء نية استئناف القراءة.

في حين نجد أنّ القطع يكون بالتّوقف مباشرة عن القراءة والقيام بأعمال أخرى خارجة عنها بشرط أن يكون القطع عند الانتهاء من الآية وليس في أية كلمة كانت حتى يتبين المعنى ولا يختل.

[1] أسامة أحمد بسيوني، المختصر في التجويد، دار الأمل، ط02، 1442هـ-2021م، ص 70.
[2] المرجع نفسه، ص 70.
[3] المرجع نفسه، ص 70.

ب/ الوقف عند المحدثين:إنّ التّعاريف التي جاء بها المحدثون تمحورت جميعها حول ما ذكره القدامى من معاني الوقف إلّا في نقاط يسيرة جدا، فقد عرّفوه بقولهم: "هو قطع الصّوت على آخر الكلمة زمنا يسيرا بتنفس مع نيّة استئناف القراءة"[1]. وهذا التّعريف لا يبتعد كثيرا عمّا قدّمه السّابقون.

فبالرّجوع إلى التّعاريف السّابقة للوقف نجد أنّ كلّها جاءت مجمعة على كونه قطع، وأنّها لم تحدد متى يتم القطع أو على أيّة كلمة يجوز الوقف، بينما نلاحظ أنّ المحدثين وضعوا شروطا لعملية الوقف والتي تكون في آخر الكلمة أي لا يصح الوقوف وسط الكلام أو في بدايته، كما أنّهم جعلوا للوقف مدّة جد قصيرة وذلك لاستئناف القراءة مباشرة. فلقد حاول المحدثون ضبط التّعريف بخلاف ما قدمه القدامى.

3. أهميّة الوقف:

يمثّل الوقف أحد العلوم المهمّة المفروضة على القارئ بتعلّمها وإتقانها، ذلك لما يمتلكه من أهميّة عظيمة لفهم معاني القرآن والتّدبر فيه قال الزّركشي عنه أنّه: "فن جليل، وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتّب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات"[2]. فمعرفة الوقف تساعد المقرئ على إتقان فن التّجويد، ثم إنّ معرفة المواضع الصحيحة للوقف تعين على فهم القرآن والتّدبر في أحكامه ومعانيه.

يقول السّيوطي عن النّكزاوي مشيرا إلى أهميته: "باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر، لأنّه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن، ولا استنباط الأدلّة الشّرعية منه إلّا بمعرفة الفواصل"[3]. ولقد سار على النّهج ذاته ابن الجزري حيث قال: "لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفس واحد، ولم يجز التّنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتّنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتّنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التّنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك ممّا يخلّ المعنى، ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز،

[1] محمود خليل الحصري، معالم الإهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، مكتبة السنة، القاهرة/مصر، ط01، 2002م، ص 182.
[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 237.
[3] السيوطي، المصدر السابق، ص 177.

ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلّمه ومعرفته"[1]. فالوقف يساهم وبشكل كبير في إتقان التّلاوة مع المحافظة على النّفس حيث تعرف مواطن الوقف ومواطن الاستئناف دون الإخلال بالفهم والمعنى.

4. **أقسام الوقف:** قسّم العلماء الوقف إلى عدّة أقسام أشهرها أربعة، هي:

أ/ الوقف الاختباري: ويستخدم هذا الوقف أثناء التعلم أو اختبار المتعلمين لتبيان محل الكلمة الموقوف عليها؛ فهو يقع على أية كلمة[2]. فالوقف هنا يكون وقفا تعليميا للتّحقق من مدى استيعاب القارئ لمسألة الحذف والإثبات.

حكمه: جائز بالإجماع، لأنه يُعمل به في التعليم أو في الاختبارات التي تقام بين طلاب العلم. والأفضل بعد إعمال الوقف أن يصله بما بعده أو الإتيان بما قبله ليتم المعنى ويصح[3].

ب/ الوقف الاضطراري: ويكون على أيّة كلمة سواء تم المعنى أو لم يتم؛ ويرجع سبب ذلك إلى الضرورة الملحة التي تعترض القارئ أثناء قراءته كالعطاس وضيق التنفس أو النسيان أو السعال[4].فالوقف هنا يكون للضّرورة القصوى، فإن احتاج القارئ للوقف بسبب طارئ فلا بد عليه من التّوقف حتى وإن كانت الكلمة ليست محلا للوقف أو أن معنى الجملة لم يتم بعد، فالضرورات تبيح المحظورات، ثم الواجب عليه الرجوع للكلمة محل الوقف ومواصلة القراءة لإتمام معنى الجملة.

حكمه: جواز الوقف عليه للضّرورة على أي كلمة كانت وإن لم يتم المعنى، وبعد انقضاء الضرورة الملجئة يبتدئ بالكلمة التي وقف عليها إن كان يصح البدء بها وإلا يبدأ بما قبلها حيث يصلح البدء.

ج/ الوقف الاختياري: هو الوقف الذي يقصده القارئ بمحض اختياره، وهذا النّوع هو المقصود من إيراد الوقف، لأن القارئ لا يمكن أن يقرأ السّورة أو القصّة في نفس واحد، لذا ينبغي اختيار وقف مناسب للتّنفس والاستراحة، وتحتّم ألا يكون ممّا يخل المعنى أو يخل بالفهم، هذا النّوع هو الذي حدّده العلماء وجعلوه محل دراستهم لأنّ الإنسان بطبيعته لا يمكنه الاستمرار في القراءة والكلام لمدّة طويلة فلا بدّ له من التّنفس لمساعدته على مواصلة

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المرجع السابق، ص 244.

[2] ينظر: عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، الرياض/السعودية، ط04، 1414هـ-1994م، ص 223.

[3] المرجع نفسه، ص 223.

[4] ينظر: عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، السعودية، ط01، 1982م، ص 371-372.

القراءة، فقد ينقطع به الكلام في مكان غير مناسب لذلك فيصبح المعنى غير واضح لذا حدّد العلماء مواطن يقف عليها القارئ ويفهم من خلالها المستمع معنى الجملة، فقاموا بتقسيمه إلى أنواع حتى يسهل على القارئ ضبطه.

ينقسم الوقف الاختياري (بالياء) إلى:

1. الوقف التّام: "هو الوقف على كلمة أفهمت معنى مراد، وتمّ عندها المعنى، ولم تتعلق بما بعدها لفظا ولا معنى، وذلك كالوقف عند تمام القصص وانقضائها، وأكثر ما يكون في الفواصل بعد انتهاء آيات تتحدث عن موضوع، وابتداء موضوع آخر، كالوقف على كلمة "المفلحون" من قوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون**﴾[البقرة: الآية 05]". فقد تمّ عندها الحديث عن صفات المتّقين، وابتدأ الحديث بعدها عن القوم الكافرين""[1]. أي أن القارئ يقف عند تمام الجملة بحيث تكون واضحة للمستمع والقارئ نفسه، ولا تكون لا أية علاقة مع الجملة اللاحقة لها.

ب . الوقف الكافي: "هو الذي يتعلق بما بعده معنى، لا لفظا. ويجوز الوقف عليه والابتداء بما بعده، ومواضعه:

01. أثناء الآية غالبا، نحو قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ**﴾ [البقرة: الآية 06]؛ فيجوز الوقف عليه والابتداء بقوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ**﴾ [البقرة: الآية 06].

ونحو الوقف على قوله تعالى: ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ**﴾ [الإسراء: الآية 25]؛ والبدء بما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿**إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلَّوَّٰبِينَ غَفُورًا ۖ**﴾ [الإسراء: الآية 25].

02. بين آيتين –على غير الغالب– نحو الوقف على: ﴿**لَا يَعْقِلُونَ ۖ**﴾ من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۖ**﴾ [الحجرات: الآية 04]؛ لعدم تعلقها لفظا بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ**﴾ [الحجرات: الآية 05]؛ وإن تعلقت بها معنى"[2]. فالوقف هنا جائز وذلك لتمام معنى الآية.

[1] محمد عصام مفلح قضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، الأردن، د.ط، ص 124.

[2] أسامة أحمد البسيوني، المرجع السابق، ص 74-75.

ج . الوقف الحسن: "هو الذي يتعلق بما بعده معنى ولفظا، ويحسن الوقف عليه.

هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، نحو: ﴿اِلْحَمْدُ لِلهِ﴾، من قوله تعالى: ﴿اِلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ اِلْعٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية 01]؛ إلا إذا كان رأس آية، فيجوز الابتداء بما بعده، نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿{اَلرَّحْمٰنِ اِلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: الآية 02]؛ والبدء بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ اِلدِّينِ﴾ [الفاتحة: الآية 03] "[1].

د . الوقف القبيح: هو أن يقف القارئ على موضع غير مخصص للوقوف الصحيح كأن يقف على الفعل ليفصله عن فاعله مثلا، ولقد عرفه الزّركشي بأنّه: "لا يفهم منه المراد نحو: "الحمد" فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصّفة، ولا على البدل دون المبدل منه، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا على المجرور دون الجار"[2]. فهذا الوقف لا يفهم المقصد منه لأنه يفصل الكلمة عن الأخرى وهو غير جائز لإخلاله بمعنى القرآن الكريم إلا في حالة نادرة وهي جوازه للضرورة القصوى جدا كحدوث عارض مثل العطاس أو ضيق في التنفس أدى إلى التوقف عن الاستمرار في القراءة ففي هذه الحالة وجب على القارئ إعادة قراءة الكلمة التي توقف عندها ثم يتم باقي الآية حتى يصح معناها، أما إذا كانت الكلمة غير صالحة للبدء منها فيعيد الآية ويتم الباقي مع أخذ النفس الطويل حتى لا يختل مفهوم الآية.

5. علاقة الوقف بعلامات التّرقيم:

تعد علامات الترقيم من علامات الوقف التي يستعين بها الكتاب والدارسون في كتاباتهم، كونها تساعد على فهم المحتوى المكتوب، وإفراز الجمل بعضها عن بعض، فكل علامة من علامات الترقيم لها مدلولها الخاص الذي وضعت لأجله، حسب ما تمّ تداوله بين الباحثين القدامى أنّ أوّل من وضع هذه العلامات "رجل من علماء النّحو من روم القسطنطينية اسمه أرسطوفان، من أهل القرن الثاني قبل الميلاد، ثم توفرت الأمم الافرنج من بعده على تحسين هذا الاصطلاح وإتقانه إلى الغاية التي وصلوا إليها في العهد الحاضر"[3]. فقد نشأت هذه العلامات عند الغرب فكانوا بذلك أول من استخدمها ولم تكن حينما موجودة عند العرب.

[1] أسامة أحمد البسيوني، المرجع السابق، ص 76.

[2] الزّركشي، المصدر السابق، ص 352.

[3] أحمد زكي باشا، التّرقيم وعلاماته في اللّغة العربية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب/سويا، 1330هـ- 1916م، ص 04.

لقد تفطن أحمد زكي باشا لهذه العلامات فكان بذلك أول من أوجدها وتحدث عنها في رسالته الموسومة بعنوان (الترقيم وعلاماته في اللغة العربية)، وذلك بعد أن وجد الكتابة بحاجة إلى علامات توضح مفهومها لأنها كانت الفقرة أو النص يكتب كاملا بدون أية إشارة فاصلة فلا يكاد يفهم معناه. ومن بين أهم هذه العلامات، والتي لها صلة وثيقة مع الوقف، لدينا[1]:

شولة أو كما يطلق عليها عند غالبية المتعلمين بالفاصلة علامتها (،): يتحقق بها الوقف الناقص الذي يكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتا قليلا.

الشولة المنقوطة أو الفاصلة المنقوطة علامتها (؛): يتحقق بها الوقف الكافي الذي يكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتا يجوز معه التنفس.

النقطة أو الوقفة علامتها (.): يتحقق بها الوقف التام الذي يكون بسكوت المتكلم أو القارئ سكوتا تاما مع استراحة للتنفس.

6. علامات الوقف في القرآن الكريم:

خصّ الله تعالى القرآن الكريم بخصائص وميزات عديدة تميّزه عن غيره من النصوص، ومن بين المميزات التي وردت في النص القرآني علامات الوقف، والتي لم يعرف لحد الآن الواضع الأول لها، والذي يهمنا في هذا المقام هي العلامات التي تفرد بها القرآن الكريم، ومن أهمّ هذه العلامات التي ذكرت في المصحف الشريف هي:

. مـ: تعني لزوم الوقف.

. لا: تعني الوقف الممنوع، أو النّهي عن الوقف.

. ج: تعني جواز الوقف والوصل معا.

. صلي أو صلى: تعني أنّ القارئ يجوز له الوقف مع كون الوصل أفضل وأولى.

. قلي أو قلى: تعني أن القارئ يجوز له الوصل مع كون الوقف أفضل وأولى.

. ثلاث نقاط مثلثة: تسمى بعلامة التعانق، تعني أنه إذا وقف على إحداها يصل الأخرى ولا يقف عليها.

[1] أحمد زكي باشا، المرجع السابق، ص 17-20-22.

فالوقف إذن أحد العلوم الجليلة التي نالت حظها من قبل العلماء؛ ذلك أن لزوم الوقف على الكلمة يوحي بمدلولها والغرض المرجو من الآية. ولذلك حدد العلماء أنواع أربعة للوقف يستطيع من خلالها القارئ معرفة متى يقف ومتى لا يجوز له الوقف كالوقف القبيح الذي رفضه العلماء كون القارئ يقف على أية كلمة كانت دون مراعاة معناها وهذا غير جائز. إضافة إلى هذا فإنّ الوقف يبين أهمية الحركات إذ يتّضح نوع الصائت الذي يتم الأخذ به حين الوقف.

استنادا لما تمّ ذكره سابقا نجد أن المكوّن الصّوتي للكلمة يؤدي حتما إلى التأثير عليها وتغيّر مدلولها، باعتبارها تتشكل من وحدات صوتية تساهم في تبيين معناها. فالكلمات إذن تكتسب حلة جديدة أثناء النطق بها.

ثمّ إنّ الصفات التي تلحق الصّوت تحدث تغيّرا ملحوظا عليه يؤدي به إلى تغير سير الكلمة ومضمونها، فهي –الكلمة– تتركب من جملة من الأصوات المتتابعة المتفاعلة فيما بينها الدّالة على معناها من خلال الاستنطاق.

والجدير بالذكر أن الظواهر الصوتية قد أخذت حيزا كبيرا من انشغال العلماء بها؛ حيث اتفقوا على تطبيقها تطبيقا يليق بمقام القرآن الكريم، باعتبارها تبرز الجانب الجمالي للأداء القرآني. فالقرآن الكريم زاخر بالإبداع مليء بالمعجزات التي أدهشت فصحاء العرب وشعراءهم.

إنّ الظواهر الصوتية تحدث نتيجة تعرض الكلمة للنطق أي نتيجة تحرك الأعضاء النطقية واصطدامها بالهواء؛ حيث يتخذ الصوت صفته المناسبة له فيخرج حسب مضمون الكلام المنطوق به، فالخطاب المدون الذي يراد استنطاقه هو الذي يحيلنا إلى معرفة الظاهرة المراد تطبيقها.

ختاما يتضح لنا أنّ العلماء قد أبدوا عناية فائقة بالبنية الخاصة بالكلمة وبالظواهر التي تعتريها، فأوجبوا بذلك إعمالها باعتبارها توضح مدلول الخطاب وفهم محتواه.

الفصل الثالث:

النماذج التطبيقية الخاصة بالظواهر الصوتية

تمهيد:

إنّ الأصوات في اللّغة العربية تحمل عدّة صفات تختلف باختلاف نوع الصّوت والمخرج الذي يصدر منه، وقد حدّد العلماء لكل صوت صفات خاصة به بحيث أنّ تلك الصفة توحي إلى مدلول معين بحسب السّياق الواردة فيه، ولقد تضمن القرآن الكريم العديد من المفردات التي جعلت العلماء يقفون عليها لغرابة اللّفظ ودقة اختياره كي يتناسب مع مقصد الآية. وهو ما أدّى بهم إلى دراسة الظّواهر الصّوتية المرتبطة بالقرآن الكريم، ومن ضمن الظّواهر التي تم الاستناد عليها، هي:

01- المقطع الصوتي
02- الإيقاع الصوتي
03- النبر
04- التنغيم
05- الفاصلة
06- الوقف

أوّلا: الدراسة التطبيقية لظاهرة المقطع في القرآن الكريم

استنادا لما تمّ دراسته سابقا من كون المقطع الرّكيزة الأساسية للولوج في التّحليل الصّوتي، حاولنا في هذا الجانب دراسة بعض الآيات القرآنية من النّاحية المقطعية آخذين بعين الاعتبار فك كل الأصوات المشدّدة وإثباتها للوصول إلى التّحليل المقطعي السّليم، معتمدين على القواعد المقطعية التي حدّدها العلماء.

ولقد أدرجنا هذا التّحليل وفقا للرموز الآتية[1]:

المقطع القصير المفتوح يتم بالرمز ← (ص ح)

المقطع المتوسط المغلق نرمز له بالرمز ← (ص ح ص)

المقطع المتوسط المفتوح نرمز له بالرمز ← (ص ح ح)

المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة (المديد) نرمز له بالرمز ← (ص ح ح ص)

المقطع الزائد الطويل (المزيد) نرمز له بالرمز ← (ص ح ص ص).

الآية رقم 01: تمّ أخذ الأربع آيات الأولى من سورة يس كدراسة نموذجية.

قال الله تعالى: ﴿يسٓ (1) وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (3) عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ(4)﴾ [يس: من الآية 01 إلى 04]

الكتابة المقطعية:

يَاْسِيْنْ (01) وِلْقُرْاَاْنُ لْحَكِيْمِ (02) إِنْنَكَ لَمِنَ لْمُرْسَلِيْنَ (03) عَلَىْ صِرَاْطِنْ مُسْتَقِيْمِنْ (04)

يَاْ	سين	وَ لْ	قُرْ	اَاْ	نُ لْ	حَ	كِيْ
ص ح ح	ص ح ص ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص
متوسط مفتوح	طويل زائد	متوسط	متوسط مغلق	متوسط	متوسط مغلق	قصير	متوسط مغلق

[1] فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، أربد/الأردن، 1425هـ-2004م، ص 100-101.

		مغلق		مغلق		مفتوح	
مِ	إِنْ	نَ	كَ	لَ	مِ	نَ لْ	مُرْ
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص
قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق
سَ	لِيْ	نَ	عَ	لَنْ	صِ	رَأْ	طِنْ
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص
قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق
مُسْ	تَ	قِيْ	مِنْ				
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص				
متوسط مغلق	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق				

التحليل المقطعي للآيات: بعد العملية التقطيعية التي قمنا بها نعدد المقاطع الصوتية التي تضمنتها الآيات الكريمة والتي جاءت على النحو الآتي:

رقم الآية	المقطع القصير	المقطع المتوسط		المقطع الطويل	
		المفتوح	المغلق	المغلق (المديد)	المزيد
01		1			1
02	2		5		
03	6		4		
04	3		6		

إنّ التّحليل المقطعي لآيات سورة يس قد أسفر عن أنواع المقاطع التي تتألّف منها هذه الآيات الكريمة، حيث أنّها ابتدأت بالمقطع المتوسّط المفتوح (ص ح ح)، وقد اشتملت أغلب هذه الآيات على المقطع القصير المفتوح (ص ح)، والمقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) والذي انتهت به كذلك.

الجدير بالذّكر هو انتشار المقطع القصير (ص ح) في هذه الآيات يسفر عن "خفّته ورشاقته وسرعة حركته وتمتّعه بحرية الانتقال من مكان لآخر، فهو يعدّ المحرك الأساسي لضبط الإيقاع الصّوتي"[1]. فالمقطع القصير سهل النّطق سلس الحركة وقد ذاع صيته واستخدامه عند القدامى سواء في الشّعر أو النّثر.

كما أكدّ إبراهيم أنيس أحقّية المقطع القصير في قوله: "وكثيرا ما يلجأ الشّعراء إلى استعمال مقطع قصير مكان مقطع متوسط، وقد يدعوهم إلى هذا أو يلجئهم إليه كلمات اللّغة التي لا تسعفهم في كل حال، والتي تقيّد الشّعر بنسجها"[2]. وكذا كثرة شيوع المقطع المتوسط المغلق الذي لم تستغن الآيات الكريمة عنه. في حين نجد أنّ بقية المقاطع أي المقطع المتوسط المفتوح والمقطع الطّويل المزيد قد ظهروا مرّة واحدة فقط وذلك من خلال الآية الأولى، بينما نجد أنّ المقطع الطويل المغلق (المديد) قد تمّ الاستغناء عنه ولم يرد ضمن التّحليل المقطعي.

شاع انتشار المقاطع القصيرة والمتوسطة قديما بين العرب وذلك لسهولة استخدامها وتداولها الكبير بينهم، فهذه المقاطع تعد بسيطة ولا تحتاج بذل الجهد عند استخدامها، عكس المقطع الطويل بنوعيه المزيد والمديد والذي نجده قليل الانتشار.

وعليه فإنّه وبالنّظر إلى السّور القرآنية نجد انتشارا لجميع المقاطع وذلك بحسب كلّ سورة وما يتناسب معها.

الآية رقم 02:

قال الله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(8) اَبْصٰرُهَا خٰشِعَةٌ (9) ﴾ [النّازعات: الآية 08-09].

الكتابة المقطعية للآيتين:

قُلُوْبُنْ يَوْمَئِذِنْ وَاْجِفَتُنْ (08) أَبْصَارُهَاْ خَاْشِعَتُنْ (09)

[1] عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم، النظام المقطعي دلالته في سورة البقرة، دراسة وضعية تحليلية، ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1427هـ، 2006م، ص 86.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص 93.

قُ	لُوْ	بُنْ	يَوْ	مَ	ئِ	ذِنْ	وَأْ
ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح
قصير	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير	قصير	متوسط مغلق	متوسط مفتوح
جِ	فَ	تُنْ	أَبْ	صَأْ	رُ	هَأْ	خَأْ
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ح
قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح
شِ	عَ	تُنْ					
ص ح	ص ح	ص ح ص					
قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق					

التّحليل المقطعي للآيتين: نقوم بتعداد المقاطع الصوتية التي تضمنتها الآيتين الكريمتين

رقم الآية	المقطع القصير	المقطع المتوسط		المقطع الطويل	
		المفتوح	المغلق	المغلق (المديد)	المزيد
08	5	3	3		
09	3	3	2		

إنّ التّحليل المقطعي للآيتين الكريمتين أسفر عن تداولها المقاطع القصيرة والمتوسطة بنوعيها المفتوحة والمغلقة، فالنّسيج المقطعي المدوّن على الجدول أعلاه يشير إلى غلبة ورود المقاطع المتوسطة على المقاطع القصيرة.

وكما أسلفنا سابقا فإنّ تواجد المقاطع القصيرة يدلّ على سهولة النّطق والسّرعة التي تتميّز بها حين تداولها بصفة دائمة، في حين أنّ المقاطع المتوسّطة أشارت إلى متوسط درجة النّطق وذلك بالاستعانة بالمدود، وهذا إشارة إلى تجاوب السّورة والمقاطع المعدّة لها، بحيث أنّ الآيتين الكريمتين تبرزان هول يوم القيامة وما يصيب القلوب من رعب وخوف وهذا لفزاعة ذلك اليوم المشهود[1]. لهذا جاءت المقاطع المتوسّطة لتأكّد عظمة هذا اليوم.

الملاحظ على هذين الآيتين أنّ المقاطع فيهما لم تكن متسلسلة إنّما تزاوجت بين القصيرة والمتوسّطة وهذا ما يعطي المجال لسرد ووصف الأحداث التي تقع يوم القيامة، كما أنّها تمكّننا من معرفة المآل التي تلحق بالمكذبين الذين كذبوا بيوم القيامة.

راعى القرآن الكريم الدّقة في تناسب المقاطع والسّور التي تلاؤمها ذلك أنّ "ترتيب المقاطع وتوزيعها في نظم الآيات وظيفة جمالية ودلالية في آن واحد، إذ يسهم من جهة في جعل الصّورة السّمعية لها متناسبة الأجزاء، معتدلة التّركيب، ويسهم من جهة ثانية مع العناصر الدّلالية الأخرى في التّعبير عن معاني الآيات، وإيضاح ما يكتنفها من الدقائق الدلالية، وذلك باختيار ما يناسب المعنى من أنواع تلك المقاطع"[2].

وعليه فإنّ القرآن قسّم المقاطع بصورة دقيقة وواضحة توحي إلى التّناغم والتّجانس في الآيات الكريمة.

الآية رقم 03:

قال الله تعالى: ﴿وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: الآية 03].

[1] ينظر: ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت/لبنان، ط01، 1420هـ-2000م، ص 1957.

[2] أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء/المغرب، د.ط، 1992م، ص 321.

الكتابة المقطعية للآيتين

وَلْلَذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ

ول	ل	ذي	ن	يؤ	م	نو	ن
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح
متوسط مغلق	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	قصير مفتوح
ب	ما	أن	ز	ل	إ	ليـ	ك
ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح
قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح
و	ما	أن	ز	ل	من	قب	ل
ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	قصير مفتوح
ك	و	بل	أا	خ	ر	ة	هم
ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص
قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق
يو	ق	نون					
ص ح ح	ص ح	ص ح ح ص					
متوسط مفتوح	قصير مفتوح	طويل مغلق(مديد)					

التّحليل المقطعي للآية: المقاطع الصّوتية التي تضمنتها الآية الكريمة هي:

رقم الآية	المقطع القصير	المقطع المتوسط		المقطع الطويل	
		المفتوح	المغلق	المغلق (المديد)	المزيد
04	19	6	9	1	0

إنّ التّحليل المقطعي للآية الرابعة من سورة البقرة أعربعن وجود عدد من المقاطع الصّوتية والتي دارت بين القصيرة والمتوسّطة بنوعيها كما احتوت على مقطع واحد طويل مغلق والذي انتهت به الآية الكريمة.بحيث أنّها ابتدأت بمقطع متوسط مغلق في إشارة منها إلى التّحدث عن حال المؤمنين الذين أنار الإيمان قلوبهم ولم يكفروا بعد ذلك، فالآية الكريمة تشير إلى الإيمان بالله وحده وبيوم القيامة.

تشبّعت الآية الكريمة بانتشار الكثير من المقاطع القصيرة بالنّظر إلى غيرها من المقاطع، وصل عددها إلى تسعة عشر مقطعا منتشرة بين أجزاء الآية الكريمة، وكما أسلفنا قبل قليل أنّ المقاطع القصيرة هي ما يميّز اللّغة العربية وما تنحاز إليه الكتابة شعرا كانت أم نثرا، ولقد استخدمها القرآن الكريم لسهولتها عند القراءة ولوقعها المطرب على الأذن حتى تشعر القارئ أو المستمع بحسن التّلاوة.

اللّافت للانتباه هنا هو احتواء الآية الكريمة على مقطع طويل مغلق واحد وهو ما ينذر تواجده في اللّغة العربية بصفة عامّة عدا القرآن الكريم الذي تضمّن ضمن آياته البعض من هذه المقاطع.

نبّه إليه إبراهيم أنيس حين الحديث عن المقاطع قائلا: "والنّوع الرّابع والخامس من المقاطع في اللّغة العربية محدودة الاستعمال لا نراه إلا متطرفا وفي بعض حالات الوقف، أمّا الأنواع الثلاثة الأولى فهي التي يتكوّن منها نسج الكلمة العربية في الكلام المتصل، وقد تقع تلك الأنواع الثلاثة في أوّل الكلمة أو وسطها أو آخرها، فليس منها ما يختصّ بموضع ما من الكلمة"[1]. فالملاحظ أنّ إبراهيم أنيس استثنى كثرة تواجد المقاطع الطويلة بنوعيها المغلقة والمزيدة وهما المحدّدان بالنّوع الرّابع والخامس، في حين أكّد على كثرة تواجد المقاطع الأولى الممثّلة في المقطع القصير والمتوسّط بنوعيه المفتوح والمغلق.

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص 94.

فالواضح أنّ إبراهيم أنيس لم يتحدّث من العدم ذلك أنّ المقاطع القصيرة والمتوسطة تشيع بكثرة في العربية، وأنّه عند القيام بعملية التّحليل الصّوتي المقطعي للآيات القرآنية يتبيّن لنا غالبية شيوع المقاطع القصيرة والمتوسطة، في حين أنّ المقاطع الطويلة قليلة جدّا وقد لا تستخدم في بعض الأحيان. هذا لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين موافقا لغتهم وقواعدهم معجزا إيّاهم لتكبّرهم وطغيانهم.

يشكل المقطع أحد المواضيع المهمة في المجال الصوتي حيث يساهم في ضبط الحروف والتدرب على نطقها بشكل صحيح وبالتالي معرفة مواطن الوقف والابتداء، وبالتالي دراسته في بداية المطاف تحقق لنا الانسجام والتوافق لمعرفة باقي الظواهر الصوتية وفهمها بطريقة صحيحة.

ثانيا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الإيقاع في القرآن الكريم

يعدّ الإيقاع أحد التّلوّنات الصّوتية التي اهتمّ بها العلماء وبحثوا عن أسراره في القرآن الكريم، فهو من آيات الله المحكمات التي أدّت وظيفتها النّغمية عبر نظام صوتي مميّز، وسنعرج إلى ذكر بعض النّماذج القرآنية لنعيش مع جمالية القرآن وفهم فحواه. على النّحو التّالي:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (25) وَقِيلَ مَن رَّاقٍ (26) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (27) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ(28)﴾ [القيامة: الآية 25-28].

تمثّل المفردات المنتقاة في هذه الآيات الكريمات وقعا موسيقيّا قويا، يوحي بالفاجعة التي يتلقاها الإنسان لحظة موته[1]، فالموقف هنا موقف شدّة، إذ أنّ الموت الذي يصيب الإنسان لا يمكن أن يتصدى له حتى وإن طلب حضور أفضل الأطباء.

إنّنا نجد في الآيات الكريمات تكرّر لفظة السّاق "هذا التّكرار الذي يعدّ لازمة تذكر التّعقيب يحمل إيقاعا عنيفا يعطي السّياق ميزة خاصة"[2]. ولقد ورد الإيقاع على نفس واحدة باعتبار أنّ موضوع الآية الحالة الانتقالية للإنسان من الدّنيا إلى الآخرة، وأنّ مفردات الآيات تناسقت مع الجو الواردة فيه، فالمؤثرات الإيقاعية توحي

[1] للتفصيل أكثر ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج29/ ص 357-358.

[2] بن فطة عبد القادر، الأداء الصوتي في ضوء نماذج قرآنية، دار الكشاف للطباعة والتوزيع، ط01، بيروت/لبنان، 1438هـ-2017م، ص 95.

بالموقف الرّهيب الذي يكون فيه الإنسان وبالرّغم من قوّة الموقف وهو الواقعة إلّا أنّ القرآن الكريم انتقى الأصوات الدّالة على لحظة احتضار الإنسان.

فتكرار صوت الراء والقاف في (التّراقي- رّاق – فراق) بيّن قدرة الله تعالى في هذا الكون حيث خلق لنا جوا مغايرا لما ألفه الإنسان أثناء حياته، فصوت القاف من أصوات القلقلة الذي يمد الألفاظ وقعا قويا ويبين هيبة الموقف وصعوبته، في حين أنّ صوت السين والذي جاء في (السّاق) أضفى على الحدث القوي استسلام الفرد لقدرة الخالق فصور لنا حقيقة المشهد الذي يعكس شدة الموقف؛ حيث تتسارع الأحداث وتتراخى عظام الإنسان فتلتف بذلك ساقاه تعبيرا عن اختلاط المشاعر من تقبل وتوثر.

بينما نجد في الآية ظهور حرفي الميم والنون في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾ [القيامة: الآية 26]؛ اللّذانيعتبرانمن أصوات الغنّة[1]. وقد قد توسطا المشهد الرهيب ليحملا معهما إيقاع التوسل والرجاء ويخففا من وطئ الآية الكريمة.

بهذا نلاحظ أنّ الإيقاع الصّوتي في القرآن الكريم يتغيّر بحسب الواقعة التي تشير إليها الآيات الكريمات، فهو –الإيقاع- يحتلّ مكانة مرموقة في مقام الدّعاء الذي نلمسه أثناء قراءتنا خاصّة وأنّ ذكره في القرآن الكريم جاء على عدّة ألسنة فمرة على لسان الأنبياء والمرسلين، ومرة على لسان عباد الله الصّالحين ومرة على لسان الكفار والمنافقين بعد النّدم والحسرة.

للتّوضيح أكثر ارتأينا إلى ذكر بعض النّماذج منها ما جاء على لسان سيّدنا نوح عليه السّلام وذلك بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً ۝ (28)إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ۝ (29)رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ ۝ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ۝ (30)﴾ [نوح: الآية 28-30].

إنّ مفردات هذه الآيات تحمل دلالات قويّة تعبّر عن الشّعور الذي أحسّ به سيّدنا نوح عليه السّلام وذلك بعد كلّ المحاولات في جعل قومه يتّبعون هديه المستقيم.

[1] غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر، عمان/الأردن، ط02، 1428هـ- 2007م، ص 264.

فالمواقف التي مرّ بها سيّدنا نوح عليه السّلام جعلت دعاءه على الكافرين فيه الكثير من الحزن والجدّية لذا صدر الإيقاع عنيفا شديد القوّة حيث استخدم فيه أصوات حادّة ممزوجة ببعض الأصوات اللّطيفة ذات الطّابع الهادئ، إضافة إلى استخدام مفردات (فاجرا- كفارا- تبارا) المشحونة بالحزم والصّرامة في أخذ القرار دون تراجع.

إنّ أصوات هذه الآيات نقلت القارئ والمستمع إلى المشهد الحقيقي الذي صوره سيّدنا نوح من خلال دعائه، وبهذا نستطيع أن ندرك حقيقة الكافرين وجبروتهم. ولقد توسّط دعاء سيّدنا نوح مفردات تميل إلى الرّاحة والسّكينة حين قال: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِّ﴾ [نوح: الآية 30] هذه الآية حلمت إيقاعا سلسا يوحي إلى تأدّب الأنبياء وفطنتهم في استخدام التّعابير المناسبة عند التّحدث مع الله عزّ وجلّ.

فلفظ (مومنا- المومنين- المومنات) كلّها صادرة عن الإيمان والذي يعني التّصديق بالله تعالى وبرسالاته، حيث نلمس تكرار صوت الميم ستّة مرات والنّون أربع مرات وكلاهما يخرجان من مخرج واحد، وتكرارهما في هذه المفردات دلالة على نبل سيّدنا نوح ولطافة دعائه، فتكرار الصّوتين يسوق إلى الأذن إيقاعا عذبا ولطيفا نابعا عن نفس أصابها الحزن والتّذمر بعد المعاناة التي لاقاها سيّدنا نوح عليه السّلام من قومه، ولذلك بدأ دعاءه في هذا المقام بكلمة (ربّ) باستخدام صوت الباء المضعف في إشارة منه إلى قوّة الرّجاء والخشوع وكذا التّوسل القويّ في تقبل الدعاء وهو ما جعله يختتم الدعاء بعد قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ [نوح: الآية 30] أي هلاكا وخسارة[1].

فالنّفس البشرية حتى وإن كانت للأنبياء فإنّه يصيبها نوع من الإحباط والتّذمر خاصّة وبعد المحاولات العديدة التي قام بها سيّدنا نوح عليه السلام، لهذا نلاحظ أنّ الدّعاء المستخدم من قبله يتميز بإيقاع عنيف يصوّر المشاهد الحقيقة للقصّة[2]، فالأذن في هذه الحالة تنتقل بين إيقاع عنيف صارم وشديد إلى إيقاع قويّ لكنّه لطيف ذو مفردات سلسة وصولا إلى إيقاع القوّة والحذر من جبروت الظالمين وطغيانهم.

بالمقابل نجد دعاء السّيدة آسيا امرأة فرعون ذا وقع وتضرّع لله تعالى حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ(11)﴾

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج29/ ص 215.

[2] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 91.

[التحريم: الآية11] فالإيقاع هنا حمل العديد من المشاعر السمحة، والتي فاضت عن إيمان صادق وحب للقاء الله تعالى.

يمكننا القول أنّ الإيقاع هنا إيقاع توسل وتضرع لله عز وجل بعد العذاب الذي تعرضت له السّيدة آسيا من قبل فرعون. ولذا جاءت كلماتها عذبة مشحونة بالكثير من الحزن الممزوج بالخشوع والتّصديق باستجابة الدعاء وهذا ما يوحي إلى ثبات إيمانها وصدقه، كما أنّه اتسم بمفردات متجانسة منسجمة مع الموقف الذي كانت عليه.

وفي مشهد آخر من مشاهد ربط الإيقاع بالدعاء قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ...﴾ [فاطر: الآية 37] الملاحظ على هذه الآية أنّها تحمل الكثير من الحسرة والنّدامة التي تصيب الكافرين يوم لا ينفع الندم. فعبارة ﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ تعبر عن المبالغة في الصراخ وذلك بشدة صياحهم[1]. إذ المشهد هنا يبيّن أهوال يوم القيامة وما يحدث فيها من محاولة الاستغاثة والفزع الكبير الذي يصيب القلوب والنفوس. فجاء الإيقاع متحسرا سريعا ينم عن النّدم الشّديد.

أشار القرآن الكريم إلى لفظة (يصطرخون) بدل (يصرخون) وهذا تعبير منه على شدة الصّياح، وعلو أصوات الكافرين[2]، فالقرآن الكريم رصد لنا صورة حقيقية لواقع أليم يعيشه من لم يؤمنوا بهذا الدّين الحنيف. حيث تتعالى الأصوات وتزداد شدة الإيقاع وانفجاره بصورة مدوية توحي إلى قوة المشهد وعظمته، وقد توالت الأصوات القوية المدوية في لفظة (يصطرخون) دلالة على المشهد الجدي المخيف والحقيقة الحازمة التي لا بد من إدراكها، إذ أن كلمة (يصطرخون) توحي بغلظة الصوت ووقعه القوي الصادر عن تلك الحناجر المرتجفة الخائفة، فصوت "الطاء في ذاته يضيف معنى الشدة في استغاثة الكافرين ليدل على صراخ قوي نابع من نفوس محطمة بائسة"[3].

الأمر ذاته صدر في موقف آخر في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: الآية 40]. دلالة على شدّة الحزن التي تصيب الكافر حتى أنّه يتمنى لو يصبح ترابا فلا يصيبه عذاب يوم القيامة ولكن هيهات لما يتمناه فقد جفت الأقلام وانطوت صفحات الدنيا ولا سبيل للعودة.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج 22/ ص 318.

[2] ينظر: خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، جدار للكتاب العالمي، عمان/الأردن، ط01، 2006م، ص 235.

[3] المرجع نفسه، ص 235.

نستطيع القول أنّ الإيقاع الوارد في الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة يتسم بموسيقاه الصّاخبة التي تترصد مشاهد يوم القيامة والتي توقع النّفس البشرية في أجواء من الخوف والفزع، فجاء الإيقاع متناسقا مع التّعبير الفني للآيات القرآنية.

شكل الإيقاع نمطا إبداعيا رائعا يساهم في وضع الكلمات موضعها المناسب لها؛ إذ تميز القرآن الكريم باستخدام عدة مفردات متناسقة ومضمون الآية. ومن ضمن النماذج التي عملت استخدام مفردات ذات ميزة خاصة أو مفردات مكررة لدينا:

قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النجم: الآية 22].

الآية بوقعها المنفرد تصور لنا حقيقة القسمة الظالمة التي عمد أصحابها على العمل بها؛ إذ جعلوا لله في قسمته الأنثى ولأنفسهم الولد وأنّ قسمتهم هذه لو وضعت لمخلوق آخر لكانت ظالمة وغير عادلة[1]؛ لذا نجد في الآية انتقاء مفردة دقيقة جدا مناسبة لمقام الآية موافقة للنغم الموسيقى لها وذلك لانتهائها بفاصلة معادلة لفاصلة الآية السابقة لها.

الملاحظ على هذه المفردة –ضيزى– أنها استخدمت أصواتا قوية الدلالة ثقيلة في السمع والمخرج، فصوتي الضاد والقاف يعدان من الأصوات الحادة التي تصدر إيقاعا مدويا عند سماعه. وكذا صوتي الضاد والزاي اللذين قلما يجتمعان في كلمة واحدة وذلك لصعوبة انطق بهما.

إنّ استخدام هذه الأصوات إنما يعكس لنا الحالة الواقعية التي صورتها الآية وذلك للفت انتباه المستمع أو القارئ بحقيقة تلك القسمة الجائرة، كما أنهما أضفيا على الآية رنّة موسيقية جديدة وذلك بامتزاج الضاد والزاي وهذا ما لم تعرفه العرب من قبل.

يمكننا القول إنّ كلمة ضيزى قلما تستعمل في كلام العرب وتتداول بين ألسنتهم ولقد انتقاها القرآن الكريم لغرابتها وغرابة الفعل الذي صنعه أصحاب تلك القسمة.

لم تتوقف مفردات القرآن الكريم على استحداث كلمات غريبة أو ذات أصوات مختلفة إنما وظف بعض المفردات المتشابهة في مقاطعها الصوتية والمكررة وهذا كله لأجل تعزيز المعنى وإيصاله للسامع؛ ومن ضمن النّماذج

[1] للتفضيل ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1782.

التي وظفها القرآن الكريم والتي تكررت فيها الأصوات قوله تعالى: ﴿إِنَّآأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرّ﴾ [القمر: الآية 19].

الشاهد هنا هو (صرصر) فالإيقاع الصوتي لهذه الكلمة أحدث تناغما موسيقيا رائعا ينم عن الحدث الحاصل؛ حيث تشير كلمة (صرصر) إلى تلك الريح القوية المدمرة الشديدة السرعة في تنقلاتها[1]. المهلكة لأولئك الجبابرة الذين طغوا في الأرض.

وقع اختيار الآية على صوتي الصاد والراء لما فيهما من وقع حاد وعنيف ينبئ عن المشهد المرعب الذي أحدثته الريح، كما أنّ تكرارهما في ذات الكلمة يوحي إلى استمرارية الحدث وسرعته الفائقة، فصوتا الصاد والراء من الأصوات المجهورة التي تحدث انطباعا صارما معبرا عن المشهد المرعب والهلاك المدمر الذي وقع لقوم عاد. وبهذا فإن اختيار الصوت يكون بحسب الحادثة التي ألمت بالقوم وهو ما أضفى على الآية تأثيرا بالغا تخطه الأصوات في ذهن القارئ والمستمع.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: الآية 17].

موضع الشاهد هنا كلمة (عسعس) التي تحاكي الظاهرة الكونية الواقعة في تلك اللحظة، والمتمثلة في إقبال اللّيل بظلامه أو إدباره كما قيل[2]. فالظاهر أن هذه الأصوات جاءت منسجمة مع تسرب الليل وسيطرته على الأماكن المحددة له لتغطيتها. فالتعاقب الحاصل بين الليل والنهار جعل صوتي (العين والسين) يضفيا على الجملة إيقاعا سلسا يشع هدوءا وراحة.

إنّ "الكلمة القرآنية تختار بدقة متناهية، وتوضع في موضعها من الآية بإحكام تام، يجمع لها بين مناسبة السياق القريب ومناسبة السياق البعيد"[1] ذهبت سورة التكوير إلى انتقاء المفردات بكل عناية للمحافظة على النغم الإيقاعي فتناسبت بذلك كلمة (عسعس) مع مضمون السورة وما ترمي إليه من مشاهد يوم القيامة.

إنّ التّكرار الحاصل للكلمة في أصواتها ينبئ عن الاستمرارية والتتابع في ولوج الليل و إقباله على الأرض، فصوت السين بطبيعته صوت سهل نلمس من خلاله نوعا من السلاسة والنعومة وكأنه يعكس هدوء الليل

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج24/ ص 259.
[2] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1967.
[1] أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 176.

وسكونه. "فحين نسمع همس السين المكررة نستشعر نعومة ظلها ونستريح إلى خفة وقعها، والهمس يناسب الليل فكأن (عسعس) رسم الأجواء الليلية الهادئة"[1]؛ بينما العين يعطي نوعا من القوة والبروز فهو من الأصوات المجهورة المتصفة الحدة والظهور. وكأن العين في (عسعس) تعكس قابلية الظلام ولونه القاتم الذي يسود أرجاء الأرض فلا يبقى معه سوى نور الصبح حين يتنفس؛ حيث يقبل تدريجيا ليستقر مكانه ولتعم الحركة والنشاط بدل السكينة والاستقرار.

عد المقابلة أحد الأساليب اللغوية الفنية التي اهتم بها اللغويون وتداولوها فيما بينهم، ولقد استخلصوا عدة مقابلات من القرآن الكريم باعتبار أن سوره "تقوم في بنائها العام وفي معانيها الجزئية وأساليبها على أسلوب التقابل، وتختلف هذه الأساليب من سورة إلى أخرى"[2]؛ ومن بين نماذج هذا النوع لدينا: قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾ [التوبة: الآية 83].

وقعت المقابلة هنا بين كلمتي الضحك والبكاء وبين القليل والكثير؛ فجاء الإيقاع على نمط واحد ذلك أنّ كلمتي (الضحك والبكاء) سبقتا بلام الأمر[3] والتي تشير إلى انقطاع الأعمال وبكاء العباد الأشقياء على ما فاتهم من خير كثير[4] فورد الإيقاع سريعا ومتساويا ليبين لنا مآل العباد وحالتهما المتناقضة بين الضحكالقليل في الدنيا والشقاوة والمعبر عنا بالبكاء في الآخرة.

تضمنت الآية أصواتا متباينة متفاوتة بين القوة واللين فصوتا الضاد والقاف من الأصوات القوية المجهورة التي تعطي دفعا واضحا لبروز الصوت وتدفقه ليرسم لنا هيئة صاحبه الممثل في الضحك المتباطئ؛ في حين نجد صوتا الكاف والثاء والتي تندرج ضمن أصوات الشدة تعبر عن صعوبة الموقف واستمراره، فكلمة (كثيرا) جمعت أصواتا صاخبة حازمة في أمورها وما زاد من تأكيد الحدث ودوامه هو تواجد صوت الراء الحامل لطابع التكرار.

[1] خالد قاسم بني دومي، المرجع السابق، ص 249.

[2] أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 137.

[3] عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث بطنطا، طنطا، 1427هـ- 2006م، المجلد 01/ ص 894.

[4] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 899.

بهذا نجد أن ورد متناسقا بين (ليضحكوا وليبكوا) فكلتا الكلمتين تساوتا في المد عند نهايتها، بينما نلاحظ أن الوقع في كلمة (قليلا) أتى سلسا وسها على النطق من دون تكلفة في حين أن كلمة (كثيرا) وكأن النطق بها يُحمل على اللسان ويجره جرا فجاءت الكلمة ثقيلا في الوقع على الأذن.

أحدث الإيقاع تناغما موسيقيا رائعا بين الآيات القرآنية فأعطى كل كلمة وقعها المناسب لها سواء كان الإيقاع هادئا معبرا عن حلاوة المفردات وجمالية الموضوع أو إيقاعا قويا يعكس لنا الصور والمشاهد الصارمة والأحداث الحازمة التي تضمنتنا السور القرآنية.

ثالثا: الدراسة التطبيقية لظاهرة التّنغيم في القرآن الكريم

يشكّل التّنغيم ظاهرة صوتية إبداعية تتميّز بالدّقة في القراءة والنّباهة عند أدائه، حيث يمكّننا من تحديد معنى الآيات، إذ السّياق الصّوتي الذي يعطيه القارئ للسّور القرآنية يجعلها تأخذ جرسا موسيقيا مغاير يؤثر بدوره على الحدث الكلامي.

لعب التّنغيم دورا بارزا في الكشف عن حقيقة الجمل إذ بواسطته يمكننا "تحديد معنى الجملة في سياقه الصوتي عن طريق هذه الظاهرة الصوتية كالجمل الخبرية والإنشائية"[1]. فالظاهر أنّ للتّنغيم أهمية كبيرة في ضبط مقاصد الكلام، فهو الذي يفصح عن تلك المسائل الواردة في النحو العربي كالتّحذير والتّعجب والنّداء والندبة وغيرهم؛ وذلك بالنّظر إلى طريقة أداءها وكيفية استيعابها من قبل المتلقي[2]. ولقد ورد التّنغيم في القرآن الكريم بصيغ عديدة نوجب البعض منها على النحو الآتي:

قال الله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ﴾ [مريم: الآية 01].

دلّ التّنغيم في هذه الآية على الإخبار الذي شمل "رحمة الله بعبده زكريا"[1] فمال بهذا إلى نوع من الهدوء والطمأنينة التي تريح نفس القارئ أو المستمع، وظف الله تعالى أصواتا مناسبة لمقام الرأفة مثل صوت الراء المعروف بوقعه المكرر اللطيف الذي يمد الكلمة قوة ووضوحا، وكذلك صوت الزاي الذي يعد من الأصوات الصفيرية شديدة الاحتكاك.

[1] بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 70.

[2] ينظر: خالد قاسم بني دومي، المرجع السابق، ص 157.

[1] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1178.

طغى على هذه الآية التّنغيم الهابط لأنّه يتماشى وحقيقة الرّحمة التي أعطاها الله تعالى لعبده زكريا؛ إذ يبدأ الصّوت مستويا في بداية الآية (ذكر) ليرتفع قليلا بعدها في كلمة (رحمة) حتى يبرز أهمية الرحمة التي يمنحها لله لعباده، فهذه الكلمة لها أهمية كبيرة في حياة الأفراد خاصة الأنبياء لذلك ارتفع الصوت عندها بعض الشيء ليعود للانخفاض لتكملة الآية.

الآية تحمل طابع الإخبار المنسجم مع النّغمة الهابطة المنتشرة في الآية حيث "جاء نظم هذا الكلام على طريقة بديعة من الإيجاز والعدول عن الأسلوب المتعارف في الإخبار"[1] وذلك لشدة الانتباه وبث شعور الرّاحة المتناسقة مع تسلسل الكلمات.

قال الله تعالى: ﴿اَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: الآية 56].

يتجسد التنغيم في هذه الآية في الاستفهام الإنكاري والذي يتضح من خلال التّساؤل الحامل لنوع من الدهشة والاستنكار في كون المال والبنين هما معيار حب الله تعالى لعباده ورضاه عنهم؛ حيث تشير الآية إلى أنّ "البشر المغرورون يعتقدون أن الأموال والأولاد تعطى لهم لكرامتهم ومعزتهم، وهذا اعتقاد خاطئ لأنّ تلك النّعم المنوحة لهم هي استدراج وإملاء لهم"[2].

وعليه فإنّ التّنغيم أفاد الاستفهام وذلك باستخدامه لأداة الاستفهام (الهمزة) حيث ارتفع معها الصوت ليتضح التساؤل بصورة واضحة ليستقر بعدها مع كلمة (أنما) فهنا انخفض الصوت قليلا مبرزا التنغيم الهابط والمستقر مع كلمة (نمدهم به)ليعود الانخفاض مرة أخرى مع كلمة (مال وبنين) وهذا الانخفاض عكس لنا تساؤل المولى عز وجل واستغرابه من الفهم غير الصحيح لما يملك الناس غير العقلاء من نِعم يعتقدون أنّها منحت لهم لعزتهم ورضاهم له عنهم.

ومنه نلاحظ أنّ التّنغيم في هذه الآية أفاد الاستنكار حيث مزج بين النّغمة الصاعدة والهابطة ليبين أنّ الاستفهام تجسد في طابع التوبيخ والمسارعة في تقديم العطايا لأنّ "الراغب في إرضاء شخص يكون متسارعا في إعطائه مرغوبه"[1]، وهو ما خلط المفاهيم والتّصورات لدى بعض الأشخاص.

قال الله تعالى: ﴿اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: الآية 01].

---

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج16/ ص 61.

[2] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1298.

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج18/ ص 75.

أفادت هذه الآية التّنغيم الصّاعد الذي يتناسب مع أداة الاستفهام (ألم) المفيدة لمعنى السؤال ولكن ليس كأي سؤال، فالظاهر أنّ المولى عز وجل غير مسار التّساؤل لينبهنا إلى وجود استفهام تقريري "والمقصود التقرير على إثبات المنفي أي التّذكير لأجل أن يراعى هذه المنة عندما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من أذى يريد صلاحهم وإنقاذهم من النار ورفع شأنهم بين الأمم"[1].

فالملاحظ أنّ هذه الآية بدأت بنغمة منخفضة في كلمة (ألم) ليرتفع الصّوت مباشرة عند قولنا (نشرح) حتى يبعث شعور الراحة والهدوء في صدر نبيه الكريم، فصعود النّغمة في هذا المقام أزاح عنه ضيق الصدر والألم ليفتح أمامه آفاق الأمل والمواساة وأنّه لن يواجه قومه منفردا إنّما بعون من الله تعالى، وهذا ما جعل الاستفهام يلبس لباس التّأكيد والثّبات.ومنه فإنّ الآية اشتملت على التّنغيم الصّاعد الحامل لأسلوب الاستفهام التقريري وذلك ليؤكد لنا حقيقة الحدث الذي حصل مع النبي (صلى الله عليه وسلم).

ومن صور التّنغيم أيضا أنّه يفيد معنى التّأكيد وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية 10]. دلّ التّنغيم هنا على وجود نغمة صاعدة مناسبة لمقام الآية والكلمات الواردة فيها؛ حيث بدأت الآية بأداة حصر (إنّما) والتي تستخدم لتأكيد المعنى وتحقيقه، إذ يتصاعد معها الصوت تدريجيا ليضفي على النّغمة طابع التأكيد وإقرار الأخوة بين المسلمين.

التّنغيم هنا إخباري على وجه التّأكيد وذلك أنّه "أخبر عنهم بأنهم إخوة مجازا على وجه التّشبيه البليغ زيادة لتقرير معنى الأخوة بينهم حتى لا يحق أن يقرن بحرف التّشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخوة"2. إذن فالشّاهد القرآني هنا هو أداة الحصر (إنّما) والتي نستخلص من وراءها أثر التّنغيم الصاعد.

وفي سياق آخر ورد التّنغيم بأسلوب التّعجب والذي أشارت إليه العديد من الآيات الكريمات، نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلْيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلاَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية 190] تشير الآية إلى عظمة الله وقدرته في خلق هذا الكون والإبداع فيه، وقد جاءت هذه الآية إجابة عمّا قالته قريش للنّبي محمد (صلى الله عليه وسلم): "ادع لنا ربّك يجعل لنا الصّفا ذهبا"1. فأنزل الله تعالى هذه الآية المحكمة بكلماتها؛ المسترسلة بأصواتها لتذكر ذوي العقول التّامة على قدرة الله في الخلق2. فتجسد التّنغيم بشكل متصاعد

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 408.

[2] المصدر نفسه، ج26/ ص 243.

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ص 429.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 429.

وذلك للفت انتباه أصحاب العقول الرزينة فيرتفع الصوت تدريجيا ليفكر الإنسان العاقل ويتعجب من عظمة الله وقدرته في خلق هذا الكون.

تضمنت الآية بعض المدود التي تفيد مد الصوت وتمطيطه بشكل يتناسب مع سياق الآية، ذلك أن الكلمات أريد بها التفكر والتدبر فجعلت المدود لتأكد حقيقة قدرة القادر على هذا الكون ولتجعل المستمع أو القارئ في تمعن وتفكير دائم، فالآية إذن حملت تنغيما تصاعديا في قالب التّعجب.

أمّا ما جاء على صيغة الاستفهام الدّال على التّعجب، قوله تعالى:﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمْۚ إِنْ يَّقُولُونَ إِلَّا كَذِباًۜ﴾ [الكهف: الآية 05].

نلاحظ في هذه الآية تواجد التنغيم الصاعد الذي برز بشكل كبير في كلمة (كبرت) إذ ارتفع معها الصوت ليفيد معنى التعجب والاستغراب "فالتلون الصوتي هو الذي أبان عن هذه الصيغة"[1] فبدى فيها الصوت قويا حاملا لمفهوم التعجب والغرابة.

تواصلت معاني التنغيم بالظهور وذلك لارتباطها بالأساليب اللّغوية وانتشاله منها ما يتلاءم ومضمونه، فكان النّداء أحد هذه الأساليب التي اخترقت حيز التنغيم لتعطي موسيقى مغايرة تماما عن المسائل النحوية الأخرى.

ومن ضمن الآيات التي أحدثت هذا النمط من الدّراسة قوله تعالى: ﴿...يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنَ اَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي...﴾ [المائدة: الآية 33]. دلّت الآية على التنغيم الهابط المعبر عن شدة الحزن والأسى المتمثل في (يا ويلتا) حيث ينخفض الصوت معها وتتغير نبرته موحيا بذلك إلى الندم والحسرة التي أصابته بعد قتل أخيه وعدم معرفة كي يواري سوءته. ويزيد الصوت في الارتفاع بعض الشيء في قولنا (أعجزت) هذه الكلمة المعبرة عن السؤال الممزوج بنوع من التعجب والدهشة لما رآه من فعل الغراب، في حين يرجع الصوت للانخفاض ليبين لنا أنه لا يزال يلبس لباس الحزن والندامة.

تميزت الآية بأسلوب النّداء الوارد في بدايتها (يا ويلتا) هذه الكلمة من "صيغ الاستغاثة المستعملة في التّعجب وأصله يا لويلتي فعوضت الألف عن لام الاستغاثة ويجوز أن يجعل الألف عوضا عن ياء المتكلم ويكون

[1] بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 76.

النّداء مجازا بتنزيل الويلة منزلة ما ينادي"[1]. فبداية الآية إشارة إلى أسلوب النّداء الدال على النّدبة ليجعل الحالة النّفسية متناسبة مع الكلمات الواردة في الآية.

من الأساليب الواردة في القرآن والتي تفهم من خلال التّنغيم لدينا الأمر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: الآية 11]؛ يكمن تنغيم هذه الآية في صعود النّغمة في بدايتها إذ أنّ الله تعالى يخاطب سيدنا يحي (عليه السلام) بقوله تعالى ﴿خُذِ﴾، وفعل الأمر هنا جعل النّغمة صاعدة ليؤكد عليها بكلمة (قوة) أي أن يأخذ "الكتاب بعزيمة وثبات"2.

فالآية إذن حملت طلبا يقينيا ومباشرا من الله تعالى إلى نبيه الكريم يحي (عليه السلام) فجاء بذلك التنغيم بصيغة الأمر، بينما نلاحظ أنّ الجزء الثاني من الآية في نوع من الانخفاض في الصوت وهذا بيان من الله تعالى يخبرنا أنّه أعطى نبيه الكريم يحي "استقام الفكر وإدراك الحقائق في حال الصبا"3. فقدم هذه الحقيقة المناسبة لمقام الآية ولتوضيح الرؤية للقارئ أو السّامع أنّ الله تعالى على كلّ شيء قدير.

ما يمكن ملاحظته من خلال الآيتين اللّتين وضعتا كشواهد لتبيين النّداء في التّنغيم، هو أنّ الآية الخاصة بسورة المائدة (يا ويلتا) دلت على أسلوب النداء لكن بنغمة هابطة جدا، بينما في قوله تعالى ﴿**يا يحيى**﴾ من سورة مريم جاءت النغمة صاعدة بالرغم من تواجد أسلوب النداء أيضا.

فالقول هنا أنّ (يا ويلتا) حملت طابع الحسرة والندامة وكان الخطاب صادرا من إنسان طبيعي يحدث نفسه الأمارة بالسوء فكان فيها نوع من الحيرة المتداخلة مع شدة الأسى التي تصيب الإنسان حين اقترافه لذنب ما.في حين أن الآية الثانية والواردة في قوله عز من قائل ﴿**يا يحيى**﴾ فهنا الخطاب صادر من المولى سبحانه وتعالى، فهو خطاب إلهي يحمل طابع القوة والصرامة خاصة وأنّ صيغة الأمر الواردة في كلمة (خذ) زادت من جدية الموقف وتأكيده لذلك كانت النغمة صاعدة حتى يدرك القارئ أو المستمع أن الخطاب جاد لا رجعة فيه.

ومن صيغ الأمر ما يحمل علامات الخوف والتّحذير كما جاء في قوله تعالى على لسان النّملة: ﴿...قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل: الآية 18] لقد امتزجت النّغمة الصاعدة مع الهابطة في هذه الآية الكريمة لأنها تحمل التحذير من الإذاية والخوف والقلق مع بعض الطمأنينة لتهدئة نفوس النمل؛ حيث ابتدأ هذا الجزء من الآية ﴿...**قَالَتۡ نَمۡلَةٞ**﴾ هذه الجملة

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج06/ ص 173.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ج16/ ص 75-76.
[3] المصدر نفسه، ج16/ ص 76.

إخبارية وتكون فيها النّغمة مستوية في حين يرتفع الصوت تدريجيا في قولنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ هنا إشارة إلى التّنبيه وكأنّها تقول: "اختبئوا في مقاركم ومحالكم ومباديكم لا يكسرنكم القلب والقوى الروحانية بالإماتة والإفناء"[1].

فجاء قولها بصيغة الأمر الحامل لطابع التّحذير من وقوع المصيبة وهو ما أكّدته بقولها ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ وهذا إشارة منها على خوفها من أن تحطمهم جنود سيدنا سليمان عليه السلام[2]. والتّحطيم هنا هو الكسر لشيء صلب فجاء دلالة على الفزع والخوف[3]. لتكتمل الآية بنغمة هابطة في قولها (وهم لا يشعرون) هنا إشارة إلى خوفها من الكسر دون علم الجنود، وأنّ الله تعالى ألهمها أن الذي مرّ بجانبها نبي كريم يحمل بقلبه الصلاح والرأفة فكأنها شعرت بقلة الخطر أو أن التحطيم وإن حصل فسيكون بدون قصد منهم.

فالآية مزجت بين النغمات الثلاثة (المستوية والهابطة والصاعدة) لتعبر عن أسلوب النداء الحامل لصبغة الحذر والخوف والفزع من الأمر. فالتّنغيم بهذه الصيغ المختلفة جاء "للتّعبير عن المعنى النحوي بوضع الجملة في إطارها الصوتي المناسب، فالأسلوب الظاهر خبري بيد أن دلالة الأمر واضحة"[4].

يساهم التنغيم وبشكل كبير في إدراك مقاصد الآيات القرآنية عبر التغيرات الصوتية التي يحدثها القارئ أثناء التلاوة، فرفع الصوت أو انخفاضه يحدث أثرا لدى المستمع يؤدي به إلى فهم مضمون الآيات القرآنية؛ كما أن نفسية المستمع تتأثر بحسب النغمة التي يقرأ بها القارئ.

رابعا: الدراسة التطبيقية لظاهرة النّبر في القرآن الكريم

يشكّل النّبر ظاهرة تطريزية في القرآن الكريم مثله مثل باقي الظّواهر التي أكدّ العلماء على الإتيان بها وإعمالها أثناء القراءة، فهو تلون صوتي يبرز بشكل واضح خلال الأداء القرآني "فالمرء حين ينطق لغته تميل بعادته إلى الضّغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا واضح في السّمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا

[1] أبو بكر محي الدين بن حمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي، تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط02، 1427هـ- 2006م، ج02/ ص 100.

[2] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1392.

[3] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج19/ ص 242.

[4] بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 74.

الضّغط هو الذي نسميه بالنّبر"[1]. ومنه نلاحظ أنّ الحرف المنبور يكون أكثر بروزا من غيره، بحيث يعطي هو الآخر نغمة فريدة من نوعها تشير إلى معنى معين.

ذكرنا سابقا أنّ النّبر يقع في الكلمة ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: الآية 24] يستوجب علينا إظهار صوت السّين بحيث يقع عليه النّبر وذلك لتوضيح المعنى الحقيقي لكلمة (سقى) والتي تشير إلى السّقي؛ فتقرأ الفاء بنوع من الخفة ليرتفع الصّوت ويبرز عند النّطق بالسّين. فلو افترضنا أنّ النّبر وقع على صوت الفاء لأصبحت الكلمة تدلّ على (فَسَقَ) أي من الفسق وتعني "الخروج عن طريق الحق. وفَسَقَ عن أمر ربه أي جار ومال عن طاعته"[2] معناه الابتعاد وعدم إتباع الطريق المستقيم، وهذا ما لا تشير إليه الكلمة ولا يعني مدلولها الحقيق فتؤدي إلى الإخلال بالقراءة القرآنية.

ومنه أيضا قوله عزّ من قائل: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: الآية 29] يقع النّبر على الصّوت الثاني من كلمة (فقعوا) أي صوت القاف ليصبح مدلول الكلمة هو الوقوع "وهو الوقوع لقصد التّعظيم"[3]، في حين لو نبرنا الصّوت الأول (الفاء) لأعطت دلالة أخرى صادرة من الفعل (فقع) وهذا غير الدّلالة المرجوة من الآية.

أجمع العلماء على أهمية النّبر وإظهاره في القرآن الكريم لما يحمله من جمال في الأداء وفهم للمعنى؛ حيث تعددّت الأنواع التي يجب على قارئ القرآن أن يقف عليها بالنّبر لإبرازها واستخلاص دلالتها، فاتفق بذلك علماء التّجويد على ضبط أنواعه في القرآن. ولقد ذكرها لنا عبد القادر بن فطة ضمن طيات كتابه (الأداء الصوتي في ضوء نماذج قرآنية) فجاءت على النّحو التالي[4]:

1. **الوقف على الحرف المشدد:**

الحرف المشدد هو ذلك الحرف المضبوط بالشّدة، وهو عبارة عن حرفين أدمجا في بعضهما فيكون الأول منهما ساكن والثّاني متحرك، ولقد أوجب العلماء إعمال النّبر على الفونيم الثّاني للتّأكيد ولأنّ الشّدة بدورها تزيد من فاعليته، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: الآية 162] فصوت الراء في لفظي الجلالة (الرّحمن – الرّحيم) صاحب معه الشّدة، وبهذا فإنّ النبر قد ألزم به.

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص170.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، المجلد04/ ص 212.

[3] ابن عاشور، المصدر السابق، ج14/ ص 45.

[4] عبد القادر بن فطة، المرجع السابق، ص 83-84.

إنّ لفظي الجلالة (الرّحمن- الرّحيم) يشكلان المحور الأساسي للآية الكريمة فالله تعالى وصف نفسه بهذين الصّفتين تلميحا له لانفراده بالألوهية وأنّه تعالى هو المنعم؛ ولقد استخدم هذين الصفتين لكثرة الآلهة في ذاك الزّمان وأنّه خصّ نفسه جلّ وعلا بخصائص عدّة منها الرّحمة خاصّة وأنّهم تساءلوا عن ما الرّحمن؟[1]، فالرّحمن هنا كانت المحور الأساسي الذي سيقت لأجله الآية؛ والراء بدوره يعد الصوت البارز الذي لا بد من إيضاحه ليدل على التأكيد والإصرار، وموقعه على هذه الشاكلة يبين قوة الرحمة والحنان التي خصّ الله بها عباده خاصة المتقين منهم.

أمّا الحاء فصوت يخرج من أقصى الحلق ليدل على الوضوح، بينما الميم والنون استخدما بشكل واسع في القرآن الكريم نظرا لخفتهما وسهولتهما في التّلاوة والأداء؛ فهما من الأصوات المجهورة "التي تحمل رسالة قوية وأنّها تتسم بالوضوح السّمعي"[2] ما يضفي على الآية انسجاما صوتيا رائعا يعكس الهدوء النّفسي والطمأنينة.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: الآية 5] انصبّ النبر في هذه الآية على صوت الراء أيضا من كلمة (مستقرّ) والتي تعني الاستقرار، ويمكن اعتبار هذه الكلمة المحور الأساسي للآية كونها تشير إلى تغيّر الحالة المعيشية للإنسان بهبوطه إلى الأرض للتّمتع بالحياة ولَذّاتها إلى حين وصول أجل كل واحد على حدى[3].

من الصّفات الأساسية لصوت الراء أنّه يكون قويا متصفا بالتّكرار والتّفخيم، أمّا في حالة الوقف عليه فيزداد تجليا ووضوحا. وهذا ما بيّنته الآية الحالية من أنّ الكلمة موضع وقف[4]، فهي طلب من الله عز وجل لسيدنا آدم وأمنا حواء. فعند قراءتها وإعمال النبر عليها أعطيت الكلمة حقها ومستحقها من الاستمرارية في العيش إلى حين حضور الموت.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج02/ ص 75-76.

[2] خديجة بن سعيد، التلوينات الصوتية والدلالية لصوتي الميم والنون –نونية أبي البقاء الرندي أنموذجا- مقال من مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد02، 2022م، مجلد 11/ ص 128.

[3] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج01/ ص 437.

[4] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 84.

*استثنى العلماء من هذه الحالة موضعين تمثلا في الآتي:

أ . الوقف على النّون والميم المشدّدتين: هذان الحرفان هما من حروف الغنّة؛ حيث يتمّ الضّغط عليهما عند القراءة، وعلى هذا الاعتبار تم إخراجهما من دائرة الوقف بالنبر فهي تغني عن النبر. وكما أسلفنا الحديث عنها سابقا فإنّها "صوت مركّب يخرج من الخيشوم"[1]. وعليه فإنّها تقوم مقام النّبر؛ وأنّ وقع النبر وإضافة الغنّة عليهما – النون والميم- يؤدي إلى إحداث اللّحن والخطأ في القراءة وهذا ما لا يجوز.

ومن أمثلة الوقف على النون والميم المشددتين قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ [البقرة: الآية 101]. وقوله عزّ منقائل: ﴿ٱلْيَمُّ﴾ [طه: الآية 38] في هذه الحالة يتم إظهار الغنّة دون النبر مع مراعاة الحرف اللّاحق للغنّة وإعطائه حقّه في الظّهور حتى تتم القراءة على أحسن وجه.

ب . الوقف على حرف القلقلة المشدد: نحو: ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: الآية 01]، ﴿ٱلْحَقُّ﴾[البقرة: الآية 25] جمعت حروف القلقة في قولنا (قطب جد) وهذه الحروف لا تتوافق مع النبر إذا كانت مشددة[2]؛ لأنّها تتضح بمجرد الضغط عليها مع حصول الاهتزاز الذي تحدثه القلقلة.

02 – الواو والياء المشددتين:

تجب الإشارة هنا إلى أنّه ليس كل الحروف المشددة توجب الوقف عليها بالنّبر، إنّما حدد العلماء حالات للوقف بالنبر على الحرف المشدد، ومن ضمن أهم هذه الحروف لدينا الواو والياء المشددتين اللتين تكونان على النّحو التالي:

أ . الواو المشددة والتي تسبق بضم أو فتح[3]: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: الآية 02] وقوله عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ [النساء: الآية 134] كلا من كلمتي (اللّوّامة- قوّامين) تحملان التلوّن الصّوتي –النبر- والذي وقع على صوت الواو السّاكن لإظهاره والمرور على الصّوت المتحرك. ذلك أنّ الواو المشدّدة تحمل صوتين ساكن ومتحرك والضّغط على الأول يعطي الكلم حقها ومستحقا من التّلاوة.

أما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: الآية 76] وكذا قوله: ﴿قَالَ لَوَ اَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: الآية 79] فالشاهد هنا هو كلمتي (القُوّة- قُوّة) وقع

[1] سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار مشكاة العلوم، دمشق/سوريا، ط02، ص 107.

[2] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 85.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 83-84.

النبر على صوت الواو المسبوقة بالضمة، بالتحديد الصوت الأول الساكن من الواو المشدّدة. الملاحظ أنّ صوت الواو المشدد المسبوق بفتح أو ضم يكون موضع النبر والذي يلزم القارئ بالأخذ به.

ب . الياء المشددة والتي تسبق بكسر أو فتح[1]: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: الآية 07] وقوله عز وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد: الآية 39]. وقع النبر على كلمتي (الوليُّ- الغنيُّ) المسبوقتين بالكسر، فجاء النبر على الصوت الأول كما في مثال الواو المشددة، حيث يتمّ الضغط على الصوت الساكن الأول من صوت الياء.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: الآية 28]. وقع النبر على كلمة (علَيَّ) بالتحديد على صوت الأول من الياء المشددة. وهذا لأنها سبقت بفتح.

تجدر الإشارة إلى أنّ علماء القراءات قد حدّدوا مواضع للنّبر بخصوص الواو والياء المشدّدتين، حيث أقرّوا على اعتبار الواو المشدّدة موضع نبر إذا سبقت بضم أو فتح فالصّوت الأول السّاكن منها يكون محل نبر، أمّا الياء المشدّدة فقد حدّدت بأسبقيتها بكسر أو فتح دون الضّم، وهذا لضبط القراءة وإعطاء الأصوات مخرجها الصّحيح.

3. الحرف المشدد بعد حرف المد:

وهنا يكون بالانتقال ترتيبيا من حرف المد مرورا بالشّد مع وجوب إحداث النبر. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ(6) غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ(7) ﴾ [الفاتحة: الآية 06-07]؛ وقع النّبر على صوت اللام المشدّدة الواقع بعد حرف المد. فكلمة الضالّين تحمل مقطعا طويلا (لّين) وبفك الشدة يصبح (للين)، ويتمثل المقطع الطويل في (لين) وتقابله الرموز التالية (ص ح ص ص)، فلا بدّ إذن من الضّغط عليه لإظهاره على المعنى الذي أوجبه الله تعالى، والملاحظ على هذه الآية أنّها أوجبت النّبر أيضا على الصّوت السّابق لحرف المد ألا وهو صوت الضاد، وهذا إشارة منه على العذاب الصّارم الذي سيقع لهم، فجاء التّأكيد بالشّدة وبروزه بالنّبر للإطاحة بالمدلول الصّحيح للآية الكريمة.

[1] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 84.

وفي قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَالاَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية 163] صوت الباء المشدد في كلمة (دابّة) هو موقع النبر والضغط عليها تأكيد على المعنى المراد من الآية.

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: الآية 33]؛ وقع النبر على صوت الخاء القوي في دلالته المبين لمعناه. ولأنّ هذا الصّوت سبق بحرف مد أدى النّبر ما عليه من وظيفة حيث أنّ الصوت ارتفع ونبر وذلك لعظمة هذا اليوم، ولشّدة الصّياح الذي يصخّ الأسماع[1]. فالانتقال من المد إلى النّبر انتقال لازم لمعناه.

04 – الهمزة الساكنة وصلا ووقفا:

إنّ الوقف على مثل هذه الهمزات واجب أثناء القراءة لأنّ عدم إتيانها يؤدي إلى الوقوع في الخطأ، لذلك استوجب إعمال النّبر حتى ندرك تواجدها وننبّه عليها حتى لا يضعف صوتها[2]، ومن الأمثلة التي وقع فيها النّبر على الهمزة قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: الآية 18]؛ وقع النّبر على الهمزة الواردة في كلمة (السّمآء) لأنّ إسقاطها يوحي بالخلل وعدم الإتيان بالآية على الوجه الأصح.

5. الحرف الذي يسبق ألف التثنية التي تسقط لالتقاء السّاكنين:

أدرج القرآن الكريم بعض الأفعال التي تحوي ألف التّثنية وذلك للتّفرقة بين المثنى والمفرد[3]، وهذا نحو **قوله تعالى:** ﴿وَاسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف: الآية 25]؛ يقع النبر على (قا) من كلمة (استبقا) بتوضيح المد والضّغط على حرف القاف، لأنّ كلمة (استبق) المفردة تدلّ على تواجد شخص واحد.

يؤدي النبر دورا كبيرا في توضيح المعاني وفهم مقاصد الآيات، عن طريق الضغط على المقطع المنبور، فإعمال النبر في القرآن الكريم يقودنا إلى فهم المفردة وبالتالي فهم الآية وما ترمي إليه، فهو يستخلص عن طريق لنطق الصحيح لقواعد التجويد.

خامسا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الفاصلة في القرآن الكريم

من الصور الجمالية التي أضافها القرآن الكريم على نصوصه والتي أعجز بها من تحدوا هذا النّص الرباني ظاهرة الفاصلة القرآنية، والتي تعدّ أحد التّلوّنات الصّوتية الإبداعية المساعدة على فهم القرآن وإدراكه، وهو ما سنورده ضمن بعض هذه النّماذج، والتي ستكون بحسب الأنواع الخاصة بالفاصلة مقسمة على النحو التالي:

[1] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1962.

[2] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 84.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

1. الفاصلة باعتبار الحرف الأخير

1.1. **الفاصلة المتماثلة:** وهي الفاصلة التي تشابه فيها الصوت الأخير من الآيات القرآنية أي تماثل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ(1)وَلَيَالٍ عَشْرٍ(2)وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(3)وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(4)هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ(5) ﴾ [الفجر: الآية01-05]؛ التزمت هذه الآيات بفاصلة واحدة المتمثلة في صوت الراء، الذي يعكس تناغما موسيقيا رائعا، يضفي على القراءة جانب التأثير والقوّة بحكم أنّه صوت اهتزازي أي مكرر.

إنّ أصل كلمة (يسر) هو تواجد الياء بعد الراء، فحذفت الياء ليكون هنالك انسجام تام بين الفواصل "قرأ نافع بن عمرو وأبو جعفر ويعقوب (إذا يسري) بياء بعد الراء في الوصل على الأصل وبحذفها على الوقف لرعي بقية الفواصل (الفجر- عشر- الوتر- حجر) ففواصل القرآن كالأسجاع في النثر والأسجاع تعامل معاملة القوافي"[1] فالظاهر أنّ حذف الياء يخفف من وقعها خاصة وأنّ جميع الآيات انتهت براء.

وعلى غرار سورة الفجر نجد أنّ القرآن الكريم قد أشار وفي العديد من الآيات إلى الفاصلة الملتزمة بصوت واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَ اَدْبَرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (34) ﴾ [المدثر: الآية 33-34]؛ إنّ كلمتا (أدبر وأسفر) لهما نفس الصّامت المتمثل في صوت الراء الذي يخلق تناغما موسيقيا رائعا. فلقد أبدع الله تعالى بالقسم بهذه الظواهر الكونية التي "تظهر بها أنوار في خلال الظلام فناسبت حالي الهدى والضلال"[2].

فالملاحظ أنّ كلتا الظاهرتين تعاقبتا مع بعضهما؛ ذلك أنّ كلمة أدبر والتي معناها ولى[3]؛ أمّا كلمة أسفر فمعناها أشرق[4].بهذا فإنّ انتقاء المفردات المتماثلة في فواصلها يضفي على الآية وقعا يتناسب مع معانيها بغية التّأثير في نفوس المخاطبين ولفت انتباههم للتّفكر في عظمة هذا الكون البديع.

وفي قوله عز من قائل: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15)اِلْجَوَارِ اِلْكُنَّسِ (16)وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17)وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) ﴾ [التكوير: الآية 15-18]؛ انتهت فواصل هذه الآيات بصوت السين (الخنس- الكنس- عسعس- تنفس) الذي يحدث وقعا هادئا يتسلّل إلى نفسية القارئ أو المستمع ليبعث في قلبه الطمأنينة والرّاحة، وهذا ما أبدته فواصل الآيات،وأشارت كل كلمة إلى تلك الجاذبية وذلك التّناسق الحاصل بين الأصوات.

---

[1] ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 16.

[2] المصدر نفسه، ج29/ ص 322.

[3] ابن كثير، المصدر السابق، ص 1939/ ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، المجلد02/ ص 582.

[4] المصدر نفسه، ص 655.

لم تكتف الفاصلة المتماثلة بالأخذ بصوت واحد فحسب بل أفردت لذاتها عدّة سبل أرادت من خلالها إظهار الإعجاز القرآني وتحدي فصحاء ذلك العصر، فجاءت آيات القرآن بنظام إبداعي فريد من نوعه تطرب الأذن لسماعه وتخشع القلوب والنّفوس لوقعه، فكانت بذلك الفواصل على عدّة صفات.

ومن جملة الفواصل المنتهية بصوتين متشابهين قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)** ﴾ [الشرح: الآية 01-04]؛ انتهت فواصل هذه الآيات بالراء والكاف هذان الصوتان يشتركان في صفة الانفتاح والاستفال والمنسجمان مع الطبيعة الخلقية من رحمة وحنان فانعكس ذلك على فواصل الآيات حيث تمخضت عنها موسيقى شجية وأداء سام[1]، وقد أدرج القرآن صوت الكاف مع الراء لجعل الحديث خاص بالرّسول عليه السلام وأنّه هو المخاطب دون غيره من البشر[2].

الملاحظ أنّ صوت الراء تكرّرت في عدّة مواقع وذلك لتميّزها بالقوّة والوضوح، وأنّ مجيئها في نهاية الآيات دلالة على استمرار الحماية ودوامها من المولى عزّ وجل، وإنّ اقترانها بصوت الكاف لدليل آخر على العناية التّامة والقرب المتين من الله تعالى.

وردت عدّة سور أو بالأحرى آيات كريمات ذات فاصلتين منها، قوله تعالى: ﴿**وَالْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحاً(1)فَالْمُورِيَٰتِ قَدْحاً (2)فَالْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً(3)**﴾ [العاديات: الآية 01-03]؛ جمعت فواصل هذه الآيات بين الصّامت هو صوت الحاء والصّائت الطّويل هو الألف، فعبّرت الفاصلة بذلك عن طبيعة القسم الذي أقرّه الله تعالى في كلامه، ومدى ارتباطه بصوتي الحاء وألف المد.

فباعتبار أنّ صوت الحاء صوت احتكاكي مهموس فقد تناسب مع صوت الخيل إذ المقصود بالعاديات الخيول[3]، أمّا ضبحا فهي النّفس التي تصدرها[4]، كما تناسب مع نسيم الصّباح وسكونه، وقد جاءت ألف المد لتبيّن تلك الحركة الطّويلة التي تصدرها الخيول وذلك السّكون الطويل الذي يحدثه الصّبح عند طلوعه. فالظّاهر أنّه قد حصل تجاوب كبير بين فاصلتي الحاء وألف المد والذي جسّد لنا مدى أهميّة الخيل التي أقسم بها الله تعالى في الغزوات التي قام بها المسلمون وذلك نظرا لأهميتها العظيمة.

---

[1] ينظر: بن فطة عد القادر، المرجع السابق، ص 99.

[2] للتفصيل أكثر ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 2007-2008، كذا: ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 408 وما يلي.

[3] ينظر: ابن عشور، المصدر السابق، ج30/ ص 498.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ج30/ ص 498.

أمّا ما جاء بفاصلة من ثلاثة أصوات فمثاله قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ(3)﴾ [القلم: الآية 02-03]؛ تمثلت فاصلة الآيتين بصوت النون المكرر والذي يتوسطه صائت طويل ممثل في (الواو)[1]، وظهور الصائت في مثل هذه الحالات دلالة على عظمة النّعم التي أنعم الله بها نبيه الكريم وأنّه قد نفى عنه الجنون الذي افتراه عليه الكفار، فالنّبوة التي يتمتع بها لا يمكن أن يصحبها الجنون، بحيث يعصمه الله منه—الجنون-، ولذلك واصل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع[2]. فطول المد مع النون المميزة بالجهر والغنّة أضفى رونقا موسيقيا جعل الفاصلة تتناسب مع بداية السورة، إضافة إلى صفة الجهر التي تصرح وبشدة أنّه نبي حكيم منزه عن الخطأ، وأن أجره لن ينقص أبدا.

أما الفاصلة ذات الأربع أصوات فمثالها قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَٰنُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ(202)﴾ [الأعراف: الآية 201-202]؛ إنّ فاصلة الآيتين تساوت فيها الأصوات الأخيرة الممثلة في صوت الصاد الذي يتمتع بصفة الاستعلاء والإطباق إضافة إلى كونه صوت صفيري يناسب ما جاء في الآية من تذكير الله أنّ الذين تصيبهم وسوسة الشيطان ثم تذكروا وعد الله أبصروا طريقهم وعادوا إلى التوبة، فجيء بصوت الصاد ليدل على قوّة بصيرتهم عند الانحراف والرّجوع إلى الله تعالى.

جعلت الراء مع الصائت الطويل (الواو) فالراء صوت مكرر مجهور، وقد تمتعت النون بذات الصفة (الجهر)، فالملاحظ على أن تكرار الأصوات نفسها يحي إلى عظمة العقاب الذي يمس الكافرين العصاة، وبالمقابل فإن لهم أجرا عظيما عند توبتهم واستقامتهم على الطريق المنير.

2.1.الفاصلة المتقاربة: هي الفاصلة التي تقاربت أصواتها في المخرج، وقد وردت في القرآن الكريم كثيرا، نذكر منها:

. تقارب صوتي الميم مع النون، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22)عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ(23)﴾ [المطففين: الآية 22-23]؛ انتهت فواصل هذه السورة بالميم والنون، وهذان الصوتان غالبا ما يأتيان متتابعين

[1] ينظر: بن فطة عبد القادر، المرجع السابق، ص 99.

[2] ينظر: أبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف الشهير الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر،بيروت/لبنان، 1432هـ-2010م، ج10/ ص 236. ينظر أيضا: ابن كثر، المصدر السابق، ص 1903.

كما هو حاصل في هذه السورة، وذلك للتّوافق الحاصل بينهما، حيث أنّ كلا من الميم والنون يخرجان من ذات المخرج، وأنهما يحملان تقريبا ذات الصفات كالجهر والتّوسط والغنّة التي تحدث حين التّرتيل بالآيات.

وقد وافق هذان الصوتان سياق السّورة التي صورت لنا الواقع المعاش أثناء فترة النّبوة، وحذرت من عمل المطففين[1]، كما أثنت على الأشخاص المتقين الذين اتبعوا طريق الحق وهو ما جسّدته الآيتين إذ تقدّم ذكر (النّعيم) الذي يتمتع به المتقون على لفظة (ينظرون) دلالة على الخلود الذي سيتمتع به أهل الخير وهم على الأسِرة فرحين مبسوطين.

. تقارب صوتي الدال مع الباء، نحو قوله تعالى: ﴿وَظِلّ مَّمْدُودٍ(32)وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ(33)﴾ [الواقعة: الآية 32-33]؛ لقد توافق صوتا الفاصلة (ممدود- مسكوب) في الصفات ذاتها، فالملاحظ أنّ صوتي الدال والباء متقاربان من حيث المخرج لذا فإنّهما يشتركان في الجهر والشّدة والقلقلة، إذ العلاقة التقاربية بين الحرفين أعطت الآية وقعا قويا كون أنّ السّورة تحاكي يوم القيامة، والآية موضع النّموذج خاصة بعباد الله المتقين.

2. الفاصلة باعتبار الوزن

1.2. الفاصلة المتوازية: هي الفاصلة التي تساوت مع الفاصلة التي بعدها من حيث الحروف والوزن، ومثالها قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (11)وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا (12) ﴾ [مريم: الآية 11-12]؛ وردت الفاصلتان متوازيتين باعتبار أنّ الآية الثانية في قوله ﴿وَحَنَاناً﴾ جاءت معطوفة على الآية الأولى في قوله ﴿ٱلْحُكْمَ﴾[2]، وذلك راجع إلى الوصف الذي خص به الله تعالى نبيه الحكيم يحيى عليه السلام.

إنّ كلمتي (صبيّا – تقيّا) اختتمتا بصوت الياء المصحوبة بألف المد والمعروف أنّ الياء صوت لين مستفل يمتاز بالضّعف وهو ما يوافق الهيئة التي كان عليها سيدنا يحيى عليه السلام، إذ كان صبيا لينا ناشئا على الفطرة السليمة فجاءت وضعية الياء للملابسة[1] لتدل على أنّه لم يتجاوز فترة الصبا وبالرغم من ذلك منحه الله القوة والشجاعة لفهم كتابه والتّدبر فيه فأضيفت الشّدة للياء لتشد على قلبه ويزداد قوة وثباتا وهو ما جعل أيضا ألف المد توازي الياء، وبهذا جاءت الآيتان منسجمتين من حيث المعنى والمضمون.

[1] للتفصيل أكثر ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 204.

[2] للتفصيل أكثر ينظر: عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث بطنطا، طنطا، 1427هـ- 2006م، المجلد01/ ص 1343.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج6/ ص 75-76.

2.2. الفاصلة المتوازنة: هي الفاصلة التي اتفقت مع الفاصلة التي بعدها في الوزن واختلفتا في الحرف الأخير، ومثالها قوله عز من قائل: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَالْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ(3) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ(4) ﴾ [القارعة: الآية 03-04]؛ القارعة هي القيامة[1] وقيل حادثة عظيمة حيث ذكر "جمهور المفسرين على أن هذه الحادثة هي الحشر فجعلوا القارعة من أسماء يوم الحشر مثل القيامة"[2]. لقد انتهت فاصلة هذه السورة بالتّاء المغلقة والهاء المهموسة عدا الآيتين الواردتين في النّموذج فجاءت الفاصلة فيهما بصوتي الثاء والشين، هذان الصوتان اللذان يحدثان انتشارا للهواء أثناء النّطق بهما، وأصل كلمة المبثوث المنشر أو كما قيل "المتفرق على وجه الأرض"[3]، أمّا المنفوش فهو نشر الصوف[4] أو بالأحرى "المفرق بعض أجزائه عن بعض ليغزل أو تحشى به الحشايا"[5].

حسب سياق الآية فإن النّاس ينتشرون بصورة عجيبة غريبة في ذلك اليوم المشهود[6]. وهذا الانتشار تلاؤمه أصوات التفشي (الثاء- الشين) لتكون الفاصلة متوازنة مع مضمون الحدث.

3.2.الفاصلة المرصعة: تحدث حينما تكون مقابلة بين الآيتين مع اتفاق الفاصلتين في الوزن والحرف الأخير، ومثالها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) ﴾ [الانفطار: الآية 13-14]؛ وقع التقابل بين هاتين الآيتين، فالأولى وصفت لنا المكانة العالية للمتقين ومصيرهم المكتوب لهم في اليوم الآخر، بينما وصفت الآية الثانية مآل الكفار وما سيلاقيهم من عذاب وبالتالي قابل النعيم الدنو والمكانة السفلى لأولئك الفجار الذين عصوا الله تعالى.

إنّ هذه المقابلة تعكس الحالة التي سيكون عليها كل صنف من العباد، فتقابل الكلمات أحدث لنا فاصلتين اتفقتا على ذات الوزن والحرف الأخير. وبالتالي فإنها أضفت تجانسا موسيقيا رائعا أحدته صوت الميم المميز بصفته الجهرية والإيقاع الموسيقي الذي تطرب له الأذن وتنساق خلفه القلوب.

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ص 2024.

[2] ابن عاشور، المصدر السابق، ج 30/ ص 510.

[3] المصدر نفسه، ج30/ ص 512.

[4] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 2025.

[5] ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 512.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ج 30/ ص 510 وما يلي.

3. الفاصلة باعتبار العلاقة بما قبلها

1.3. فاصلة التصدير: وهو موافقة آخر الكلمة لما قبلها، سواء في البداية أو في المنتصف، وهي على أنواع ثلاثة[1]:

أ. وهو تطابق الفاصلة مع أول كلمة في الآية، ومثالها قال الله تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَي ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاًۜ**﴾ [الأحزاب: الآية 03]؛ وردت كلمة (وكيلا) في نهاية الآية لتؤكد فعل التوكّل الذي أقره الله سبحانه وتعالى، فكلا الكلمتين (توكّل- وكيلا) اشتركتا في ذات المعنى وأكدتا على أنه من يفوض أموره لله فلا يخيب ولا يخسر.

ب . وهو توافق فاصلة الآية مع كلمة وردت وسط الآية، ومثالها قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُۖ**﴾ [ص: الآية 34]؛ توافقت فاصلة الآية (الوهاب) مع الفعل (وهب) لوارد وسط الآية وذلك بغية تعزيز المعنى ولفت انتباه السامع أو القارئ على أن الله سبحانه وتعالى يمنح العباد ويرزقهم مما يشاء، كما أنها تعكس احتياج الفرد لله وأنه هو المالك والمعطي.

ج . وهو توافق فاصلة الآية مع الكلمة الواردة قبلها في ذات الآية، ومثالها قال تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلاَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثْلُكُمْ يَاكُلُ مِمَّا تَاكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ [المؤمنون: الآية 33]؛ تكرار الفعل (يشرب) دلالة على تأكيده، وهذا ما وافق المعنى وعززه.

2.3. فاصلة التوشيح: وهي الفاصلة التي تفهم أثناء السماع أو القراءة، دون ذكر المشابه لها؛ وقد سميت توشيحا لأن معنى الكلام في أوله ينطبق مع آخر كلمة فيه[2]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَۖ**﴾ [يس: الآية 36]؛ فالمدقق في كلمات الآية والمتأمل في مفرداتها ومعانيها يجد أن انسلاخ النهار عن الليل دلالة على بروز الظلام[1]، فهذا النوع من الفاصلة يحتاج إلى تدبر في الآيات وتفقه اللغة ومعانيها.

[1] كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية/مصر، ط01، 1420هـ-1999م، ص141.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 142.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 142.

3.3. فاصلة الإيغال: وهي تلك الفاصلة التي تضفي على الآية معنى زائدا، أي أن مضمون الآية واضح ولا لبس فيه ولكن تواجد فاصلة الإيغال يضفي عليها شرحا إضافيا زائدا. ومثالها قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ**﴾ [النمل: الآية 82].

تلعب الفاصلة دورا مهمّا في إحداث الإعجاز القرآني الأمر الذي استغرب له كفار قريش وفصحائهم، بحيث ساهمت الفاصلة في إبراز جمالية النص القرآني خاصة وأنها لم ترد على وثيرة واحدة بل راحت تتأرجح وتتغير بحسب المواضيع التي تداولتها السور القرآنية، فهي بهذا تؤثر على نفسية القارئ أو المستمع.

سادسا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الوقف في القرآن الكريم

سبق الحديث عن معاني الوقف وأنواعه والغاية من تواجده في الدراسة العربية بصفة عامة والقرآنية بصفة خاصة، وسنتطرق في هذا الجانب إلى بعض الأمثلة التي تساعدنا على فهم الوقف وكشف خباياه في النص القرآني. وأنواع الوقف التي سنتعرض لها في هذه الورقة البحثية أدرجها ابن الجزري في أبياته قائل عنها:

يقول ابن الجزري[1]:

وبعد تجويدك للحروف	لا بد من معرفة الوقوف
والابتداء وهي تقسم إذن	ثلاثة تام وكاف وحسن
وهي لما تمّ فإن لم يوجد	تعلق أو كان معنى فابتدى
فالتام فالكافي ولفظا فامتعن	إلا رؤوس الآي جوز فالحسن
وغير ما تمّ قبيح وله	يوقف مضطرا ويبدا قبله
وليس في القرآن من وقف وجب	ولا حرام غير ما له سبب

وقد أجمع العلماء على أنّ أقسام الوقف هي كالآتي:

1. **الوقف التام:**

قال الله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾ [النصر: الآية 03]

نزلت هذه السورة بمجملها أيام التشريق، وقد بينت الآيةفضل الذّكر من تسبيح وحمد واستغفار، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يتوقف عن هذه العبادة التي تقرب من الله تعالى وتكفر عن الذنوب والخطايا[1]، كما أنها تعد أحد أساليب شكر الله تعالى على نعمة نصرة الإسلام ولذلك ختمها المولى عز وجل بكلمة

[1] ابن الجزري محمد، المقدمة الجزرية فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، مؤسسة ألف لام ميم للتقنية، المملكة العربية السعودية، ط02، 1436هـ-2015م، ص 10.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج 30/ ص 593 وما يلي.

(توابا). والمعنى أن الله يتوب عن عباده ويغفر لهم ويقبل رجوعهم إليه. وأن تلك الكلمات المفعمة بالشكر والتهليل تمحو الخطايا.

بعد تلك الأوامر الجليلة التي علّمها الله نبيه الكريم وذكّره بها أتم الكلام بقوله ﴿**إنّه كان توابا**﴾ فوقع الوقف على كلمة (توابا) وهو وقف تام يشير إلى إتمام المعنى وإيضاحه.

قال الله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: الآية 06].

الخطاب في هذه الآية كان موجها للكافرين المعارضين لدين الحق، فبعد تعنتهم وتكبرهم على اتّباع دين الإسلام فصل الله تعالى في أمرهم بهذه السورة الكريمة؛ حيث خاطبهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أمر هذا الدين وبأن يتبع كل واحد منهم دينه ويكون بذلك مسئولا عليه وعلى نفسه أمام الله تعالى[1].

لقد "قرأ الجمهور (دين) بدون ياء بعد النون على أن ياء المتكلم محذوفة للتخفيف مع بقاء الكسرة على النون. وقرأه يعقوب بإثبات الياء في الوصل والوقف"[2] فوقع الوقف بذلك على كلمة (دين) وهو وقف تام لمعناه يعكس صرامة المؤمنين وتشبثهم بالدين الجديد الذي أظهره الله تعالى على لسان رسوله الكريم كماتؤكد على الإصرار والثبات على موقفهم وعلى العراقيل التي واجهتهم.

قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر: الآية 18].

وجه الله تعالى خطابه في هذه الآية الكريمة للمؤمنين كافة يحثهم فيه على الالتزام بالتقوى وأنها ضرورية في حياتهم فهي التي تعزز تشبثهم بهذا الدين وتقربهم من الله تعالى، كما أنها مفتاح النجاة يوم القيامة لذا نلاحظ تكرارها في الآية الكريمة.

يمكننا تقسيم الآية إلى جمل متباينة بحيث نستطيع إعمال الوقف على لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**﴾ إذ أن المعنى قد تمَّ والعبارة واضحة الدلالة ولبس فيها ولا غموض.

أما قوله تعالى: ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ فهذه الآية أضافت معنى جديد للآية الأولى وعززته كما أفادت الغاية من العبادة والتقوى ومرد كلّ ذلك الفوز يوم القيامة، ثم أكمل الله تعالى قوله ﴿**وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ**

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج30/ ص 580 وما يلي/ ينظر: أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ص 558.
[2] ابن عاشور، المصدر نفسه، ج30/ ص 584.

﴿ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ موقع الوقف هنا هو (تعملون) فالجملة إذن واضحة الدلالة والمقصد وقد أتمت معناها بذاتها.

2. **الوقف الكافي**: وأمثلته كالآتي:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَّدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنٰثاً وَإِنْ يَّدْعُونَ إِلَّا شَيْطٰناً مَّرِيداً (116) لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً (117) ﴾ [النساء: الآية 116-117].

تبين هذه الآيات الحالة التي كان عليها المشركون وهم يعبدون تلك الأصنام التي صنعوها بأيديهم وأطلقوا عليها أسماء مؤنثة، وأنهم اعتبروها شيئا مقدسا. وهذا إن يدلّ على جهالتهم وبعدهم عن الله تعالى واتخاذهم الشيطان سبيلا لهم. فعبادة الأصنام مفادها عبادة الشيطان الذي أظل طريقهم[1].

يقع الوقف على قوله تعالى "لعنه الله" أي أن الله تعالى لعن الشيطان ووعده بالعذاب الشديد وأنه مطرود من رحمته، و"جملة لعنه الله: صفة للشيطان أي أبعده، وتحتمل الدعاء عليه"[2] فالوقوف على (لعنه الله) هو وقف كاف ليتم قراءة الآية بعدها لقوله تعالى: ﴿...وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ وقوع الوقف على (لعنه الله) أتم معنى الآية حتى يتضح لنا أن الكلام الحاصل بعدها من قول الشيطان الذي يتوعد بإغواء البشر وإبعادهم عن طريق الحق.

لو وصلنا قوله تعالى (لعنه الله) بما جاء بعدها (وقال لأتخذن) لاعتقد معتقدا أن الله تعالى توعد العباد ولكن حاشاه أن يقول مثل هذا؛ لذا وجب إعمال الوقف الكافي لنبين أن الآية فيها ارتباط بالذي بعده وأن الكلام تام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: الآية 01].

نزلت هذه السورة لتطمئن قلب النبي صلى الله عليه وسلم ولتبشره بالعطايا التي منحه الله إياها بعد أن وصفه الكفار بالأبتر والذين قصدوا من وراءها أنه لا خلفت ولا نسب باق له، لأنه ليس لديه ولد يخلف اسمه ويذكر به فيما بعد[1]، فجاءت هذه السورة لتضع حدا للعصاة الذين غرتهم أنفسهم ولتفرح قلبه عليه السلام وتبشره بما منحه الله من الخير الكثير في جنات النعيم.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج05/ ص 203.
[2] المصدر نفسه، ج05/ ص 203.
[1] ينظر، المصدر نفسه، ج30/ ص 572-573.

يقع الوقف على (الكوثر) وهو وقف كاف لأن ما جاء بعدها مرتبط ارتباطا وثيقا بها، حيث ذكر مباشرة بعدها قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ بمعنى أن هذه النعم التي أنعم الله بها نبيه يقابلها شكر لله وحمده وذلك بالصلاة لله وحده والتي تعد عماد الدين، وكذا بالنحر والمقصود به الذبح يوم العيد وهذا كله تقربا من الله عز وجلّ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: الآية 19].

الخطاب في هذه الآية موجه إلى الناس أجمعين مبينا لهم أن الله تعالى قد خص الإسلام بالإتباع والحذو بقواعده. فهو دين شامل وكامل لجميع التعاليم الربانية وأن الاقتداء به فرض على كل العباد أي لا تقبل أية عادة أخرى من دونه[1]. ولقد جاء به سبحانه وتعالى للناس كافة وأنه خلاصة للأديان السابقة كونه آخر الديانات.

يقع الوقف على كلمة (الإسلام) لأن ما ورد بعدها من قول يضفي عليها زيادة في المعنى والإيضاح؛ فقد جاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: الآية 19] وللإشارة فإن الوقف على الإسلام يمنح القارئ فرصة التدبر والتفكر في عظمة هذا الدين وأهميته ومكانته المرموقة بين بقية الأديان.

3. الوقف الحسن:

مثاله: قوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء: الآية 107]؛ إذا وقف القارئ على كلمة (رحمة) فيعتبر هذا الوقف حسن ولا لبس فيه لا غموض، ذلك أن معنى الآية قد اتضح للقارئ والمستمع ولم يحدث فيها أي غموض؛ بل إنه يتيح فرصة لتأمل والتدبر في تلك الرحمة التي تحدث عنها المولى عز وجل. وعلى الرغم من أن كلمة (العالمين) متمة لمعنى الآية بشكل كبير فإنه يجوز الوقف على كلمة (رحمة) واستئناف القراءة بعدها.

قال الله تعالى: ﴿ قُلُ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوُ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: الآية 109].

كابر المشركون وتعاندوا حتى إنهم شككوا في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام وأنه لا يدعو إلى عبادة إله واحد بل هما اثنان، فذكر الله عز وجل كلا الاسمين في هذه الآية حتى يرد على جبروتهم ويسكت أفواههم ويبين أن الرحمن هو اسم من أسمائه الحسنى فلا فرق بينهما إذن[1].

[1] ينظر، ابن عاشور، المصدر السابق، ج03/ ص 188 ومايلي.

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج15/ ص 236-237.

يأتي الوقف على لفظ الجلالة (الله) وهو وقف حسن أجازه العلماء لأنه لا يؤثر على مفهوم الآية ولا يغير معناها، فسواء وجه الدعاء إلى الله أو الرحمن فهذا لن يبدل مدلول الدعاء أو توجهه[1]، وعليه فإن الوقف جائز وأن استئناف القراءة يضفي على الآية مفهومه الكامل فتزداد بذلك إيضاحا.

قال الله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السّجدة: الآية 14].

تشير الآية إلى العذاب الذي سيلحق الكفار يوم القيامة، وأن الله توعدهم بالنسيان كما فعلوا هم في الدنيا. ذلك أن الله تعالى قد أنزل آياته البيّنات وأبان المعجزات فصدقها المؤمنون وكفر بها المشركون[2]؛ حيث غرتهم أنفسهم فأقاموا على كفرهم وأظهروا في الأرض فسادا ونسوا بذلك أن هناك يوم موعود يلتقي فيه النّاس مع المولى عز وجل ليحاسبوا على أعمالهم فنسيانهم لذلك اليوم قابله الله سبحانه بالنّسيان يوم الحساب.

يقع الوقف على كلمة ﴿إِنَّا﴾ تبين حرمان الله لهم يوم الحساب من رحمته والتي لا تغير مضمون الآية أو تؤثر على المفهوم بل يظل المعنى واضح والفكرة ثابتة ومستقرة.

4. **الوقف القبيح**: وهو الوقف على مواطن غير مناسبة له؛ بحيث يختل المعنى وتفسد دلالته، فلا يجوز أن نقف بين الفعل وفاعله أو بين المضاف والمضاف إليه مثلا[3] من أمثلته:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: الآية 09]، الوقف عند كلمة (يوم) وقف قبيح يؤدي إلى الإخلال بالمعنى وعدم الفهم الصحيح للجملة، ذلك أن كلمة (من يوم) جار ومجرور وأن كلمة (الجمعة) مضاف إليه[1]؛ فقد قلنا بين المضاف والمضاف إليه وقطعنا الكلام وهذا غير جائز، فالأصح إذن هو إتمام قراءة الآية على الوجه الصحيح ليتبين المعنى ويتضح.

[1] ينظر: ابن عاشور، المصدر السابق، ج15/ ص 237.

[2] ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 1474.

[3] ينظر: حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، زهراء الشرق، القاهرة/مصر، ط01، 2005م، ص 249.

[1] ينظر: عبد الله علوان وآخرون، المرجع السابق، ص 2459.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [الإنسان: الآية 02]، إذا وقف القارئ على (خلقنا) فإن معنى الآية لم يكتمل ذلك لأننا فصلنا بين الفعل والفاعل من (خلقنا) وبين المفعول به (الإنسان)[1]، ويعد هذا وقفا قبيحا لأن مدلول الآية لم يفهم بعد فالنص إذن بحاجة إلى إيضاح.

وقوله جل جلاله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: الآية 53]؛ الوقف على كلمة (من) وقف ليس في محله المناسب له لأنه يخل بالمعنى ويعطل مفهوم الآية وما ترمي إليه، ذك أن (من) حرف جر وتحتاج إلى مجرور بعدها ليتم معناها. فهذا الوقف غير مصرح به وغير جائز.

يعد الوقف وسيلة جد مهمّة للتعبير عن معاني الآيات القرآنية والتدبر فيها وفهم مقاصدها، إذ بواسطته يتمكن القارئ من استيعاب المفردات القرآنية والتوصل بذلك إلى الفهم الصحيح للآية، لأن الوقف في غير الموضع المحدد له يؤدي إلى الإخلال بالمعنى.

صفوة الكلام تقودنا إلى القول بأن القرآن الكريم لم يعجز العرب في مفرداته فقط؛ بل في جوانبه الصوتية من خلال الأداء والتلاوة وهو ما بينته الظواهر الصوتية من إيقاع ونبر وتنغيم وفاصلة ووقف، فكل ظاهرة من هذه الظواهر ساهمت وبشكل فعال في إضفاء صبغة فنية رائعة على الخطاب القرآني بحيث أصبحت جزءا مهما منهفزادته بذلك إبداعا وتناسقا بين الأصوات والكلمات وهو ما أحدث تأثيرا على نفسية القارئ والمستمع.

[1] ينظر: عبد الله علوان وآخرون، المرجع السابق، ص 2459.

خاتمة

في ختام أطروحتنا المعنونة بـ "أثر الدّرس الصّوتي في الخطاب القرآني في ضوء نماذج قرآنية"، حاولنا تسليط الضّوء على كل ما يتعلق بالصّوت جاعلين القرآن الكريم محل الدّراسة والتّطبيق؛ حيث استندنا على ما استخلصه العلماء القدامى والمحدثين بخصوص الجانب الصّوتي.

تطرنا إلى رصد ما جاء به علماء القراءات القرآنية وذلك لإثراء هذه الدّراسة، خاصّة وأنّ الجانب التّطبيقي تمّ إدراج فيه نماذج من كلام الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي أدّى بنا إلى الإقتصار على كلام العلماء الأوائل والمعاصرين في الفصلين الأول والثاني، لا سيما وأنّ النّص القرآني حظي باهتمام كبير من قبل علماء القراءات والمفسرين.

توصلنا من خلال بحثنا إلى مجموعة من النتائج، والتي استخلصناها من خلال قراءتنا لجملة من المصادر والمراجع، وصولا إلى بعض التوصيات، وردت هذه النتائج على النحو التالي:

01/ إنّ اهتمام القرآن بعلم الأصوات يوحي بأهميّة هذا العلم ودوره في تحسين التّلاوة والتّجويد، وإبراز جمالية القرآن من خلال الوقوف على الظّواهر الصّوتية التي تزيد في إظهار الرّونق الإبداعي للسّور والآيات القرآنية.

02/ في هاته الدّراسة دعوة إلى معرفة الاختلافات الواقعة بين العلماء سواء القدامى أم المحدثين، وأنّه بالرّغم من هذه الاختلافات إلّا أنّ نتائج البحث بينهم لم تكن متفاوتة وأنّ كل عالم جاء مكملا للآخر ومضيفا له حوصلة بحثه.

03/ إنّ معرفة الضّوابط القرآنية من قواعد التّجويد تساهم وبشكل كبير في استخراج الظّواهر والكشف عنها.

04/ أضفت التّلونات الصّوتية على الآيات القرآنية لونا جديدا ينسجم مع وقع الحدث الذي أراده الله تعالى، حيث أنّ المزج بين هذه التّلونات أو كما يسمّى بالظّواهر يعدّ مزجا جميلا يجعل القارئ أو المستمع يعيش مع الواقعة كما يجعله في خشوع دائم.

05/ إنّ التّنوع الذي يحظى به النّص القرآني للظّواهر الصّوتية يعطي للكلمة الواحدة عدّة دلالات تتنوّع بتنوّع المشهد التّصوري الذي وضعت فيه.

06/ القرآن الكريم جسّد لنا عدّة ظواهر صوتية، بحيث أنّه وفي الآية الواحدة نستطيع الكشف على عدد من الظّواهر كالنّبر والإيقاع والفاصلة وغيرهم، وهذا يدلّ على البلاغة اللّغوية للقرآن والإعجاز الالاهي الذي صوّره الله سبحانه وتعالى في آياته المحكمات.

06/ يمكننا القول بأنّ البنية الصّوتية المكوّنة للآيات القرآنية قد استطاعت أن تقدّم لنا انطباعية متكاملة للعبر والقصص التي سردها القرآن الكريم بحيث عكست لنا جميع الملامح كالحزن والشّوق والحنين والغضب، وهذا بحسب الحادثة والسّياق الواردة فيه الآيات القرآنية.

07/ تمكّنا في هذه الدّراسة أن نسلط الضّوء على بعض الظّواهر الصّوتية التي استنبطها العلماء من القرآن عن طريق التّجويد، والتي ساعدت في الفهم القرآني وتفسيره.

08/ تعدّ الظّواهر الصّوتية أحد أهم مظاهر الإعجاز في النّص القرآني، حيث أكسبته ميزات خاصة جعلت القراء يتغنّون به ويخشعون أثناء تلاوته، إذ الإبداع الصّوتي في القراءة يحيل القارئ إلى مشاهدة الآيات وهي ترتسم أمام عينيه.

التوصيات:

01/ ضرورة تعلم الظواهر الصوتية بغية الفهم الصحيح للقرآن وإخراج الأصوات من مكانها الصحيح لإعطاء كل حرف حقه ومستحقه.

02/ واجب البحث في الجوانب الصوتية لقرآن الكريم، والتعمق في دراستها لأنها تساهم وبشكل كبير في زيادة التدبر القرآني.

03/ يوصي الباحث بالسعي وراء التفقه في هذه العلوم القرآنية كونها مرتبطة أشد الارتباط بالجانب الديني وحتى الدنيوي، وأن البحث فيها يقربنا إلى الله عز وجل.

في ختام هذه الأطروحة نحمد الله تعالى على توفيقه وعونه لنا على تتمة هذه الرّحلة الاستكشافية في رحاب القرآن الكريم، لذا نرجو من المولى عزّ وجل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل قارئ ومتعلّم، وأن يجعله في ميزان حسنات الوالدة الكريمة –رحمها الله

تعالى وأسكنها فسيح جناته- وصلي اللّهم وسلّم على نبيّنا الكريم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصحف الشريف برواية ورش عن نافع نسخة إلكترونية.

أولا: قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، طهران/إيران، ط02، ج02.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مطبعة الأنجلومصرية، القاهرة/مصر، ط05، 1975م.
3. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط05، 1984م.
4. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، د.ط، 1992م.
5. أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، 1393هـ-1973م.
6. أحمد زكي باشا، التّرقيم وعلاماته في اللّغة العربية، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب/سويا، 1330هـ-1916م.
7. أحمد عفيفي، نحوُ النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة/مصر، ط01، 2001م.
8. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي –محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي- دار غريب، القاهرة/مصر، ط01، 2008م.
9. أحمد مختار عمر، البحث الصوتي عند العرب، عالم الكتب، ط02، القاهرة/مصر، 1396هـ-1976م.
10. أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة/مصر، 1418هـ-1997م.
11. الأزهري محمد بن أحمد الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، ط01، 2001م، ج09.
12. أسامة أحمد بسيوني، المختصر في التجويد، دار الأمل، ط02، 1442هـ-2021م.
13. الأنطاكي محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت/لبنان، ج01.
14. الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1971م.
15. بريتيل مالمبرج، علم الأصوات، تعريب عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة/مصر.

16. بسام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، د.ط.

17. أبو بكر محي الدين بن حمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي، تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط02، 1427هـ- 2006م، ج02.

18. بن فطة عبد القادر، الأداء الصوتي في ضوء نماذج قرآنية، دار الكشاف للطباعة والتوزيع، ط01، بيروت/لبنان، 1438هـ-2017م.

19. تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط01، 2011م.

20. تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة/مصر، ط01، 1413هـ- 1993م.

21. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء/المغرب، د.ط، 1994م.

22. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة/مصر، د.ط، 1990م.

23. التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط01، 1996م، ج02 (ص-ي).

24. الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، القاهرة/مصر، ط07، 1418هـ- 1998م، ج01.

25. جان بياجيه، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت/لبنان، ط04، 1985م.

26. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، دط، 1966م.

27. الجرجاني السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط02، 1424هـ- 2003م.

28. ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط01، 1421هـ-2001م.

29. ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 2002، ج01.

30. ابن الجزري أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، المقدمة الجزرية فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، مؤسسة ألف لام ميم للتقنية، المملكة العربية السعودية، ط02، 1436هـ-2015م.

31. جمال بن إبراهيم القرش، دراسة المخارج والصفات، مكتبة طالب العلم ناشرون، جمهورية مصر العربية، ط01، 1433هـ-2012م.

32. ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ج01.

33. ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، ج03.

34. ابن جني أبي الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1421هـ-2000م، ج01.

35. حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، زهراء الشرق، القاهرة/مصر، ط01، 2005م.

36. حسام البهنساوي، علم الأصوات، النّاشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة/مصر، ط02، 1429هـ-2008م.

37. حسين نصار، إعجاز القرآن الفواصل، الناشر مكتبة مصر، ط1، 1999م.

38. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، ط02، 1998م.

39. حلمي خليل، دراسات في علم اللغة والمعاجم، دار النهضة، بيروت/لبنان، ط01، 1998.

40. أبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف الشهير الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر،بيروت/لبنان، 1432هـ-2010م، ج10.

41. خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، جدار للكتاب العالمي، عمان/الأردن، ط01، 2006م.

42. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، د.ت.

43. الداني أبو عمرو عثمان ابن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان/الأردن، ط01، 1421هـ-2000م.

44. دربني حورية، عبد القادر بن فطة، تأملات صوتية في رحاب القرآن الكريم (دراسة فونيتيكو فونولوجية في فن التجويد والتفسير القرآني)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج/الجزائر، جوان 2023.

45. الرازي محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، د.ط، 1986م.
46. الرازي محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1401هـ-1981م.
47. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة/مصر، ط03، 1417هـ-1997.
48. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة/مصر، 1427هـ- 2006م.
49. ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشير، الناشر مكتبة الشباب، د.ط، د.س.
50. سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار مشكاة العلوم، دمشق/سوريا، ط02.
51. سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، 1980.
52. سمير شريف إستيتة، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، دار عالم الكتب الحديثة، اربك/الأردن، ط02، 1429هـ-2008م.
53. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط02، 1402هـ/1982م، ج 04.
54. سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.
55. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م.
56. السيوطي عبد الرحمان جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، 1986، ج01.
57. شرف الدين الراجحي، علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، دار المعرفة، الجامعة الأزاريطية، دط، 2002.
58. شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة/مصر، 1972م، ج01.
59. صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط10، 1977م.

60. صبري المتولي، دراسات صوتية في تجويد الآيات القرآنية، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة/مصر، د.ط، 2008م.

61. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج01.

62. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984،ج02.

63. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج03.

64. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج05.

65. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج06.

66. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج14.

67. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج15.

68. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج16.

69. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج18.

70. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج19.

71. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج22.

72. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج23.

73. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج24.

74. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج29.

75. ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ج30.

76. عاطف فضل محمد، مقدمة في اللسانيات، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2011م.

77. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللّويحق، مكتبة العبيكان، الرياض/السعودية، ط01، 1422هـ- 2001م.

78. عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية لقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر، القاهرة/مصر، 2003م.

79. عبد الرحمن سعود ابداح، أدب الخطاب في القرآن الكريم، دار اليازوري، عمان/الأردن، د.ط، 2014م.

80. عبد العزيز أحمد علاّم وعبد الله ربيع محمود، علم الصّوتيات، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض/السعودية، 1430هـ-2009م.

81. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق/سوريا، ط01، 1427هـ- 2007م.

82. عبد الغفار حامد هلال، الصّوتيات اللّغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة/مصر، د.ط، 1430هـ- 2009م.

83. عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، السعودية، ط01، 1982م.

84. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة، ط02.

85. عبد القادر جديدي، البنية الصوتية للكلمة العربية، المطابع الموحدة، تونس، 1986.

86. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط01، 1418هـ- 1998م.

87. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغوية، دار صفاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان/الأردن، ط02، 1435هـ-2014م.

88. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار ضياء للنشر والتوزيع، عمان، د.ط، 2000م.

89. عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث بطنطا، طنطا، 1427هـ-2006م، المجلد 01.

90. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة، ط01، 2004م.

91. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص "المفهوم- العلاقة- السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م.

92. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1996م.

93. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، ط01، 1992م.

94. عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، الرياض/السعودية، ط04، 1414هـ-1994م.

95. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، أربد/الأردن، ط02، 1414هـ- 1993م.

96. غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر، عمان/الأردن، ط02، 1428هـ- 2007م.

97. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان/الأردن، ط01، 1425هـ-2004م.

98. ابن فارس الرازي أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج02.

99. ابن فارس الرازي أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج03.

100. ابن فارس الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج05.

101. ابن فارس الرازي أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج06.

102. فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان/الأردن، ط02، 1422هـ- 2002م.

103. الفرابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، راجعه محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي، القاهرة/مصر، د.ط.

104. الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1424-2003، جزء 01.

105. الفراهيدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1424هـ-2003م، جزء 02.

106. الفراهيدي الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن ، كتاب العين –مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الرحمن الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 1424هـ-2003م، جزء 04.

107. فندريس، اللّغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ط.

108. فوزي الشّايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديثة، اربد/الأردن، ط01، 1425هـ-2004م.

109. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط08، 1426هـ- 2005م.

110. القرطبي عبد الوهاب بن محمد، الموضح في التّجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر، عمان/الأردن، ط01، 1421هـ-2000م.

111. ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت/لبنان، ط01، 1420هـ-2000م.

112. كمال الدين عبد الغني المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية/مصر، ط01، 1420هـ-1999م.

113. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1998.

114. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة/مصر، د.ط، 2000م.

115. ماريو باي، أسس علم اللّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة/مصر، ط08، 1419هـ- 1998م.

116. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط02، 1984م.

117. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، بيروت/لبنان، ط01، 2018م.

118. محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت/لبنان.

119. محمد التونجي وراجي أسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيا)، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط01، 2001م، مجلد01.

120. محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار للنّشر والتّوزيع، عمان/الأردن، ط02، 2000م.

121. محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2005م.

122. محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط02، 1419هـ- 1999م.

123. محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان/الأردن، ط01، 1996م.

124. محمد حسين علي الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت/لبنان، ط01، 1420هـ- 2000م.

125. محمد عصام مفلح قضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، الأردن، د.ط.

126. محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2000م.

127. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، ط04، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، 1982.

128. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 1992م.

129. محمود السّعران، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، د.ط.

130. محمود خليل الحصري، معالم الإهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، مكتبة السنة، القاهرة/مصر، ط01، 2002م.

131. محمود عكاشة، أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مكتبة دار المعرفة، القاهرة/مصر، ط02، 2007.

132. مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، الدار الثقافية للنشر، القاهرة/مصر، ط01، 1418هـ-1998م.

133. مكي أبي محمد بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط03، 1417هـ- 1996م.

134. مكي بن أبي طالب أبي محمد القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط03، 1404هـ-1984م، ج01.

135. مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، عالم الكتب، بيروت/لبنان، 1998م.

136. منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط01، 2001.

137. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 01.

138. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 02.

139. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 03.

140. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 04.

141. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 05.

142. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار الفكر، بيروت/لبنان، ط01، 1429هـ- 2008م، المجلد 06.

143. المهدي محمد الحرازي، بغية المريد من أحكام التجويد، دار البشائر الإسلامية، بيروت/لبنان، ط01، 1422هـ-2001م.

144. نعمان عبد السميع متولي، إيقاع الشعر العربي في الشعر البيتي الشعر الحر قصيدة النثر، دار العلم والإيمان، ط01.

145. ابن يعيش، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 05.

ثانيا: رسائل الماجستير والدكتوراه

1. زهراء جاسم محمد، شعر سعد علي مهدي –دراسة صوتية– رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة ذي قار، كلية الأدب، قسم اللّغة العربية، 2016م.

2. عادل عبد الرحمن عبد الله إبراهيم، النظام المقطعي دلالته في سورة البقرة، دراسة وضعية تحليلية، ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1427هـ، 2006م.

ثالثا: المقالات العلمية

1. إنعام الحق غازي، المقطع الصّوتي وأهميته في الكلام العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد24، 2017م.

2. بوزيد ساسي هادف، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، جامعة قالمة/الجزائر، العدد 09، 2009م.

3. خالق داد ملك، معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه (دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد 22، 2015م.

4. خديجة بن سعيد، التلوينات الصوتية والدلالية لصوتي الميم والنون –نونية أبي البقاء الرندي أنموذجا– مقال من مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد02، 2022م، مجلد 11.

5. رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللّغوية الحديثة، حوليات الجامعة التّونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد14، 1977م.

6. صبري الصعيدي، معالجة التراث في المصنفات الغربية اللغوية الحديثة، 2010، نقلا عن: http://www.islamonline.net10/1/2010 a10:30

7. عليان الحازمي، الأصوات العربية بين الخليل وسيبويه، بحوث كلية اللّغة العربية، المملكة العربية السّعودية، جامعة أم القرى، كلّية اللّغة العربية، السّنة الثّانية، العدد الثّاني، 1404-1405هـ.

8. عمار ساسي، المدخل إلى الصوتيات تاريخيا، إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، قطب العفرون، البليدة، 2013.
9. يوسف وغليسي، البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي، مجلة الدراسات اللغوية، تصدر عن مخبر الدراسات اللغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 60، 2010م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... أ

مدخل: المفاهيم الأساسية للدراسةط

تمهيد:..... 10

أوّلا: الصّوت:..... 10

1.الصّوت عند القدامى: 10

2.الصّوت عند المحدثين: 13

3.تعريف الصّوت اللّغوي: 14

4.تعريف علم الأصوات: 16

1.4. علم الأصوات النّطقي أو الفيسيولوجيParole ou phonologie physiologique..... 17

2.4. علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي: Phonologie acoustique ou physique..... 17

3.4. علم الأصوات السّمعي Phonologie Auditive:..... 18

5.الفونيتيك والفونولوجيا: Phonétique et Phonologie 18

6.دلالة الصّوت في القرآن: 19

ثانيا: الخطاب:..... 20

1. تعريف الخطاب: 21

2. تعريف النص:..... 22

3. علاقة النص بالخطاب:..... 24

ثالثا: الخطاب القرآني:..... 25

1.تعريف الخطاب القرآني: 25

2.أنواع الخطاب القرآني: 26

الفصل الأوّل: الدرس الصوتي بين القدماء والمحدثين

تمهيد:..... 30

المبحث الأول: جهود العرب التراثية في الدراسات الصّوتية. 31

المطلب الأول: الصوت عند العلماء اللّغويين القدامى 31

4. صفات الحروف عند القدامى:..... 45

المطلب الثاني: الصوت عند علماء التجويد 51

1.مخارج الحروف عند علماء التجويد:..... 58
2.صفات الحروف عند علماء التجويد:..... 61
المبحث الثاني: الجهود الصوتية عند اللغويين المحدثين 63
المطلب الأول: الصوت عند الأمم السابقة والغربيين المحدثين..... 63
أولا: الصوت عند الأمم السابقة 63
ثانيا: الصّوت عند الغربيين المحدثين..... 65
المطلب الثاني: الصوت عند اللّغويين العرب المحدثين 66
1.مزايا الصّوت اللّغوي عند المحدثين:..... 72

الفصل الثّاني: أسس بناء الكلمة والظواهر الصوتية المؤثرة عليها

تمهيد: 80
المبحث الأول: البناء الصوتي للكلمة..... 81
المطلب الأول: بنية الكلمة صوتيا 81
1.مفهوم البنية..... 81
2.مفهوم الكلمة:..... 82
3. دلالة الأصوات المكونة للكلمة:..... 84
المطلب الثاني: النّظام المقطعي للكلمة..... 86
1.مفهوم المقطع:..... 86
2.تعريف المقطع في الدّراسات الصّوتية الحديثة:..... 88
3.أهميّة المقطع في الدّراسات الصّوتية:..... 90
4.أقسام المقاطع
الصّوتية:..... 91
المطلب الثالث: تصنيف الأصوات العربية 93
1.الأصوات الصامتة:..... 93
2.الأصوات الصّائتة أو المصوتة:..... 93
المبحث الثاني: الظّواهر الصّوتية المتعلقة بالكلمة..... 99
المطلب الأول: الإيقاع 99
المطلب الثاني: التّنغيم..... 103
المطلب الثالث: النّبر Strees 108

المطلب الرابع: الفاصلة القرآنية 114
المطلب الخامس: الوقف 120

الفصل الثالث: النماذج التطبيقية الخاصة بالظواهر الصوتية

تمهيد: 132
أوّلا: الدراسة التطبيقية لظاهرة المقطع في القرآن الكريم 133
ثانيا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الإيقاع في القرآن الكريم 140
ثالثا: الدراسة التطبيقية لظاهرة التّنغيم في القرآن الكريم 147
رابعا: الدراسة التطبيقية لظاهرة النّبر في القرآن الكريم 152
خامسا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الفاصلة في القرآن الكريم 157
سادسا: الدراسة التطبيقية لظاهرة الوقف في القرآن الكريم 164
قائمة المصادر والمراجع 175
فهرس المحتويات 188

حظيت الدّراسات اللّغوية باهتمام كبير من قبل الدّارسين والباحثين، حيث شهدت قفزة نوعية، خاصة ومع بروز التّكنولوجيات الحديثة، إذ أصبحت الأبحاث تقام في المخابر العلمية مواكبة بذلك التقدم العلمي الحاصل، ويعدّ النّظام الصّوتي أحد أهم هذه الدّراسات باعتباره اللّبنة الأساسية التي تقوم عليها باقي القواعد اللّغوية، فالتّحكم في ضبط الأصوات ومعرفة أماكن خروجها يساعد وبشكل كبير في النّطق الصحيح للجمل.

للقرآن الكريم دور هام في إبراز الأصوات عن طريق الأداء الصوتي؛ حيث تفطّن العلماء لما يسمى بالظّواهر الصّوتية التي تعطي جمالية للأداء كون أنّ القرآن نظام لغوي دقيق منسجم المعالم له تأثير كبير على القارئ والمستمع، الأمر الذي دفع علماء القراءات بالاهتمام بالجانب الصّوتي.

وتمثل الظّواهر الصّوتية أحد التّلونات التي تقع على الكلمة فتغير منها سواء بالضّغط على المقطع أو بارتفاع الصّوت أو انخفاضه، وذلك حسب نوع الظاهرة المعمول بها عند النطق، وتبرز فاعلية تلك الظّواهر من خلال القرآن إمّا بالتّجويد أو التّرتيل وهو ما يعطي النّص القرآني جمالية وجرسا إيقاعيا تطرب له الأذن.

Résumé

Les études linguistiques ont reçu une grande attention de la part des universitaires et des chercheurs, car elles ont connu un saut qualitatif, notamment avec l'émergence des technologies modernes, à mesure que la recherche s'est déroulée dans des laboratoires scientifiques, au rythme des progrès scientifiques en cours. Le système phonétique est l'une des études les plus importantes, car il constitue l'élément de base sur lequel reposent le reste des règles linguistiques. Contrôler le contrôle des sons et savoir d'où ils émergent aide grandement à la prononciation correcte des phrases.

Le Saint Coran un rôle important dans la mise en valeur des voix à travers l'interprétation vocale. Les scientifiques sont conscients des phénomènes dits vocaux qui donnent de la beauté à l'interprétation, puisque le Coran est un système linguistique précis aux caractéristiques harmonieuses qui a un grand impact sur le lecteur et l'auditeur. Ce qui a incité les lecteurs à prêter attention à l'aspect phonétique.

Les phénomènes phonétiques représentent l'une des couleurs qui apparaissent sur le mot et le modifient, soit en appuyant sur la syllabe, soit en augmentant ou en diminuant le son, selon le type de phénomène appliqué lors de la prononciation. L'efficacité de ces phénomènes est mise en valeur à travers le Coran, que ce soit par l'intonation ou la récitation, ce qui confère au texte coranique une esthétique et un timbre rythmique qui ravit l'oreille.